جامعة اليرموك
كلية الشريعة والدراسات لاسلامية
ماجستير التربية في الاسلام

المنهج التربوي الاسلامي في التعامل مع المشكلات الزوجية

إعداد
عبد الله حمود حمد البوسعيدي

إشراف
د. حسين جابر بني خالد
د. فاروق عبد المجيد السامرائي

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة عين
واجعلنا للمتقين إماما﴾

(الفرقان ٧٤)

المنهج التربوي الاسلامي في التعامل مع المشكلات الزوجية

إعداد

عبد الله حمود حمد البوسعيدي

بكالوريوس دراسات إسلامية، كلية الآداب، جامعة الإمارات، ٨٦-١٩٨٧م.

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، تخصص التربية في الإسلام.

لجنة المناقشة

الدكتور حسين بني خالد .... (رئيساً)

الدكتور فاروق السامرائي .... (مشرفاً شرعياً)

الدكتور مروان القيسي .... (عضواً)

الدكتور محمد الخوالده .... (عضواً)

١٤١٧هـ-١٩٩٦م

الإهداء

إلى من أحمد الله عز وجل أن جعلها منذ الأزل في علم الغيب عنده

زوجـــتي

وقرة عيني وإلى دقات قلبي..... ونغمات أنسي فلذات كبدي.... ذريتي

غانم وخالد وفاطمة وعائشة وروضة



وإلى كل الأزواج والزوجات أهدي هذه الدراسة

والله أسأل أن يعصمنا الفتن ما ظهر منها وما بطن

شكر وتقدير

الحمد لله الذي وفقني إلى هذه الدراسة عنواناً ومضموناً، ثم الشكر لأساتذتي الكرام إلتزاماً بوصية الرسول ﷺ «من لا يشكر الناس لا يشكر لله»[1] ورغبة في الالتزام بأخلاق الأحرار كما بين الامام أحمد بن حنبل في قوله:«الحر من راعي وداد لحظة وانتمى لمن أفاده لفظه» فكيف وقد استفدت منهم المعاني والألفاظ، منهم الدكتور حسين بني خالد، والدكتور فاروق السامرائي، أسأل الله لهما حسن المثوبة والسداد والتوفيق.

وأقدّم شكري الجزيل للدكتور مروان القيسي الذي - بفضل الله - ذلل الصعوبات وأعان وأفاد وقبل مناقشة رسالتي هذه على كثرة مشاغله في رئاسة القسم والدرس والتدريس فبارك الله خطاه وسدده، والشكر موصول إلى الأستاذ الدكتور محمد الخوالدة على تفضله بقبول مناقشة رسالتي، راجياً الافادة من توجيهاتهما بغية الارتقاء بالدراسة إلى المستوى المنشود.

وأخيراً أقدّم شكري وتقديري للاخوة الاداريين في كلية الشريعة وللعاملين في مكتبتها لما تميزوا به من تذليل الصعاب وتقديم الخدمة، وحسن تعامل.

---

(١) رواه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، رقم ١٨٧٧، وهو في صحيح الترمذي للألباني، رقم ١٥٩٢ عن أبي هريرة.

قائمة المحتويات

الفصل الثالث

المنهج التربوي الإسلامي في التعامل مع المشكلات الزوجية

إعداد

عبد الله حمود حمد البوسعيدي

إشراف

د. حسين بني خالد

د. فاروق السامرائي

الملخص

إن المشكلات الزوجية وكثرتها تهددان الأسرة وبالتالي المجتمع فكانت هذه الدراسة لبيان المنهج التربوي الإسلامي في التعامل مع المشكلات الزوجية، ولهذا أجابت الرسالة عن الأسئلة التالية:

أولاً: ما نظرة الإسلام إلى الحياة الزوجية من حيث مكانتها وأهدافها وسماتها وتوصلت

١- إلى تميز الأسرة بمكانة سامية للمؤشرات التالية:

أ- كثافة فقه الأحوال الشخصية في الكتاب والسنة. ب- حثه على الزواج ونهيه عن الرهبنة والتبتل. جـ- أمره بالاستئذان على الزوجية د- تقريره استواء الجد والهزل في الزواج. هـ- اهتمامه بالزوجية اهتماماً بالغاً. و- إشادته بتأسيس الزوجية.

٢- هدفت الزوجية في الإسلام إلى:

أ- ابقاء النسل وتحقيق التكاثر. ب- الإحصان والإعفاف جـ- السكن والراحة النفسية د- أهداف أخرى ثانوية.

٣- تميز الزوجية في الإسلام بسمات أهمها:

أ- الزواج فيه عبادة ب- القوامة فيها للرجال جـ- إباحة التعدد بضوابطه د- إمكان إنهاء الزوجية هـ- المسؤولية مشتركة.

ثانياً: ما أسباب وقوع المشكلات الزوجية، فتوصلت إلى أن أهمها:

أ- عدم الأخذ بالوقائيات المانعة من المشكلات. ب- وسائل الإعلام باختلافها. جـ- المتغيرات الاجتماعية د- أسباب أخرى فرعية.

ثالثاً: ما الممارسات الخاطئة في التعامل مع المشكلات الزوجية، فتوصلت إلى أن أبرز الممارسات الخاطئة هي:

أ- نشر الأسرار والإستماع إلى الآخرين. ب- الإستعانة بالشعوذة. جـ- الإهمال من الطرفين. د- الدعاء بالهلاك. هـ- طلب الطلاق أو التهديد به.

رابعاً: ما الأساليب التربوية الوقائية المانعة من المشكلات فتبين أن المنهج التربوي يحتوي على أساليب وقائية قبل الزواج وأخرى بعد الزواج.

خامساً: ما أساليب علاج المشكلات الزوجية، فتوصلت إلى سمات للأساليب العلاجية أبرزها أنها اجراء وقائي وإصلاحي والسمة الثالثة ضرورة التدرج في العلاج ثم الإنصاف وعدم الحكم على طرفٍ مسبقاً دون نظر وروية. أما الأساليب العلاجية فمنها المباشرة الواردة في القرآن ومنها غير مباشرة ولكنها تساهم في علاج المشكلات الزوجية.

واعتمدت في دراسة المنهج التربوي الإسلامي في التعامل مع المشكلات الزوجية على المنهج التحليلي مستقرئاً الكتاب والسنة معتمداً على الآيات القرآنية ذات العلاقة وعلى أهم كتب الحديث وعلى الصحيحة منها دون الضعيفة والموضوعة، واعتماد تصحيح الشيخ الألباني للسنن الأربعة والجامع الصغير للسيوطي.

أما أبرز النتائج التي توصلت إليها فهي:

١- ان المنهج التربوي الاسلامي يتعامل مع المشكلات الزوجية وقاية وعلاجاً، أما الوقاية فبسد كل الابواب المؤدية إلى الإشكال، فان وقعت الزوجية في الاشكال إما لإهمالها الوقايات أو لقدر سبق لحكمة أرادها الله فان الأساليب العلاجية كفيلة بإنهاء الاشكالات.

٢- إنهاء الزوجية بالطلاق والفراق لا يعني بالضرورة الخراب والضياع والدمار بل قد يكون في بعض المواقف العلاج الناجع بل الواجب.

٣- الممارسات الخاطئة في التعامل مع المشكلات تساهم مساهمة بالغة في تعميق المشكلة ومضاعفتها وخلق مشاكل جديدة.

٤- ضعف دور المؤسسات الرسمية والأهلية في تنشئة المجتمعات ساهم في إيجاد المشكلات الزوجية.

٥- ان وقوع المشكلات في الزوجية لا يعني بالضرورة الفسق والفجور والعصيان، فقد يكون من باب الابتلاء وتكفير الذنوب ورفع الدرجات.

٦- إن الزوجية شرعت لتبقى، فان طرأ ما يفسد الجو فليس الحل الأول ولا الوحيد الانهاء.

٧- لا بد من الالتزام حين الأخذ بالاساليب العلاجية بالصورة التي ضبط الشارع تأديتها فيه.

الفصل التمهيدي

- المقدمة.
- اسئلة الدراسة.
- اهمية الدراسة.
- محددات الدراسة.
- الدراسات السابقة.
- التعريفات.
- منهج الدراسة.
- خطة البحث.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد

تتميز الزوجية بمكانتها العظيمة في الإسلام، ذلك لأنها وسيلة لبقاء النوع وعمارة الأرض وهي أس المجتمع ففي صلاحها واستقرارها صلاح المجتمع واستقراره، وهي الخليّة الأولى لأمة الهداية والانقاذ، فإن صلحت أعانها صلاحها على أداء مهمتها ﴿**كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**﴾.[(١)] إلا أن الناظر إلى واقع الاسرة المسلمة المعاصرة يرى في الغالب شقاقاً وخلافاً وتناقضاً وضياعاً للحقوق والواجبات وارتفاع نسب الطلاق وقصر عمر الزوجية واهمال الابناء والبنات وانتشار عادات وتقاليد سيئة عند بناء البيت وعند طروء المشكلات عليه، مما جعل الزوجية في مقتل، فكان لا بد من السعي الحثيث والمبادرة السريعة والجادة لحماية الزوجية من تلك الويلات، مبادرة لا تنحصر في الجانب الوعظي وفي القرارات القضائية مع أهميتهما ولكنها تتّعدى إلى التنظير التربوي العلمي الاكاديمي، إن جل المساعي الواردة لإقالة عثرة الزوجية في الغالب لازالت ردود أفعال في البيوت إما بالبكاء أو الصراخ والعويل، وفي المجالس بالتندر والقيل والقال وفي الصحافة والاذاعة والتلفاز والمجلات والندوات بشكل مغلوط في الغالب، فلم يتم أي عمل مدروس منظم ومخطط له، وفي المقابل نرى الغرب بدأ يراجع أمور الزوجية عنده ومن ملامح جديته في ذلك تخصيص أقسام للدراسات الأسرية في بعض الجامعات الامريكية مثل: جامعة منسوتنا وجامعة برهام وإنديانا، وأخذ العقلاء فيهم يطالبون بالاهتمام بالأسرة كما طالب وليم بنيت ١٩٨٧ وزير التربية والتعليم في حكومة ريغان في قوله: «إن تدهور أوضاع الاسرة الامريكية يعتبر أعظم تهديد لحياة وأمن أولادنا على المدى البعيد، ان علي أمريكا ألا تفقد أعظم وأهم معقل للتربية في المجتمع».[(٢)]

وانطلاقاً من ضرورة المبادرة إلى حماية ورعاية الزوجية سعيت للكتابة في المنهج التربوي الاسلامي في التعامل مع المشكلات الزوجية ولا أدعي الاجادة ولا التمام ولكنها محاولة من الباحث لتحقيق الإصلاح الأسري من وجهة نظر التربية الإسلامية.

(١) سورة آل عمران آية ١١٠.

(٢) مقياس جوانب الحياة الزوجية، سعيد بن علي بن مانع، ط١١.

أسئلة الدراسة

تجيب الدراسة عن السؤال الرئيس الآتي:

ما المنهج التربوي الإسلامي في التعامل مع المشكلات الزوجيّة؟

وتستدعي الاجابة عن السؤال الرئيس الاجابة عن الاسئلة الفرعية التالية:

السؤال الأول: ما نظرة الاسلام إلى الحياة الزوجية من حيث مكانتها وأهدافها وسماتها؟

السؤال الثاني: ما أسباب وقوع المشكلات الزوجية؟

السؤال الثالث: ما الممارسات الخاطئة في التعامل مع المشكلات الزوجية؟

السؤال الرابع: ما الأساليب التربويّة الوقائية المانعة من وقوع المشكلات الزوجية؟

السؤال الخامس: ما أساليب علاج المشكلات الزوجية؟

اهمية الدراسة

تكمن أهميّة الدراسة في النّقاط التالية:

١- جعل الله أمة الاسلام خير أمة أخرجت للناس، وعليه حملها مسؤولية الانقاذ والاغاثة، فأمة هذه مهامها لا بد لها من أسس قوية تمكنها من الثبات وحسن الانطلاق وتمام الأداء، ومن أهم هذه الأسس، الأسرة والتي بمجموعها تكون الأمة، فلا بد من رعايتها والعمل على حسن تعاملها مع المشكلات، رغبة في سلامتها الممكنة لها في أداء رسالتها فكانت الرسالة مساهمة في تحقيق الشهود الحضاري.

٢- إن مما يؤخذ على الفكر التربوي الاسلامي قلة تناوله للحياة الزوجية باختلاف جوانبها، فكان لا بد من المساهمة في إثراء الفكر التربوي الاسلامي بطروحات تتعلق بالزوجية في الإسلام.

٣- يعتمد جل الخطاب التربوي لدى كثير من أعلام الفكر التربوي الإسلامي فيما يتعلق بالمشكلات الزوجية على بيان الأساليب العلاجية مع الاغفال في الغالب عن الجوانب الوقائية مع أهميتها انطلاقاً مما اجمع عليه العقلاء من أن الوقاية خير من العلاج فكانت هذه الدراسة جامعة بين الوقاية والعلاج لتكتمل صورة المنهج التربوي الاسلامي.

٤- رسخت في أذهان من يتلقى دينه من تقاليد مجتمعه ممارسات خاطئة في التعامل مع المشكلات الزوجية مما أدى إلى عدم علاجها بل استفحالها والاساءة إلى الاسلام،

فاهتمت الدراسة بإزالة الغبش وتوضيح الرؤيا.

محددات الدراسة

اعتمدت في دراستي المحددات التالية:

١- إن المشاكلات التي تعاني منها الأمة كثيرة جداً، ولكن خطورة المشكلات الزوجية دفعتني إلى دراستها على وجه التحديد دون غيرها من المشكلات.

٢- إعتمدت منهج التربية الإسلاميّة ضمن كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، دون التطرّق إلى أراء علماء التربية، أوالمناهج التربويّة الأخرى.

٣- إعتمدت في الأراء الفقهية إلى ما ذهب إليه الجمهور دون ذكر الإختلافات الفقهية.

٤- الدراسة منحصرة في الجانب النظري فلم أستعن بالمقاييس العلمية ولا الاستبانات الميدانية.

الدراسات السابقة

إن الدراسات التي تناولت المشكلات الزوجية كثيرة إلا أنه لم يتيسر لي إحتواء جميعها ومن أهم ما وقفت عليه وهي في الغالب وعظية تتناول أجزاء محددة من موضوع الرسالة:

١- الخلافات الزوجية في نظر الاسلام: وهو بحث تحليلي في العلاقات الزوجية وأسبابها وطرق علاجها في ضوء الشريعة الاسلامية، إعداد المكتب العالمي للبحوث-بيروت، من منشورات دار مكتبة الحياة سنة ١٩٨٠ ويقع في (٧١) صفحة.

٢- المشاكل بين الزوجين لمؤلفه سامي محمود، المركز العربي للنشر والتوزيع ١٩٨٠ ويقع في (١١١) صفحة.

٣- المشاكل الزوجية بين الطب والدين لمؤلفه، السيد الجميلي طباعة دار البحار ١٩٨٦ ويقع في ١٤٦ صفحة.

٤- «مشكلة سوء إختيار الازواج» يذكر أسبابها وعلاجها وهي من اعداد محمد عقلة إبراهيم. طباعة دار الفرقان ١٩٨٣ عمان، ويقع في (٧٨) صفحة.

٥- «سمو التشريع الاسلامي في معالجة النشوز والشقاق بين الزوجين» د. كوثر كامل علي من نشر دار الاعتصام.

٦- «المشاكل الزوجية وحلولها» اعداد محمد عثمان الخشت من نشر مكتبة القران ١٩٨٤ القاهرة وتقع الدراسة في ١٥٧ صفحة.

٧- «نظام الأسرة وحل مشكلاتها في ضوء الاسلام» اعداد، عبد الرحمن الصابوني، نشر دار الفكر بيروت ١٩٧٢ ويقع في ٢٧٨ صفحة.

٨- «المشكلة الزوجية أسبابها وعلاجها» إعداد عبد العزيز خليفة نشر، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٤٨ القاهرة وتقع الدراسة في (٢٤٧) صفحة.

التعريفات

- المنهج: لغة: من نهج، قال إبن فارس: النهج الطريق، وقد نهج فلان الطريق: بينه.[١]

وقال ابن منظور: منهج الطريق: وضَحُه.[٢]

وقال الفيروز أبادي: النهج: الطريق الواضح كالمنهج والمنهاج، واستنهج الطريق: صار نهجاً ونهج الطريق: سلكه.[٣]

- وأقصد به في الدراسة: ***الطريق الواضح لتحقيق أنضل الأهداف والنتائج.***

- التربوي الإسلامي: تعددت التعريفات للتربية، وكل تعريف منها ينطلق من الخلفية الفكرية لصاحبها، وكذا التعريف الإسلامي للتربية يعكس فلسفة التربية الإسلامية، ولعل أدق تعريف أرتضيه للتربية الاسلاميةهو: اعداد متكامل للشخصية المسلمة مع التنمية الدائمة لصيانتها وذلك انطلاقاً من عقيدة الإسلام، وضوابط شريعته.

وعليه «***فالمنهج التربوي الإسلامي في التعامل مع المشكلات الزوجية، أعني به، «الطريق التربوي الواضح، والأسلوب الأمثل للتعامل مع المشكلات الزوجية في ضوء تعاليم الشريعة الإسلامية».***

(١) مجمل اللغة، لابي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، ج٤ ص٨٤٥

(٢) لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين ابن منظور، ج٢، ص٢٨٣.

(٣) القاموس المحيط، لمجد الدين محمد الفيروز أبادي، ص٢٦٦.

منهج الدراسة

إعتمدت في دراسة المنهج التربوي الاسلامي في التعامل مع المشكلات الزوجية على المنهج التحليلي مستقرءاً الكتاب والسنة مؤصلاً بهما جوانب الموضوع وذلك على النحو التالي:

١- الاعتماد على آيات القرآن الكريم المتعلقة بالموضوع مع النظر إلى أهم التفاسير القديمة منها والمعاصرة.

٢- إستقراء كل ما ورد عن الاحوال الشخصية في كتب الحديث العشرة وهي صحيح البخاري وصحيح مسلم ومسند الامام أحمد وسنن الترمذي وسنن أبي داود وسنن النسائي وسنن ابن ماجة وموطأ الامام مالك وسنن الدرامي وصحيح الجامع ثم الاستعانة بما يخص موضوع الدراسة.

٣- اعتماد الأحاديث النبويّة الصحيحة في موضوعات البحث، وبشكل خاص صحيحي البخاري ومسلم. واذا تكرر حديثاً في غيرهما أكتفي بروايتيهما لإغتناء المتفق عليه بينهما عن غيرهما، وان صحح الألباني حديثاً في أحد صحاحه الأربعة أو في صحيح الجامع أذكره دون إيراد الروايات الأخرى.

٤- الاعتماد على تصحيح الشيخ/محمد ناصر الدين الألباني لسنن الترمذي وأبي داود والنسائي وابن ماجة والجامع الصغير وزياداته للسيوطي.

٥- لم أترجم للصحابة ولا لأعلام الفكر التربوي وانما اكتفيت بالاشارة إلى سنة وفاة الاعلام.

٦- قمت بفهرسة الأيات والاحاديث الواردة في متن الدراسة.

٧- إستخدمت الرموز التالية في الدراسة.

(د. ت) دون تاريخ.

(د. ن) دون ناشر.

(د. م) دون مكان نشر.

(د. ط) دون طبعه.

خطة الدراسة

تشتمل الدراسة على فصل تمهيدي وأربعة فصول رئيسة وخاتمة، فالفصل التمهيدي احتوى على مقدمة وأسئلة الدراسة وأهميتها ومحدداتها والدراسات السابقة والتعريفات لها ومنهج الدراسة وخطتها: والفصل الاول، أجاب عن السؤال الأول من أسئلة الدراسة والمتعلق بالحياة الزوجية في الاسلام، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مكانة الحياة الزوجية في الإسلام.

المبحث الثاني: أهداف الحياة الزوجية في الإسلام.

المبحث الثالث: سمات الحياة الزوجية في الاسلام.

والفصل الثاني: أجاب عن السؤالين الثاني والثالث فبين اسباب وقوع المشكلات الزوجية والممارسات الخاطئة في التعامل معها وفيه مبحثان:-

المبحث الأول: أسباب وقوع المشكلات الزوجية.

المبحث الثاني: الممارسات الخاطئة في التعامل مع المشكلات الزوجية.

والفصل الثالث: أجاب عن السؤال الرابع والمتعلق بالأساليب الوقائية المانعة من وقوع المشكلات الزوجية وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أساليب ما قبل الزواج.

المبحث الثاني: أساليب ما بعد الزواج.

والفصل الرابع: أجاب عن السؤال الخامس المتعلق بأساليب علاج المشكلات الزوجية وفيه مبحثان:

المبحث الأول: سمات الأساليب العلاجية.

المبحث الثاني: الأساليب العلاجية المباشرة وغير المباشرة.

أما الخاتمة فقد تضمنت أبرز النتائج والتوصيات.

الفصل الأول

الحياة الزوجية في الإسلام

تمهيد

إن الناظر إلى تعاليم الكتاب والسنة فيما يخص الحياة الزوجية ليخرج بحقائق لا يجد لها مثيلاً في أي تشريع على وجه البسيطة، حقائق تتمثل في رعاية هذه الخلية الأولى التي هي منشأ البشرية (أدم وحواء[1]) وسبب بقائها بإذن الله إلى يوم الدين، رعاية تسمو بها من مجرد العناق الجسدي إلى الذوبان الروحي، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها إئتلف، وما تناكر منها إختلف».[2] ومن حصر الرغبة في الإشباع الشهواني إلى ألطاف الأنس والمودة والرحمة كما قال تعالى: ﴿**ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾،[3] مما جعل للزوجية في الإسلام أهدافاً سامية وغايات راقية.

وتتضح لكل منصف بعد استعراض ما في الكتاب والسنة من توجيهات وتشريعات وضمانات فيما يتعلق بالمحضن الأول بدءاً من رغبات الاقتران إلى ما ورد من أحكام عن غسل الرجل زوجته المتوفاة والعكس، ضخامة الاهتمام بالحياة الزوجية كمؤشر لعظيم مكانتها.

ويشاء الله عز وجل أن يختم التشريعات بشريعة الإسلام قال تعالى: ﴿**اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾[4] ومن نماذج هذا الكمال التشريعي والتمام في النعمة والرضا الرباني ما اختصت به الحياة الزوجية في الإسلام من سمات تجعلها أنموذجاً يُسعد الأزواج، ويحول دون وقوع القلق والمنغصات ويحل ما يطرأ من مشكلات.

---

(١) البعض يزعم أن لا دليل أن اسم زوجة أدم، حواء والدليل نص الرسول ﷺ في البخاري برقم (٣٢٣٠) فتح.

(٢) رواه البخاري، فتح الباري ١٢/٧، برقم (٣٣٣٦) في كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنودة مجندة.

(٣) سورة الروم، أية ٢١.

(٤) سورة المائدة، أية ٣.

وهكذا تبني منظومة القيم الزوجية على هذه الأساسات -أهداف سامية ومكانة عظيمة وسمات راقية المترابطة في جذورها لقيامها على التشريع الرباني، والمنسجمة مع الفطرة البشرية لأنها من صنع باريها **﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾**،[1] والمناسبة لكل الأزمنة والأمكنة والمتغيرات والطوارئ لأنها من هدي القرآن **﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم﴾**،[2] لذا رأيت من الأمانة العلمية أن أبدأ بادئ ذي بدئ بالحديث عن هذه الأساسات الثلاث:

أولها: مكانة الحياة الزوجية في الإسلام.

ثانيها: أهداف الحياة الزوجية في الإسلام.

ثالثها: سمات الزوجية في الإسلام، وقبل استعراض هذه الأساسات سأتطرق إلى ما كانت عليه الحياة الزوجية في الجاهلية والمتمثلة في النقاط التالية:

١- **أنواع الانكحة:** إن تعدد صور النكاح في الجاهلية مؤشر على احتقار المجتمع للمرأة، وموت الغيرة في الرجال، ونزع القدسية من الحياة الزوجية، وانحصار الهدف من الزوجية في الغالب على الإشباع الجنسي، فهدم الرسول ﷺ النكاح الجاهلي وبنى الزوجية وفق الضوابط الشرعية، فعن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته «أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء، فنكاح منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها، ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهُرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع، ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم قد عرفتم الذي كان من

---

(١) سورة الروم، آية ٣٠.

(٢) سورة الإسراء، آية ٩.

أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها ولا يستطيع أن يمتنع به الرجل، ونكاح الرابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك فلما بعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم».[1]

٢- **امتهان الزوجة:** إن احتقار الجاهلية للمرأة أخذ صوراً متعددة، تشير جملتها إلى سقوط كرامتها حتى في ذاتها، فعن أم سلمة أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفتكحلها؟ فقال رسول الله ﷺ، لا، مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول لا ثم قال رسول الله ﷺ إنما هي أربعة أشهر وعشر وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول، قال حميد: فقلت لزينب: وما ترمي بالبعرة على رأس الحول، فقالت زينب: كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت حشفا ولبست شر ثيابها ولم تمس طيباً حتى تمر بها سنة ثم تؤتى بدابة حمار أو شاة أو طائر فتفتض به فقلما تفتض بشيء إلا مات ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي ثم تراجع بعد ما شاءت من طيب أو غيره، سئل مالك ما تفتض به: قال تمسح به جلدها».[2] وتشير أيضاً إلى تغييب حقوقها، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «كنا في الجاهلية لا نعد النساء شيئاً فلما جاء الإسلام وذكرهن الله رأينا لهن بذلك علينا حقاً».[3] وبلغ الاستخفاف بها مبلغه، ذلك «أن العرب في المدينة وما والاها كانوا قد استنوا بسنة بني اسرائيل في تجنب مؤاكلة الحائض ومساكنتها، فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح».[4] وكانت الوراثة في الجاهلية بالرجولية والقوة وكانوا يورثون الرجال دون النساء[5] والصبيان ويأخذ الأكبر

---

(١) رواه البخاري، كتاب النكاح، رقم ٤٧٢٢.

(٢) رواه البخاري، كتاب الطلاق، باب تحد المتوفى عنها أربعة أشهر وعشراً، رقم ٤٩٢٠.

(٣) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب ما كان النبي ﷺ يتجوز من اللباس والبسط، رقم ٥٣٩٥.

(٤) الجامع للقرطبي ٣/٨١، والحديث رواه مسلم، كتاب الحيض، رقم ٤٥٥.

(٥) الجامع للقرطبي ٥/٧٩.

الميراث[1] ويقولون لا يعطى إلا من قاتل على ظهور الخيل وطاعن بالرمح وضارب بالسيف وحاز الغنيمة».[2] ومن امتهان الزوجة أن بعض القبائل كانت تعدها من سقط المتاع، تورث للأجيال كأي متاع في البيت، وقد كان الناس يتزوجون امرأة الأب برضاها وقد كان في العرب قبائل قد اعتادت أن يخلف ابن الرجل على امرأة أبيه وكانت هذه السيرة في الأنصار لازمة وكانت في قريش مباحة مع التراضي[3]، وكان في العرب من تزوج ابنته فنهى الله المؤمنين عما كان عليه آباؤهم من هذه السيرة.[4] ومن امتهانها أن تُحرم جنينها إن كان أنثى مع الهجر والخصام وكانوا يدفنون بناتهم أحياء لخصلتين: إحداهما: كانوا يقولون أن الملائكة بنات الله، فألحقوا البنات به، الثانية: إما مخافة الحاجة والإملاق وإما خوفاً من السبي والاسترقاق، قال ابن عباس كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت حفرت حفرة وتمخضت على رأسها فإن ولدت جارية رمت بها في الحفرة وردت التراب عليها وإن ولدت غلاماً حبسته، وقال قتادة: كانت الجاهلية يقتل أحدهم ابنته ويغذو كلبه فعاتبهم الله على ذلك وتوعدهم».[5] ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له قد ولدت له أنثى أغتم واربد وجهه غيضاً وتأسفاً وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب أن امرأته وضعت أنثى فهجر البيت الذي فيه المرأة، فقالت:

ما لأبي حمزة لا يأتينا … يظل في البيت الذي يلينا

غضبان الا نلد البنينا … وإنما نأخذ ما اعطينا[6]

٣- **التعدد في الجاهلية:** كان للرجل في الجاهلية أن يتزوج من النساء ما يشاء بلا حصر، فلا مسؤولية ولا تربية للذرية ولا عدل بين زوجاته، مما يجعل الغاية من الزواج قضاء الشهوة الجنسية فقط، وهذا ما لا ترضاه التربية الإسلامية، فعن ابن عمر رضي الله

---

(١) الجامع للقرطبي ٥/١٠.

(٢) الجامع للقرطبي ٥/٤٦.

(٣) الجامع للقرطبي ٥/١٠٣.

(٤) الجامع للقرطبي ٥/١٠٤.

(٥) الجامع للقرطبي ١٩/٢٣٢.

(٦) الجامع للقرطبي ١٦/٧٠.

عنه أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فأسلمن معه فأمره النبي ﷺ أن يتخير أربعاً منهن».[1]

٤- **الجمع بين الأختين:** عن الديلمي قال: قدمت على رسول الله ﷺ وعندي أختان تزوجتهما في الجاهلية فقال: إذا رجعت فطلق أحداهما»[2] «وكان أهل الجاهلية يعرفون المحرمات كلها التي ذكرت في هذه الآية إلا إثنين إحداهما نكاح امرأة الأب، والثانية الجمع بين الأختين. ألا ترى أنه قال: ﴿**ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء إلا ما قد سلف**﴾ ﴿**وأن تجمعوا بين الاختين إلا ما قد سلف**﴾[3] ولم يذكر في سائر المحرمات «إلا ما قد سلف» والله أعلم.[4]

٥- **كانت صور إنهاء الزوجية** في الجاهلية تتسم بالعبث والتلاعب والتسلط، فقد كان الإيلاء والظهار من الطلاق في الجاهلية، فتطلق إذا قال لها: أنتِ عليّ كظهر أمي»،[5] «قال عبد الله بن عباس: كان إيلاء الجاهلية السنة والسنتين وأكثر من ذلك يقصدون بذلك إيذاء المرأة عن المساءة فوقت لهم أربعة أشهر».[6] و«ثبت أن أهل الجاهلية لم يكن عندهم للطلاق عدد وكانت عندهم العدة معلومة مقدرة، وكان هذا في أول الإسلام برهة يطلق الرجل امرأته ما شاء من الطلاق فإذا كادت أن تحل من طلاقه راجعها ما شاء، فقال رجل لامرأته على عهد النبي ﷺ: لا أويك ولا أدعك تحلين قالت: وكيف، قال: أطلقك فإذا دنا مضي عدتك راجعتك، فشكت المرأة ذلك إلى عائشة، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ونسخ ما كانوا عليه.[7] و«قال أبو الدرداء: كان الرجل يطلق في الجاهلية ويقول: إنما طلقت وأنا لاعب وكان يعتق وينكح ويقول: كنت لاعباً فنزلت الآية ﴿**ولا تتخذوا ايات الله هزوا**﴾.[8]

---

(١) رواه الترمذي، كتاب النكاح، باب الرجل يسلم وعنده عشر نسوة، رقم ١٠٤٧، وهو في صحيح الترمذي للألباني رقم ٩٠١.

(٢) رواه ابن ماجة كتاب النكاح باب الرجل يسلم وعنده أختان وهو في صحيح ابن ماجة للالباني، رقم ١٥٨٦.

(٣) الأيتان من سورة النساء، آية ٢٢، ٢٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١٩/٥.

(٥) الجامع للقرطبي ٢٧٠/١٧.

(٦) الجامع للقرطبي ١٠٣/٢.

(٧) الجامع للقرطبي ١٥٦/٢.

(٨) الجامع للقرطبي ١٥٦/٢.

٦- **ومما يؤخذ على الحياة الزوجية في الجاهلية** ارتباطها بالشعوذة، فقد «كانوا يضربون للمولود مسماراً عند ولادته ودورانهم به يوم أسبوعه يقولون ليعرفه العمار.[1] والعرب كانت تعتقد أنها كانت تتزوج الجن وتباضعها حتى روي أن عمرو بن هند تزوج منهم غولاً وكان يخبؤها عن البرق لئلا تراه فتنفر، فلما كان في بعض الليالي لمع البرق وعاينته السعلاء، فقالت، عمرو ونفرت فلم يرها أبداً وهذا من أكاذيبها.[2]

٧- وكانت الزوجية عند بعضهم قائمة على الغش والخداع، «قال قتادة: كانت عادتهن في الجاهلية أن يكتمن الحمل ليلحق الولد بالزوج الجديد، ففي ذلك نزلت الآية ﴿**ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في ارحامهن**﴾[3].

(١) الجامع للقرطبي ٥/٢٨٨.

(٢) الجامع للقرطبي ١٠/١٤٢.

(٣) الجامع للقرطبي ٣/١١٨.

المبحث الأول

مكانة الحياة الزوجية في الإسلام

تحظى الزوجية باهتمام بالغ في الإسلام، ذلك لأنها اللبنة الأولى فإذا صلحت صلح البنيان كله وإذا فسدت فسد البنيان كله، فكم من مجتمعات نالت حظاً وافراً من المدنية لاهتمامها بالذهب والفضة والحديد والنحاس فاكتشفت وصنعت وأبدعت ولكنها مجتمعات بئيسة لأن الأسرة فيها لم تنل مثقال ذرة من الاهتمام الذي نالته صناعة الأرض فإذا بالطلاق كثير والشذوذ أكثر وأبناء غير شرعيين في الطرقات والبيوت مقابر والآباء والأمهات في دار المسنين يموتون وهذه النتائج دعت الغرب مؤخراً إلى «إعادة النظر في وضع الأسرة وكيفية رعايتها وحمايتها بعد أن أصبح وضعها مهدداً لأمن تلك الدول وبدأت بعض الجامعات الأمريكية مثل جامعة منسوتنا وجامعة برهام وجامعة ولاية بنسلفينيا وجامعة أنديانا وغيرها تركز على الدراسات الجادة التي تعيد للأسرة قوتها وتماسكها وأدوارها الحقيقية في المجتمع، بل وصلت مسألة وضع الأسرة إلى أعلى جهات السلطة، ففي أمريكا مثلاً شكلت الرئاسة (لجنة كارتر، ١٩٧٨م لشؤون الأسرة) كما دخل موضوع الأسرة جداول الانتخابات الرئاسية الأمريكية (ريجان – كارتر ١٩٨٠م)، ونشرت مجلة جمعية علماء النفس الأمريكيين مقالاً لوليم بنيت ١٩٨٧ وزير التربية والتعليم في حكومة ريجان يقول فيه «إن تدهور أوضاع الأسرة الأمريكية يعتبر أعظم تهديد لحياة وأمن أولادنا على المدى البعيد، إن على أمريكا ألا تفقد أعظم وأهم معقل للتربية في المجتمع إنه يجب على هذه الأمة أن لا تسمح بالفناء لهذا المعقل الذي يتمتع بقدرة لا تبارى في حماية ورعاية أطفالنا».[(١)]

إن المؤشرات التي تدل على مكانة الزوجية في التربية الإسلامية كثيرة جداً... منها:

١- **فقه الأحوال الشخصية:** بعد استقراء الكتاب والسنة وقفت على كم كبير جداً من النصوص الشرعية المتعلقة بالحياة الزوجية وهذا مؤشر على اهتمام الشارع وعلى عظيم

---

(١) مقياس جوانب الحياة الزوجية د. سعيد بن علي بن مانع ١٣، ١٤.

مكانة هذه اللبنة الأولى، ثم تفاعل العلماء مع هذا الرصيد فأخرجوا فقهاً استغرق بحثاً طويلاً ومؤلفات طائلة ومن هذا الفقه الأبواب التالية: النكاح، حكمه، الحكمة منه، أركانه وأحكامه، آدابه، الشروط في النكاح، الخيار فيه، موجبات الخيار. الحقوق الزوجية: حقوق الزوجة على زوجها، حقوق الزوج على زوجته، نشوز المرأة، آداب الفراش، الأنكحة الفاسدة، نكاح المتعة، الشغار، نكاح المحلل، نكاح المحرم، النكاح في العدة، النكاح بلا ولي، نكاح الكافرة غير الكتابية، نكاح المحرمات تحريماً مؤبداً، المحرمات بالنسب، المحرمات بالمصاهرة، المحرمات بالرضاع، المحرمات تحريماً مؤقتاً، الطلاق، حكمه، أركانه، أقسامه: الطلاق الرجعي، الطلاق الصريح، الطلاق المنجز والمعلق، طلاق التخيير والتمليك، الطلاق بالوكالة والكتابة، الطلاق بالتحريم، الطلاق الحرام، الخلع، حكمه، شروطه، أحكامه، الإيلاء، الظهار: حكمه وأحكامه، اللعان: تعريفه، مشروعيته، حكمته وأحكامه، العدة: تعريفها، حكمها، الحكمة منها، أنواعها، الاستبراء، الاحداد، النفقات: تعريفها، من تجب لهم النفقة، الحضانة، المواريث، وأبواب كثيرة جداً موصلة بمصادر التشريع الإسلامي.

٢- **الحث على الزواج:** إن التربية الإسلامية حثت على الزواج حثاً أكيداً دالة بذلك على مكانة الزوجية من خلال الكتاب والسنة وسيرة السلف.

اولاً: في الكتاب: حث الله على الزواج في الكتاب بطرق عديدة منها:

١- ببيان أنها سنة الأنبياء والرسل وهم الذين حببهم الله إلى الناس ورفع قدرهم وجعلهم محل الأسوة والقدوة فقال: **﴿ولقد ارسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم ازواجاً وذرية﴾**[(١)]، فهذه الآية تدل على الترغيب في النكاح والحض عليه وتنهى عن التبتل وهو ترك النكاح وهذه سنة المرسلين كما كان من أمر داود وسليمان.[(٢)]

٢- إلغاء الأعذار الواهية المانعة من الزواج فقال تعالى: **﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾**[(٣)]، أي لا تمتنعوا عن التزويج بسبب فقر الرجل والمرأة وهذا وعد بالغنى

(١) سورة الرعد، آية ٣٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/٢٢٧.

(٣) سورة النور، آية ٣٢.

للمتزوجين طلب رضا الله واعتصاماً من معاصيه. قال ابن مسعود: التمسوا الغنى في النكاح وتلا هذه الآية.[1]

٣- مخاطبة الأولياء بأن يسعوا في التزويج. قال تعالى: ﴿**وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم**﴾،[2] أي زوجوا من لا زوج له منكم فإنه طريق التعفف والخطاب للأولياء على الصحيح.[3]

٤- بيان أن الزواج من صفات عباد الرحمن الذين ﴿**يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاما**﴾.[4] فوضّح من صفاتهم أنهم ﴿**يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين إماما**﴾[5] وفي ذلك حث على النكاح ليكون من هذا الفريق الذي له من الله هذا العطاء.

٥- نهى الله الأمة عن الرهبنة والتبتل والنظرة الضيقة إلى العبادة وتحريم ما أحل الله عز وجل، ذلك أن «جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم أبو بكر وعلي وابن مسعود وعبد الله بن عمر وأبو ذر الغفاري وسالم مولى أبي حذيفة والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن رضي الله عنهم، اجتمعوا في دار عثمان بمن مظعون واتفقوا على أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم ولا الودك[6] ولا يقربوا النساء والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا في الأرض ويترهبوا ويجبوا المذاكير، فأنزل الله تعالى: ﴿**يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا**﴾.[7]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/٢٤١.

(٢) سورة النور، آية ٣٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي١٢/٢٣٩.

(٤) سورة الفرقان، آية ٧٦.

(٥) سورة الفرقان، آية ٧٤.

(٦) الودك: الدسم، قاله القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٦/٢٦.

(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/ ٢٦٠، والآية من سورة المائدة رقم ٨٧.

ثانياً: في السنة:

السنة زاخرة بأحاديث الرسول ﷺ الداعية إلى النكاح وبمداخل متنوعة منها:

١- النكاح يلبي حاجة غريزية في الذكور والإناث وبالتالي يؤدي إلى الإحصان قال ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».(١)

٢- خطورة تأخير إقامة الزوجية، فقال ﷺ: «يا علي ثلاث لا تؤخرها، الصلاة إذا أتت والجنازة إذا حضرت والأيم(٢) إذا وجدت لها كفؤا».(٣) فإذا حضرت الصلاة وجب الإسراع إلى أدائها لأنه لا يليق أن ينادي السيد عبده ويتأخر العبد عن الإجابة، وليس من إكرام الميت تأخيره، وتأخير الزواج فتنة في الأرض وفساد عريض.

٣- من أخلاق القدوات الذين تربطهم بالرسول ﷺ الاخوة الإيمانية والتبليغ للرسالة ووحدة الوظيفة والمهمة وهم صفوة الخلق وأحب الناس إلى ربهم من أخلاقهم الزواج. قال ﷺ: «أربع من سنن المرسلين: الحياء والتعطر والسواك والنكاح».(٤)

٤- في الزواج تحقيق لرغبة الحبيب ﷺ، والحبيب الذي تفتديه الأرواح والدماء من الصغار والكبار في القديم والحديث والذي مدحه ربه عز وجل بكامل الأوصاف إذا رغب في شيء تقاتل لتحقيقه الجميع فتوجيه هذا الحب للتزاوج حث عليه فقال ﷺ «تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم».(٥)

٥- في الزواج أداء للنصف المهمة التي من أجلها خلق الإنسان ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾(٦) وبالزواج يستكمل الإنسان نصف العبادة فقال ﷺ : «من تزوج فقد استكمل نصف الإيمان فليتق الله في النصف الباقي».(٧)

---

(١) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم، ٤٦٧٧.

(٢) في النهاية: «الأيم التي لا زوج لها بكراً كانت أو ثيباً مطلقة كانت أو متوفى عنها»، النهاية لابن الأثير، ٨٥/١.

(٣) رواه الترمذي كتاب الجنائز ٩٩٥ وقال هذا حديث غريب وما أرى إسناده بمتصل.

(٤) رواه الترمذي كتاب النكاح رقم ١٠٠٠ وقال حديث حسن غريب وضعفه الالباني.

(٥) رواه أبو داود ، كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لا يلد من النساء، رقم ١٧٥٤٥، وهو في صحيح أبي داود للألباني، ١٨٠٥. عن معقل بن يسار.

(٦) سورة الذاريات، آية ٥٦.

(٧) صحيح الجامع للألباني، رقم ٦١٤٨، ١٠٥٩/٢ عن أنس.

٦- إن الإنتماء مما جبل وفطر عليه الإنسان، والمسلم انتماؤه إلى الرسول ﷺ أشد من انتمائه إلى الوالد والوالدة والأهل والذرية والمال والناس أجمعين «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»[١] فإذا أحس المؤمن بأن سبباً ما يضعف هذا الإنتماء بل ويصرح به الحبيب بأنه يتبرأ منه فإنه حينها يقطع هذا السبب. قال ﷺ: «النكاح من سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني».[٢] وفي هذا حث على الزواج.

٧- إن الحب العفيف لا للأجساد والذوات ولكن للأخلاق والصفات ثم لا يمنع أن يكون مع حب الدين والخلق في الطرف الآخر ما وصله من الملاحة فيه أفضل نهاية له النكاح، سداً لذريعة الفاحشة ومنعاً من إتلاف مشاعر المحبين. فقال ﷺ: «لم نر (ير) للمتحابين مثل النكاح».[٣]

٨- إبطال الأعذار والحيل النفسية المانعة من الزواج، فلا يمتنع عن الزواج بسبب الفقر. عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال لرجل: تزوج ولو بخاتم من حديد»[٤]. ولا ينبغي تأخير الزواج إلى ما بعد الحج. مع أن الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة، إلا أنه لا يقدم على الزواج، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه لا يتبعني رجل ملك بضع امرأةٍ وهو يريد أن يبني بها ولم يبن بها» قال ابن المنير: «يستفاد منه الرد على العامة في تقديمهم الحج على الزواج ظناً منهم أن التعفف إنما يتأكد بعد الحج بل الأولى أن يتعفف ثم يحج».[٥] قلت: المسألة ليست على إطلاقها فالبعض عليه أن يقدم الزواج والبعض الآخر عليه أن يقدم الحج عند الاستطاعة إذا كان الزواج غير ملحٍ عنده.

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان.

(٢) رواه ابن ماجة كتاب النكاح، باب ما جاء في فضل النكاح، رقم ١٨٢٦، وهو في صحيح ابن ماجة للألباني رقم ١٤٩٦، ١/٢١٠.

(٣) رواه ابن ماجة كتاب النكاح، باب ما جاء في فضل النكاح، رقم ١٨٢٧ وهو في صحيح ابن ماجة للألباني، ١٤٩٧، ١/ ٢١٠ عن ابن عباس.

(٤) رواه البخاري، (فتح الباري، ٥١٥٠)، كتاب النكاح باب المهر العروض وخاتم من حديد.

(٥) فتح الباري لابن حجر ١٠/ ٢٨٠.

٩- اهتمام ولي الأمر بالتزويج وبتذليل صعابه: إن سيرة الرسول ﷺ مليئة بالأدلة على سعي ولي الأمر في التزويج وفي تذليل صعابه منها ما يرويه سهل بن سعد الساعدي قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله جئت أهب لك نفسي، قال: فنظر إليها رسول الله ﷺ، فصعد النظر فيها وصوبه، ثم طأطأ رأسه فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست، فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها، فقال: وهل عندك من شيء، قال: لا والله يا رسول الله، فقال: اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً، فذهب ثم رجع فقال لا والله ما وجدت شيئاً فقال رسول الله ﷺ انظر ولو خاتماً من حديد، فذهب ثم رجع فقال لا والله يا رسول الله ولا خاتماً من حديد ولكن هذا إزاري قال سهل ماله رداء فلها نصفه، فقال: رسول الله ﷺ ما تصنع بإزارك إن لبسته لم يكن عليك منه شيء فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام، فرآه رسول الله ﷺ مولياً فأمر به فدعي فلما جاء قال ماذا معك من القرآن، قال معي سورة كذا وسورة كذا عددها، فقال: تقرؤهن عن ظهر قلبك، قال: نعم، قال: اذهب، فقد ملكتكها بما معك من القرآن».[1]

١٠- نهى رسول الله ﷺ عن التبتل والرهبنة وهو ضد النكاح فعن حميد بن أبي حميد الطويل أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني».[2] وعن عبد الله رضي الله عنه قال كنا نغزوا مع النبي ﷺ وليس معنا نساء فقلت ألا نختصي فنهانا عن ذلك فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب ثم قرأ ﴿**يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم**﴾.[3] وعن عائشة رضي

---

(١) رواه البخاري، فتح الباري، ٥٠٨٧. كتاب النكاح باب تزويج المعسر.

(٢) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم ٤٦٧٥.

(٣) رواه البخاري كتاب، النكاح باب ما يكره من التبتل والخصاء، رقم ٤٢٤٩.

الله عنها أن رسول الله ﷺ نهى عن التبتل» وعن سعد بن أبي وقاص يقول «رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا».[1]

ثالثا: من سيرة السلف الصالح

إن المرجعية بعد الكتاب والسنة سيرة سلفنا الصالح ذلكم القرن الخيِّر كما قال الرسول ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»،[2] وبعد تتبع أخبار السلف رأيت منهم حثاً على الزواج ترجموه واقعاً: من ذلك ما كان بين سعيد بن هشام بن عامر وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين سألها عن التبتل، فقالت: لا تفعل أما سمعت قول الله تعالى: ﴿**ولقد ارسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم ازواجاً وذرية**﴾ فلا تبتَّل»[3]، وكانوا يرون الزواج من البر الذي خيره استعجاله فعن ابن أبي العطار قال: سمعت محمد بن سليمان قال، قال حاتم: كان يقال العجلة من الشيطان إلا في خمس، إطعام الطعام إذا حضر ضيف، وتجهيز الميت إذا مات، وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا وجب والتوبة من الذنب إذا أذنب».[4] وكانوا يعدون تأخير النكاح مدعاة للفتنة فعن الحسن قال: بادروا نساءكم التزويج فإن التسويف مغلمة لهن.[5] وكانوا يرون في الزواج اقتداء بالرسول ﷺ، قال ابن عباس رضي الله عنه لسعيد بن جبير: تزوج فإن خير هذه الأمة من كان أكثرها نساءاً».[6] وحرصاً منهم في إحياء سنة الأنبياء والأخذ بأسباب العفاف كانوا يرون ضرورة الزواج إلى آخر لحظة في العمر قال ابن مسعود: «لو لم يبق من أجلي إلا عشرة أيام وأعلم أني أموت في آخرها يوماً ولي فيهن طول النكاح تزوجت مخافة الفتنة»[7] وكان يقول: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد أحببت أن يكون لي فيه زوجة».[8]

---

(١) رواه البخاري، فتح الباري ٥٠٧٣. كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء.

(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، رقم ٢٢٧٨.

(٣) المحلى، لإبن حزم ٩/٤٤٠. والآية في سورة الرعد، آية ٣٨.

(٤) أحكام النساء، لابن الجوزي ٢٠٤.

(٥) أحكام النساء، لإبن الجوزي، ٣٠، وفي النهاية لإبن الأثير ٣/٣٨٢، الغلمة: هيجان الشهوة.

(٦) رواه البخاري، كتاب النكاح رقم ٤٦٨١.

(٧) موسوعة ابن مسعود د: محمد رواس قلعجي ٥٥١.

(٨) موسوعة ابن مسعود د. محمد رواس قلعجي ٥٥١.

ومن هدي السلف الصالح ما كان من عمر بن الخطاب رضي الله عنه «لما رأى أبا الزوائد وقد تقدمت به السن ولم يتزوج فقال له: ما يمنعك من النكاح إلا عجز أو فجور»[1] ومن شدة حث عمر على الزواج «أنه أنكح رجلاً وهو يمشي وكان يدعو إلى تسهيل أمور النكاح، فدعي مرة ليزوج فقال: لا تعصفوا علينا الناس، الحمد لله وصلى الله على محمد إن فلاناً يخطب إليكم فإن تنكحوه فالحمد لله وإن رددتموه فسبحان الله».[2]

٣- الإستئذان

إن من اهتمام الشارع بالزوجية أن جعل لها قداسة لا تخدش ولو بمجرد النظر، وخصوصية لا تخترق، وأسراراً لا تذاع، لذلك كان الاستئذان على العش الزوجي بنص القرآن، قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات، من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء، ثلاث عورات لكم﴾**.[3] وقال سبحانه: **﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستئذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾**.[4]

كان الناس في الجاهلية يدخل بعضهم على بعض بغير ما استئذان، وقد يصل أحدهم إلى قعر بيت الثاني ويرى ما لا ينبغي أن يراه وحتى يشعرهم الداخل بوجوده يقول «دخلت» وذوقيات كثيرة كانت مفتقدة أصلها الإسلام، فمن الذوق أن يستأذن الإنسان قبل الدخول قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾**.[5] ومن الذوق عند الإستئذان أن لا يرسل نظره إلى داخل البيت فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما أن رجلاً اطلع في جحر في باب رسول الله ﷺ ومع رسول الله ﷺ مدرىً يحك به رأسه، فلما رآه رسول ﷺ قال: «لو أعلم أنك تنظرني لطعنتك به في عينيك وقال رسول الله ﷺ «إنما جعل الإذن من أجل البصر».[6]

(١) موسوعة عمر بن الخطاب/ د. محمد رواس قلعجي ٦٤٢.

(٢) موسوعة عمر بن الخطاب، د. محمد رواس قلعجي ٦٥٨.

(٣) سورة النور، آية ٥٨.

(٤) سورة النور، آية ٥٩.

(٥) سورة النور، آية ٢٧.

(٦) رواه مسلم، كتاب الآداب، باب الاستئذان، رقم ٤٠١٣.

ومن الذوق ألا يبقى في الاستئذان طويلاً يطرق الباب ساعة أو يضغط على الجرس كثيراً، فعن أبي مبردة عن أبي موسى الأشعري قال: جاء أبو موسى إلى عمر بن الخطاب فقال: السلام عليكم هذا عبد الله بن قيس، فلم يأذن له، فقال السلام عليكم هذا أبو موسى، السلام عليكم هذا الأشعري ثم انصرف، فقال: ردوا علي ردوا علي فجاء فقال: يا أبا موسى ما ردك، كنا في شغل، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الاستئذان ثلاث فإن أذن لك وإلا فارجع».(١)

ومن الذوق ألا يقف المستأذن مستقبلاً الباب لئلا يرى أسرار البيت وعوراته، عن هذيل قال: جاء رجل فوقف على باب النبي ﷺ يستأذن فقام على الباب مستقبلاً الباب فقال له النبي ﷺ: «هكذا عنك أو هكذا فإنما الاستئذان من النظر».(٢)

ومن الذوق أن يكون الطرق معقولاً مقبولاً، عن أنس بن مالك «أن أبواب النبي ﷺ كانت تقرع بالأظافير».(٣) فإذا نُهي الزائر عن الإلحاح لأنه يؤدي إلى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من أكثر الناس.(٤)

٤- استواء الجد فيه والهزل

إن من كرامة الزوجية في التربية الإسلامية ألا تكون محل لعب وهزل واستفزاز وإثارة أعصاب، فاللعب والهزل منهي عنهما في النكاح والطلاق وعقوبته مغلظة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة».(٥) فبعض القوم يتعمد أموراً ترمي الزوجية في مقتل ولا ينتبه إلا متأخراً على فظاعة ما أتى فلا يجد مهرباً إلا أن يقول كنت أهزل وألعب وبعضهم قد يكون صادقاً في أنه كان يلهو ويهزل

---

(١) رواه مسلم كتاب الآداب، باب الاستئذان، رقم ٤٠١٠.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الإستئذان، وهو في صحيح أبي داود، للألباني، رقم ٤٢١٠.

(٣) الأدب المفرد ١٠٨٠، وهو في صحيح الأدب المفرد للألباني، رقم ٨٢٤، باب ٤٤٠.

(٤) تفسير آيات الأحكام للصابوني ٢/٨٢٢.

(٥) رواه الترمذي، كتاب الطلاق واللعان، باب في الجد والهزل في الطلاق ١١٠٤، وهو في صحيح الترمذي للألباني، رقم ٩٤٤.

ويلعب فالمسؤولية في الحالتين على الزوج ففي موطأ مالك أنه بلغه أن رجلاً قال لابن عباس: «إني طلقت امرأتي مائة مرة فماذا ترى علي، فقال ابن عباس، طلقت منك بثلاث وسبع وتسعون اتخذت بها آيات الله هزواً».[1]

إن كلمة الزواج تعني البناء وكلمة الطلاق تعني النهاية، فلا ينبغي لمؤمن يتعامل مع الله عز وجل الذي أخذ منه ميثاقاً غليظاً ﴿وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾،[2] أن يتلاعب بهذا الميثاق. قال أبو الدرداء: نزلت الآية: ﴿ولا تتخذوا آيات الله هزواً﴾ ذلك أن الرجل كان يطلق في الجاهلية ويقول: إنما طلقت وأنا لاعبٌ وكان ينكح ويقول: كنت لاعباً ولا خلاف بين العلماء أن من طلق هازلاً أن الطلاق يلزمه. وروي عن علي بن أبي طالب وابن مسعود وأبي الدرداء كلهم قالوا: ثلاث لا لعب فيهن واللاعب فيهن جاد النكاح والطلاق والعتاق».[3]

٥- الاهتمام بالزوجية:

اهتمت التربية الإسلامية بإعادة ضبط مقاييس الخيرية في الأفهام، ذلك أن نفراً من الناس لا يرون الشهادة إلا في ساحات الوغى ولا الإنفاق إلا للفقراء والمساكين، إلى غير ما هنالك من مقاييس خاطئة، فربى الرسول ﷺ الأمة على مقاييس الخيرية كما ارتضاها الشارع، والتي كان منها الاهتمام بالحياة الزوجية، وفي ذلك دليل على عظيم مكانة الزوجية في الإسلام. عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك: أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك»[4] وفي رواية للترمذي برواية ثوبان أن النبي ﷺ قال: «أفضل الدينار دينار ينفقه الرجل على عياله ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله ودينار ينفقه الرجل على أصحابه في سبيل الله» قال أبو قلابة بدأ بالعيال ثم قال فأي رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عيال له صغار يعفهم الله به ويغنيهم الله به».[5] وعن سعيد بن زيد قال: «سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥٦/٣.

(٢) سورة النساء، آية ٢١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ١٥٦/٣، ١٥٧.

(٤) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم، رقم ١٦٦١.

(٥) رواه الترمذي كتاب: البر والصلة، باب ما جاء في النفقة على الأهل، رقم ١٨٨٩، وهو في صحيح الترمذي للألباني، رقم ١٦٠١.

يقول: «من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد».[(١)]

٦- الإشادة بتاسيس الزوجية

إن كثرة الإجراءات التي أوجب بعضها الإسلام وندب إلى بعضها الآخر لصالح الزوجية مؤشر لمكانة الأسرة في التربية الإسلامية، اجراءات لحفظ الحقوق ومنع التلاعب وسهولة الفصل عند الخصام، واجراءات تناسب عظمة الانجاز ومنها الإشادة بتأسيس مؤسسة الزوجية، مما يدل على بالغ الاهتمام وعظيم المكانة ومن ذلك:

١- إعداد الوليمة:

إن إنجازاً يجتمع من ورائه رجل وامرأة لينجبا ذرية ولينعما بالسكينة والمودة وليعصما نفسيهما من الفتنة إنجاز حقيق بأن يجتمع له الناس، وهذا ما أمر به الرسول ﷺ عبد الرحمن بن عوف فهو القائل: «لما قدمنا المدينة آخى رسول الله ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع، فقال سعد بن الربيع إني أكثر الأنصار مالاً فأقسم لك نصف مالي وانظر أي زوجتي هويت نزلت لك عنها فإذا أحلت تزوجتها، قال: فقال له عبد الرحمن لا حاجة لي في ذلك، هل من سوق فيه تجارة، قال: سوق قينقاع قال: فغدا إليه عبد الرحمن، فأتي بأقط وسمن قال: ثم تابع الغدو، فما لبث أن جاء عبد الرحمن عليه أثر صفرة، فقال رسول الله ﷺ: تزوجت، قال: نعم، قال: ومن؟، قال امرأة من الأنصار، قال: كم سقت، قال: زنة نواة من ذهب، أو نواة من ذهب، فقال له النبي ﷺ: أولم ولو بشاة».[(٢)] وعن بيان قال: «سمعت أنساً يقول: بنى النبي ﷺ بامرأة فأرسلني فدعوت رجالاً إلى الطعام».[(٣)] ولا بأس بالتعاون على الوليمة، كما كان في زواج الرسول ﷺ بصفية أم المؤمنين «فأصبح النبي ﷺ عروساً فقال: من كان عنده شيء فليجيء به، قال: وبسط نطعا، قال: فجعل الرجل يجيء بالإقط وجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الرجل يجيء بالسمن، فحاسوا حيساً فكانت وليمة رسول الله ﷺ».[(٤)]

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الديات، رقم ١٢٤١ وهو في صحيح الجامع للألباني،-رقم ٦٤٤٥، وهو في صحيح الترمذي للألباني، رقم ١١٤٧ دون قوله «ومن قتل دون أهله فهو شهيد».

(٢) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب قول الرجل لأخيه انظر أي زوجتي شئت حتى أنزل لك عنها، رقم ١٩٠٧.

(٣) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب الوليمة ولو بشاة، رقم ٤٧٧٢.

(٤) رواه مسلم، كتاب النكاح، باب فضيلة اعتاقه أمته ثم يتزوجها، رقم ٢٥٦١.

٢- وجوب إتيان الوليمة

إن تجاوب المجتمع مع تأسيس الزوجية واجب في التربية الإسلامية لما في ذلك من تعميم للفرحة وإسعاد وترابط، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دعي أحدكم إلى وليمة عرس فليجب»،(١) وإن كان ثمة مانع من الأكل كالصيام فلا يمنعن ذلك من المشاركة لقوله ﷺ: «إذا دعي أحدكم فليجب فإن كان صائماً فليصل وإن كان مفطراً فليطعم».(٢) والإسلام يدعو كل قطاعات المجتمع أن تشهد هذا الإنجاز فمن حديث أنس أن رسول الله ﷺ استقبله نساء وصبيان وخدم جائين من عرس من الأنصار، فسلّم عليهم وقال: «والله إني لأحبكم».(٣)

٣- التهادي في الأعراس

عن أنس بن مالك رضي الله عنه تزوج رسول الله ﷺ فدخل بأهله قال فصنعت أمي أم سليم حيساً فجعلته في تور فقالت: يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ فقل له بعثت بهذا إليك أمي وهي تقرئك السلام وتقول: إن هذا لك منا قليل يا رسول الله».(٤)

٤- إباحة اللهو فيه

إن التربية الإسلامية تدعو إلى معايشة كل موقف وبما يتناسب ووقائعه، ففي الصلاة خشوع وخضوع وفي الوغى ﴿**وليجدوا فيكم غلظة**﴾،(٥) وفي الحوار ﴿**وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾(٦) وفي العرس دف وغناء وطرب، وكل ذلك وفق الضوابط الشرعية، أما ما يذهب إليه بعض القوم من تشنج في غير موقعه متذرعين بأدلة شرعية ينزلونها غير موضعها ويستشهدون بها والحق غير ما ذهبوا إليه فهذا انحراف عن الجادة، وفي الطرف الآخر تمييع لأساسات لها من الكتاب والسنة نصيب وهذا انحراف آخر.

(١) رواه مسلم، كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى الدعوة، رقم ٢٥٧٦.

(٢) رواه مسلم، كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى الدعوه، رقم ٢٥٨٤.

(٣) رواه البخاري (فتح الباري، ٥١٨٠)، كتاب النكاح، باب ذهاب النساء والصبيان إلى العرس.

(٤) رواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة الأحزاب، رقم ٣١٤٢، وهو في صحيح الترمذي للألباني، رقم ٢٥٧١.

(٥) سورة التوبة، آية ١٢٣.

(٦) سورة النحل، آية ١٢٥.

وتأسيس الزوجية مما يدعو إلى الفرح والأنس فأبيح فيه اللهو ومنه:

١- دعوة النساء والصبيان والخدم[١]

ذلك أن المرأة أقدر لطبيعتها على نشر الفرح والسرور، والصبية لغلبة الخفة والمرح واللعب في مرحلتهم وقلة الضوابط في حقهم أقدر على بث السرور والأنس، فعن عبد العزيز عن أنس رضي الله عنه قال: رأى النبي ﷺ النساء والصبيان مقبلين قال: حسبت أنه قال: من عرس فقام النبي ﷺ، ممثلاً فقال: اللهم أنتم من أحب الناس إليّ. قالها ثلاثاً مراراً».[٢]

٢- زف المرأة

إن انعزال الرجل والمرأة (العروس والعروسة) عن الناس في حفل التأسيس، واجتناب الناس فرحتهم أمر لا تقره التربية الإسلامية بل هي تدعو إلى زرع روح الفرح والأنس من الخطوة الأولى إلى آخر لحظة تودع فيها المرأة حياة العزوبية لبيان مكانة الحياة الجديدة فعن عائشة «أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال نبي الله ﷺ: يا عائشة ما كان معكم لهو، فإن الأنصار يعجبهم اللهو».[٣]

٣- الغناء

يعبر الإنسان عن أنسه وفرحه بوسائل شتى منها الابتسامة والضحكة والانشراح والغناء، وحدد الشارع موقفه من الفرح والسرور وصور التعبير عنهما، ومن ذلك دعوته إلى الغناء بضوابط منها ألا يكون الكلام فاحشا، وأن لا يكون من امرأة أجنبية في حضرة رجال أجانب، وأن لا يصاحبه معازف، وأن لا يرتبط بمعصية، كالاختلاط مثلاً، فإن سلم من ذلك كله، كان مرغوباً فيه مندوباً إليه. قال رسول الله ﷺ لعائشة: أهديتم الجارية إلى بيتها، قالت: نعم، قال: فهلا بعثم معهم من يغنيهم يقول:

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحياكم

فإن الأنصار قوم فيهم غزل».[٤]

---

(١) رواية عند أحمد في مسنده، رقم ١٢٠٦٤.

(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، رقم ٢٥٠١.

(٣) رواه البخاري، كتاب النكاح ، باب النسوة التي يهدين المرأة إلى زوجها ودعائهن بالبركة، رقم ٤٧٦٥.

(٤) رواه أحمد في باقي، مسند المكثرين، رقم ١٤٦٧٤.

وحدث خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ قالت: «دخل عليّ النبي ﷺ غداة بُني علي فجلس على فراشي كمجلسك مني وجويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر حتى قالت جارية وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال النبي ﷺ: «لا تقولي هكذا وقولي ما كنت تقولين».(١) وعن عامر بن سعد قال: «دخلت على قرظة بن كعب وأبي مسعود الأنصاري في عرس وإذا جوار يغنين فقلت أنتما صاحبا رسول الله ﷺ ومن أهل بدر، يفعل هذا عندكم، فقال اجلس إن شئت فاسمع وإن شئت اذهب لقد رخص لنا في اللهو عند العرس».(٢)

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، رقم ٢٧٠٠.

(٢) رواه النسائي، في كتاب النكاح، باب اللهو والغناء عند العرس، وهو في صحيح النسائي للألباني رقم ٣١٦٨.

المبحث الثاني

أهداف الحياة الزوجية في الإسلام

الهدف الأول: إبقاء النسل وتحقيق التكاثر

خلق الله أبا البشرية آدم ﷺ من العدم وخلق منه زوجه وشرع لهما النكاح وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، ليستمر النوع البشري، مع اهتمامه بالنوع مع الكم، وحرم عليهم الفواحش، فليس القصد قضاء شهوة بأي طريقة وإنما الهدف الأسمى مع اللذة المشروعة بالطريقة السوية: الولد، قال تعالى: ﴿**وابتغوا ما كتب الله لكم**﴾،[1] قال أبو هريرة وابن عباس وأنس وشريح القاضي ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء والربيع بن أنس والسدي وزيد بن أسلم والحكم بن عتبة ومقاتل بن حيان والحسن البصري والضحاك وقتادة وغيرهم يعني: الولد»،[2] وإلى هذه الغاية العظيمة من النكاح يشير قوله عز وجل ﴿**وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة**﴾.[3]

وحب الذرية والنسل مما فطر عليه الإنسان: قال تعالى: ﴿**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين**﴾،[4] وهذه الجبلة تدفع الإنسان إلى النكاح ليفرغ هذا الحب الفطري الذي جعله الله زينة الدنيا فقال: ﴿**المال والبنون زينة الحياة الدنيا**﴾،[5] فالنسل هدف والنكاح وسيلته، وهذا ما أكده الغزالي بقوله «الفائدة الأولى للنكاح الولد وهو الأصل وله وضع النكاح والمقصود ابقاء النسل وأن لا يخلو العالم عن جنس الإنس».[6]

ويثير الرسول ﷺ في الفئة المؤمنة حب التنافس في الخير، والمباهاة في النتائج يوم القيامة محركاً لذلك حبهم لنبيهم فمن أمارات صدق حب المحبوب تلبية ندائه وتحقيق رغباته

---

(١) سورة البقرة، آية ١٨٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم لإبن كثير ١/٢٢١.

(٣) سورة النحل، آية ٧٢.

(٤) سورة آل عمران، آية ١٤.

(٥) سورة الكهف، آية ٤٦.

(٦) إحياء علوم الدين، ٢/٢٤.

فقال ﷺ فيما يرويه معقل بن يسار قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال وإنها لا تلد أفأتزوجها، قال: لا، ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال: تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الامم»،(١) وفي حديث أبي داود آنفاً إشارة إلى تقديم الولد على اللذة الجنسية فقدم «الودود الولود» على ذات الجمال والحسب، وقيّد بهذين لأن الولود إذا لم تكن ودوداً لم يرغب الزوج فيها والودود إذا لم تكن ولوداً لم يرغب الزوج فيها والودود إذا لم تكن ولوداً لم يحصل المطلوب وهو تكثير الأمة بكثرة التوالد فإني مكاثر بكم الأمم.. أي مفاخر بسببكم سائر الأمم لكثرة أتباعي».(٢) وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً».(٣) وإن مما يمتن الله به على عباده إنعامه عليهم بالذرية، وفي ذلك بيان لأهمية النسل وإلا لما استحق أن يكون محل امتنان، قال تعالى: **﴿ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالاً ممدوداً وبنين شهوداً﴾**.(٤) وقال عز وجل: **﴿والله جعل لكم من انفسكم ازواجاً وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات، افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون﴾**(٥)

تبين التربية الإسلامية أن العمل على تكثير النسل ورعاية الذرية مسألة لا تقف دونها كثرة الأعمال والتفرغ كما يدعي بعض الناس لمعالي الأمور بدلاً من الاشتغال -كما يزعمون- بالأطفال، فها هم الأنبياء وهم صفوة الله في خلقه وأكثر الناس شغلاً وأرفع الناس عملاً يقول عنهم الله تعالى: **﴿ولقد ارسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم ازواجاً وذرية﴾**،(٦) ويبين الله سؤال غير واحد من الأنبياء عليهم السلام ودعاؤهم مولاهم بالنسل والذرية، منهم نبي الله زكريا ﷺ قال تعالى: **﴿هنالك دعا زكريا ربه، قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقاً**

---

(١) رواه أبو داود، كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لا يلد من النساء، رقم ١٧٥٤، وهو في صحيح أبي داود للألباني، ١٨٠٥.

(٢) عون المعبود، شرح سنن أبي داود، ٢٢/٢.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ أنا أول الناس يشفع... رقم ٢٠٨٩.

(٤) سورة المدثر، آية ١١.

(٥) سورة النحل، آية ٧٢.

(٦) سورة الرعد، آية ٣٨.

بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين﴾.[1] ومما بشر به نبي الله إبراهيم ﷺ الذرية قال تعالى: ﴿وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾[2]، ويبين سبحانه أن من دعاء الصالحين طلب الولد، قال جل وعلا: ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين إماما﴾.[3] وفيه جواز الدعاء بالولد ذلك أن الإنسان إذا بورك له في ماله وولده قرت عينه بأهله وعياله، حتى إذا كانت عنده زوجة اجتمعت له فيها أمانيّه من جمال وعفة ونظر وحوطة أو كانت عنده ذرية محافظون على الطاعة معاونون له على وظائف الدين والدنيا لم يلتفت إلى زوج أحد ولا إلى ولده فتسكن عينه عن الملاحظة ولا تمتد عينه إلى ما ترى فذلك حين قرة العين وسكون النفس.[4]

إن الله عز وجل جمّل نعمة الولد مما يحفز إلى إكثار النسل وإبقاء جنس الإنسان فبين:

أولاً: أن المحسن في تربية بناته يناله أجر عظيم لقوله ﷺ: «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه»[5] وقال عقبة بن عامر الجهني: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يكون لأحدكم ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فيحسن إليهن إلا دخل الجنة».[6]

وثانياً: بقاء العمل بالولد الصالح: فكما في الحديث عنه ﷺ أنه قال: إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له».[7]

وثالثاً: عظيم الأجر بوفاة الولد: لقوله ﷺ «ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار، فقالت امرأة: واثنين فقال واثنين»[8] وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم».[9]

---

(١) سورة آل عمران، آية ٣٩.

(٢) سورة هود، آية ٧١.

(٣) سورة الفرقان، آية ٧٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٨٢/٧.

(٥) رواه مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات، رقم ٤٧٦٥، عن أنس بن مالك.

(٦) رواه الترمذي، كتاب البر والصلة، رقم ١٨٣٥.

(٧) رواه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم ٣٠٨٤، عن أبي هريرة.

(٨) رواه البخاري، كتاب العلم باب، هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم، رقم ٩٩، عن أبي سعيد الخدري.

(٩) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، رقم ٤٧٦٦.

إن النص القرآني يدعو صراحة الأمة إلى ابتغاء الولد من وراء الجماع كما ذهب إلى ذلك عدد كبير من المفسرين لقوله تعالى: ﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾،[1] فقالوا: المراد بالابتغاء في الآية الولد قاله ابن عباس ومجاهد، وآخرون[2]، أي انووا في مباشرتكم لزوجاتكم التقرب إلى الله تعالى، والمقصود الأعظم من الوطء، وهو حصول الذرية وإعفاف فرجه وفرج زوجته وحصول مقاصد النكاح،[3] ويبوّب البخاري في صحيحه في كتاب النكاح باباً فقال «باب طلب الولد»[4] وقال ابن حجر في تعليقه عليه «أي بالاستكثار من جماع الزوجة أو المراد الحث على قصد الاستيلاد بالجماع لا الاقتصاد على مجرد اللذة»،[5] فإن المباشرة في تلك العلاقة وسيلة لا غاية وسيلة لتحقيق هدف أعمق في طبيعة الحياة هدف النسل وامتداد الحياة ووصلها كلها بعد ذلك بالله،[6] وإن كان هدف الزواج بواحدة إبقاء الجنس الإنساني وإكثار الأمة الخاتمة الشاهدة فمن باب أولى أن يكون من حكم إباحة التعدد، مضاعفة النسل لإكثار أمة التوحيد.

إن من أخطر المشكلات الراهنة والتي تشتكي منها دول شتى الخلل في التركيبة السكانية وما يتبعها من ضياع الهوية وذوبان الشخصية والغزو الفكري وذهاب العادات الأصيلة وانتشار الأمراض والعلل غير الانهزام النفسي عدا ما هنالك من إتفاقيات كالإتفاقية التي أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في ديسمبر ١٩٩٠ بإسم «الاتفاقية الدولية لحماية حقوق المهاجرين وأفراد أسرهم» وما في هذه الاتفاقية من خطورة على دول نسبة المهاجرين من غير المسلمين فيها تزيد على ٥٠٪، والأمة تشتكي في بعض جنباتها من هذه الآفة بيد أن الحل عندها وذلك بتحقيق هدف شرعي مراد والمتمثل في إكثار النسل بالزواج.

إن التربية الإسلامية ترفض كل طريقة تمنع النسل أو تبيده باختلاف المبررات فمنعت:

---

(١) سورة البقرة، آية ١٨٧.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، لإبن الجوزي، ١٧٤/١.

(٣) تيسير الحكيم لعبد الرحمن السعدي، ٢٢٥/١.

(٤) فتح الباري، لإبن حجر ٤٢٧/١٠.

(٥) فتح الباري، لإبن حجر ٤٢٧/١٠.

(٦) في ظلال القرآن، سيد قطب ٢٤١/١.

١- وأد البنات خوف العار، قال تعالى: ﴿**وإذا بشر احدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون أم يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون**﴾[1] وقال سبحانه: ﴿**وإذا الموؤدة سئلت باي ذنب قتلت**﴾.[2]

٢- قتل الأولاد خشية الفقر: قال تعالى: ﴿**ولا تقتلوا اولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم**﴾.[3]

٣- الإجهاض: قال أهل العلم: لا يجوز أن تجهض المرأة إلا أن تخشى على جنينها أو على نفسها الضرر الذي يثبته الطبيب الثقة».

٤- عمليات منع الحمل المؤبد: قال أهل العلم: لا يجوز الربط وهو عملية جراحية مؤداها منع الحمل على التأبيد، إلا إذا تأكد حصول الخطر من حمل المرأة بعد استشارة إخصائية من الثقات.[4]

الهدف الثاني: الإحصان والإعفاف

جبل الله الذكور على حب الإناث، قال تعالى: ﴿**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المئاب**﴾،[5] وتُحرك شهوة الرجال نحو النساء أجسامهن وأصواتهن ومشيتهن وضحكتهن حتى أصوات خلخالهن لذلك نهى الله عن كل سبب فتنة منهن كبر أو صغر قال تعالى: ﴿**ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن**﴾.[6] ونهى عن خروجهن مستعطرات لقوله ﷺ فيما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: «كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية»[7] ونهى عن الحجاب المتبرج فعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط

---

(١) سورة النحل، آية ٥٨.

(٢) سورة التكوير، آية ٨.

(٣) سورة الأنعام، آية ١٥١.

(٤) انظر تنظيم الأسرة وتنظيم النسل للإمام محمد أبو زهرة.

(٥) سورة آل عمران، آية ١٤.

(٦) سورة النور، آية ٣١.

(٧) رواه الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية خروج المرأة متعطرة، رقم ٢٧١٠، وهو في صحيح الترمذي للألباني، ج٢، رقم ٢٢٣٧.

كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا».[١] إلى غير ما ورد من باب سد الذرائع ودرء المفاسد المثيرة لشهوة الرجال لذلك قدمهن الله في الآية. وفي تقديمهن إشعار لعراقتهن في معنى الشهوة، إذ يحصل منهن أتم اللذة. لذلك حذر الرسول ﷺ من فتنة النساء فقال: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء».[٢] ففي الحديث أن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن، ويشهد له قوله تعالى ﴿**زُيِّن للناس حب الشهوات من النساء**﴾ فجعلهن من حب الشهوات، وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك[٣] وهذا الحب لن يقف عند درجة خفقان القلوب وتوتر الأعصاب، بل إن تُرك بلا تفريغ في قوالب سليمة فكُبت قد يتطور الأمر إلى أمراض تتفاوت نسبة خطورتها من آدمي إلى آخر، هذا إذا لم ينحرف قوم في تفريغه فيميل إلى الشذوذ الجنسي، إما باستعمال العادة السرية، قال الغزالي: «إنصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس، وبقي شاب لم يبرح، فقال له ابن عباس: هل لك من حاجة؟ قال نعم. أردت أن أسألك مسألة فاستحييت من الناس، وأنا الآن أهابك، وأجلّك. فقال ابن عباس: إن العالم بمنزلة الوالد، فما كنت أفضيت به إلى أبيك، فأفض إليّ به. فقال: إن شاب لا زوجة لي وربما خشيت العنت على نفسي، فربما استمنيت بيدي، فهل في ذلك معصية، فأعرض عنه ابن عباس ثم قال: أف وتف، نكاح الأمة خير منه، وهو خير من الزنا».[٤] وإما بالتمادي في النظر إلى المثيرات لدرجة الانزال أو بميل الذكران إلى بعضهم، وهو ما يعرف بعمل قوم لوط[٥] أو بميل النساء إلى بعضهن وهو ما يعرف بالسحاق، أو الزنا،

---

(١) رواه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب الكاسيات العاريات المائلات المميلات، رقم ٢٩٧١.

(٢) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب ما يُتقى من شؤم المرأة، رقم ٤٧٠٦.

(٣) فتح الباري، لابن حجر، ١٠/١٧٢.

(٤) إحياء علوم الدين للغزالي، ٢/٢٩، قال المباركفوري: استدل بهذا الحديث «يا معشر الشباب» بعض المالكية على تحريم الاستمناء، لأنه أرشد عند العجز عن التزويج إلى الصوم الذي يقطع الشهوة، فلو كان الاستمناء مباحاً لكان الإرشاد إليه أسهل وتعقب دعوى كونه أسهل لأن الترك أسهل من الفعل، وقد أباح الاستمناء طائفة من العلماء، وهو عند الحنابلة وبعض الحنفية لأجل تسكين الشهوة، كذا في فتح الباري، قلت: في الاستمناء ضرر عظيم على المستمني بأي وجه كان، فالحق أن الاستمناء فعل حرام لا يجوز ارتكابه لغرض تسكين الشهوة، ولا لغرض آخر، ومن أباحه لأجل التسكين فقد غفل غفلة شديدة، ولم يتأمل فيما فيه من الضرر، هذا ما عندي والله تعالى أعلم». تحفة الأحوذي، شرح جامع الترمذي، ٤/١٦٩.

(٥) رأيت بعض أهل العلم وعموم العوام يقولون: «اللواط» وهذا لا يصح لأن لوط ﷺ نبي فلا يصح تسمية خلق ذميم بإسم نبي مكرم.

ففي الصحيح أن شاباً صحابياً يجد ما يجد الشباب عادة من شهوة ورغبة في النساء ملحة ولعل أموراً تمنعه من الزواج وإيمانه يمنعه من الفاحشة، فيأتي رسول الله ﷺ يطلب فتوى من سيد الإفتاء يبيح له بها الزنا فيقول: «يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، قالوا: مه مه، فقال: أدنه فدنا منه قريباً، قال فجلس قال أتحبه لأمك قال لا والله جعلني الله فداءك قال والناس لا يحبونه لأمهاتهم، قال أتحبه لإبنتك قال لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال أفتحبه لأختك، قال لا والله جعلني الله فداءك، قال ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال أفتحبه لعمتك قال لا والله جعلني الله فداءك، قال ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال أفتحبه لخالتك قال لا والله جعلني الله فداءك، قال ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال فوضع يده عليه وقال اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصّن فرجه فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء».[(١)] إلى غير ما هنالك مما تفنن في اختراعه الناس لإشباع شهواتهم، وفي مجال التربية للجماعة المسلمة يكشف لها عن البواعث الفطرية الخفية التي من عندها يبدأ الانحراف إذا لم تضبط باليقظة الدائمة ولما كانت هذه الرغائب والدوافع طبيعية فطرية ومكلفة من قبل الباري -جل وعلا- فإن الإسلام لا يشير بكبتها وقتلها ولكن إلى ضبطها وتنظيمها وتخفيف حدتها واندفاعها وإلى أن يكون الإنسان مالكاً لها متصرفاً فيها لا أن تكون مالكة له متصرفة فيه وإلى تقوية روح التسامي فيه والتطلع إلى ما هو أعلى»،[(٢)] والرسول ﷺ وهو الحيي الأول «كان أشد حياءاً من العذراء في خدرها»[(٣)] ما كان من دلائل الحياء امتناعه عن التصريح بميله للنساء فقال: «حبب إلي من الدنيا الطيب والنساء، وجعل قرة عيني في الصلاة»[(٤)] فلا ينبغي مصادمة النفس البشرية بالكبت ولكن تفريغ شهوتها بالزواج الذي مؤداه العفة والحصانة، ولعل ميل الجنسين إلى الآخر أشد ما يكون في ريعان الشباب حيث «تبقى الأجهزة التناسلية في الذكر والأنثى هاجعة طوال فترة الطفولة ثم تنتبه فبالنسبة لبلوغ الذكر فإن الغدد النخامية ترسل هرموناتها إلى الخصية فتنبه الخلايا الجرثومية فتنقسم لتكون الحيوانات المنوية بالملايين بل بآلاف الملايين وترسل الغدة النخامية هرموناً آخر ينبه الخلايا

(١) رواه أحمد، باقي مسند الأنصار، رقم ٢١١٨٥.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/٢٧٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحياء رقم ٥٦٣٧.

(٤) روه النسائي، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، رقم ٣٨٧٨، وهو في صحيح النسائي للألباني، رقم ٣٦٨٠.

الخلابية فتقوم بتحويل الصبي إلى فتى وذلك بتنمية العضلات والعظام ونمو شعر الذقن والشارب وبقية الجسم كما أن الصوت يغلظ ويصبح أجش وتنمو الأعضاء التناسلية الباطنة والظاهرة ويصحب ذلك تغيرات نفسية وخلقية وتظهر علامات الرجولة والفحولة في الفعل والكلام كما يبدأ الميل للجنس الآخر»[١] وأكد على هذا الميل طاووس ومقاتل في تفسير قوله تعالى: ﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾:[٢] أنه قلة الصبر عن النساء»،[٣] والرجال وإن بلغوا الثمانين بل وجاوزا المئة بمئتين تبقى شهوتهم متحركة، قال ابن المسيب: «لقد أتى علي ثمانون سنة وذهبت إحدى عيني وأنا أعشو بالأخرى وصاحبي أعمى أصم -يعني ذكره- وإني أخاف من فتنة النساء ونحوه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال عبادة: ألا تروني لا أقوم إلا رفداً ولا أكل إلا ما لوّق لي -قال يحيى: يعني لين وسخن- وقد مات صاحبي منذ زمان- قال يحيى: يعني ذكره- وما يسرني أني خلوت بامرأة لا تحل لي وأن لي ما تطلع عليه الشمس مخافة أن يأتيني الشيطان فيحركه علي إنه لا سمع له ولا بصر».[٤]

وأما بلوغ الأنثى «فتقوم الغدة النخامية بإرسال هرموناتها ومن أنواعها «الهرمون المنشط والمنمي للخلايا التناسلية الموجودة بالمبيض F.S.H فتنمو ومن أنواعها الهرمون المنمي والمنشط للجسم الأصفر L.H وتقوم الغدة النخامية بتنمية هذا الجسم الأصفر لأن له وظيفة هامة هي إفراز مادة البروبستون التي تهيء الرحم للحمل فإذا ما تم الحمل وعلقت البويضة الملقحة بالرحم وأصبحت علقة عالقة بجداره استمر نمو الجسم الأصفر ليواصل المحافظة على الجنين أما إذا لم يحصل الحمل فإن الجسم الأصفر يذوي ويتوقف عن ارسال هرمونات فيحزن الرحم لذلك ويبكي دماً، وذلك هو الحيض وهو أول علامة من علامات البلوغ ويصحب بداية الحيض تغيرات كاملة في جسم الفتاة وفي نفسيتها وشخصيتها، فيعتدل قوامها ويمتلئ جسمها بطبقة دهنية تحت الجلد فتكسب الجسم استدارة مليحة وامتلاءاً مرغوباً ويتسع الحوض ويكتمل نمو أعضاء التناسل الباطنة والظاهرة فتكسب جمال المنظر ورشاقة القوام

---

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار ٤٧-٥٢ بتصرف.

(٢) سورة النساء، آية ٢٨.

(٣) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، ١١٢/٢، وأورده الغزالي في الاحياء ٢/ ، وقال عن عكرمة ومجاهد إلا أني لم أجده في تفسير الإمام مجاهد بن جبر، تحقيق د. محمد عبد السلام.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤٩/٥، وقوله رفدا : أي إلا أن أعان على القيام.

ونضارة الطلعة وكلها عوامل قوية للإغراء وتضيف إليها ذلك الخفر المحبب والحياء الجميل وشيئاً من الدلال»[١] ولهذا كله نصح الرسول ﷺ الشباب المراهق «والرهق الغشيان، ومنه غلام مراهق إذا غشي الاحتلام»،[٢] المتقد غالباً شهوةً وحيويةً فقال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[٣] ونلاحظ في الحديث أن رسول الله ﷺ ركز في دعوته الشباب إلى الزواج على أثره في الأحصان والعفة ولم يتطرق إلى فوائد الزواج الأخرى لأنه خاطب مرحلةً تكون فيها الشهوة في الغالب أكثر حرارة وحاجة للتهذيب ويؤكد هذا المعنى ما نراه من فقه البدائل في قوله ومن لم يستطع -أي النكاح- فعليه بالصوم والذي يجفف ينابيع الشهوة -فإنه له وجاء، «وبين لمن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه فعليه بالصوم ليدفع شهوته ويقطع شر منيه، كما يقطعه الوجاء وعلى هذا القول وقع الخطاب مع الشبان الذين هم مظنة شهوة النساء ولا ينفكون عنها غالباً»[٤]

ومن شدة حرص التربية الإسلامية على الحصانة حتى للمتزوج الذي قد تثيره أخرى غير زوجته دعت إلى تفريغ الشهورة سريعاً كما في حديث رسول الله ﷺ الذي يرويه جابر: أن رسول الله ﷺ رأى امرأة فأتى امرأته زينب وهي تمعس منيئةً لها، فقضى حاجته ثم خرج إلى أصحابه فقال: «إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه»[٥] وفي رواية أخرى لمسلم «إذا أحدكم أعجبته المرأة»[٦] وفي رواية أبي داود «فليأت أهله فإنه يضمر ما في نفسه»[٧] «يضمر ما في نفسه أي يضعفه ويقلله من الضمور وهو الهزال والضعف»،[٨] ومن حرصها على الحصانة

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، ٤٧-٥٢ بتصرف.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٨/٢٩٧.

(٣) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب قول النبي «من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، رقم ٤٦٧٨.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٥/١٨٨.

(٥) رواه مسلم، كتاب النكاح، باب: ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه إلى أن يأتي امرأته أو جاريته فيواقعها، رقم ٢٤٩١.

(٦) رواه مسلم، كتاب النكاح، باب: ندب من رأى امرأة ٥/١٩٢.

(٧) رواه أبو داود، كتاب النكاح، باب ما يؤمر به من غض البصر، رقم ١٨٣٩، وهو في صحيح أبي داود، رقم ١٨٨٣.

(٨) عون المعبود، ج٣، ٦/١٢٢.

أيضاً إباحة التعدد للرجال كون بعض القوم لا تتحقق له الحصانة بواحدة فكان التشريع ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾[1] سداً للذرائع ودرءاً للمفاسد، وقد يتحجج فريق من الناس بقوة التقوى في عدم التأثر بالنساء وفي التراخي في الزواج وهي حجة مردودة صحيح أن التقوى يلجم عن اقتحام الفواحش ولكن «غايته أن يكف الجوارح عن إجابة الشهوة فيغض البصر ويحفظ الفرج، فأما حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا يدخل تحت اختياره، بل لا تزال النفس تجاذبه وتحدثه بأمور الوقاع ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس إليه في أكثر الأوقات وقد يعرض له ذلك في أثناء الصلاة».[2]

إن الله جعل عون مريد العفاف حق له عليه سبحانه وتعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة حق على الله عونهم المجاهد في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الاداء والناكح الذي يريد العفاف»،[3] فالذي يريد صون نفسه من رذائل الفاحشة يمده الله لما يكابد مثله من أثر مدافعة الحرام الذي يراه من جهة وفطرة غريزية لا تهدأ حتى تشبع بالنكاح، وإنما أثر هذه الصيغة إيذاناً بأن هذه الأمور من الأمور الشاقة التي تفدح الإنسان وتقصم ظهره، لولا أن الله تعالى يعينه عليها لا يقوم بها، وأصعبها العفاف لأنه قمع الشهوة الجبلية المركوزة فيه، وهي مقتضى البهيمية النازلة في أسفل السافلين، فإذا استعف وتداركه عون الله تعالى ترقى إلى منزلة الملائكة وأعلى عليين».[4]

إن انصراف الناس عن الإحصان والإعفاف مدعاة للبلاء والوباء ذلك أن هذه الشهوة المتفجرة من مجموع الرجال والنساء مع شيوع الفاحشة في البر والبحر والتي تنضج الصغير قبل أوانه وتصيب الكبير إن اعتادها واستمرأها بالشذوذ الجنسي إن لم تفرغ بالنكاح خيف على عموم الأمة ما أشار إليه الرسول ﷺ بقوله «إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد

(١) سورة النساء، آية ٣.

(٢) إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، ٢/٢٨.

(٣) رواه الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في المجاهد والمكاتب والناكح، عون الله اياهم رقم ١٥٧٩ وهو في صحيح الترمذي، رقم ١٣٥٢.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري، ٥/٢٤٢.

عريض»[1] إذ ربما يبقى أكثر النساء بلا أزواج، وأكثر الرجال بلا نساء، فيكثر الافتتان بالزنا وربما يلحق الأولياء عار فتهيج الفتن والفساد ويترتب عليه قطع النسب وقلة الصلاح والعفة.[2] وكان بمقدور البشرية لو آمنت أن تعصم نفسها النتائج القاتلة جراء الانحراف والانسياق وراء الغواية، وهذا ما أخبر به الرسول ﷺ فعن عبدالله بن عمر قال: «أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا».[3] وها هو العالم أجمع يشتكي من أمراض فتاكة قاتلة، زرعت الرعب في النفوس حتى أن بعض الدول تشترط فحصاً طبياً موثقاً لإتمام اجراءات الزواج وهذه بعض البيانات الخطيرة:

- «هناك زيادة بنسبة ٨٠ في المئة في الحالات المشتبهة لسرطان عنق الرحم للفتيات البالغ أعمارهن من ١٥ سنة إلى ٢٢ سنة وذلك في خلال أربع سنوات من ١٩٧٠ إلى ١٩٧٤، ويرجع الباحثون هذه الزيادة الرهيبة إلى الزيادة المضطردة في الممارسات الجنسية بدون تمييز».

- «وفي تقرير نشرته الشرق الأوسط ١٤٠٣/١٢/١٧هـ، ١٩٨٣/٩/١٣م وأعدته لجنة يرأسها عضو مجلس الكونجرس جورج ميلر، إن في الولايات المتحدة ١٢.٥ مليون طفل أمريكي يعيشون مع أمهاتهم فقط، لأنه لا يعرف لهم أباء أصلاً أو بسبب الطلاق».

- «ذكرت مجلة التايم الإمريكية في عددها الصادر ٦ أغسطس ١٩٨٤ أن الرقم ارتفع إلى ٥٠ مليون حالة اجهاض جنائي سنوياً في العالم.

- عدد الشاذين جنسياً في الولايات المتحدة يبلغون ١٧ مليوناً ويقدرهم بعض الباحثين بعشرين مليوناً.

---

(١) رواه الترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء في من ترضون دينه فزوجوه، رقم ١٠٠٥؛ وهو في صحيح الترمذي للألباني، رقم ٨٦٦.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري، ٤/١٧٢.

(٣) رواه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب العقوبات، وهو في صحيح ابن ماجه للألباني، رقم ٢٢٤٦.

- ينتشر في الشاذين جنسياً مجموعة من الأورام الخبيثة المرتبطة بالشذوذ الجنسي نوجزها فيما يلي:

١- ورم كابوسي ساركوما (غرن كابوسي).

٢- التهاب الكبد الفيروسي وله علاقة بسرطان الكبد.

٣- انتشار الزهري وبقع اللسان البيضاء.

٤- زيادة في سرطان الشرج والمستقيم.

- مليون طفل يعتدى عليهم جنسياً سنوياً في الولايات المتحدة.
- إن خمسمائة طفل يباعون إلى محلات الدعارة في كل أسبوع في تايلند.
- المصابون بالسيلان (الجونوريا) ٢٥٠ مليون في العالم و ٥٠ مليون إصابة بالزهري سنوياً، أما الهربس ففي الولايات المتحدة وحدها ٢٠ مليون اصابة.
- يقدر عدد الفتيات اللاتي كانت لهن علاقة جنسية بآبائهن بـ ١٢ إلى ١٥ مليون فتاة».
- في اجتماع منظمة الصحة العالمية الثامن والعشرين المنعقد في ١٩٧٥ والذي حضره مائتي مندوب صدر القرار التالي (إن الأمراض الجنسية هي أحد أهم الأمراض التي تشكل تهديداً خطيراً على الصحة العامة في العالم اليوم وللأسف فإن كثيراً من الدول لم تدرك بعد أبعاد هذه المشكلة».[1]

إن التربية الإسلامية تهدف إلى إشباع غريزة جبل عليها الإنسان، وحفظ الخيال والتصور من المثيرات، وصيانة المجتمعات من نتائج الانحرافات الجنسية، ومن أضمن الطرق لتحقيق هذه النتائج في التربية الإسلامية الزواج...

الهدف الثالث: السكن والراحة النفسية

إن التربية الإسلامية تهدف من وراء الزوجية إلى إشاعة السكينة والمودة والرحمة في نفوس الأزواج والزوجات والذريات، قال تعالى: ﴿**ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾، لذلك نرى الزوجان يتوادان ويتراحمان من غير رحم بينهما.

---

(١) الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها، د. محمد علي البار، ص٢٧، وما بعدها بتصرف.

إن هدف إبقاء الجنس الإنساني وتحقيق الحصانة والوقاية من الانحرافات إن هذين الهدفين الرئيسين للزوجية في الإسلام لا يتحققان تمام التحقق إن لم تكن بين الزوجين سكينة ورحمة ومودة، ذلك أن النسل لا يصير بين اثنين لا سكن بينهما لذلك قال ﷺ «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»[1] فاشترط في الولود المحققة للهدف الأول للنكاح والذي بها المكاثرة ومفاخرته الأمم الود لأن الولود إذا لم تكن ودوداً وسكناً لم يرغب الزوج فيها، وإن أبقاها الزوج مع عدم ارتياحه وبقيت عنده مع عدم ارتياحها لا يتحقق مع هذا الهدف الأول وهو النسل التابع للرسول ﷺ والذي يستحق أن يكون محل افتخاره، فليس القصد أن يكبر الورم والاهتمام بالنوع مقدم على الحرص على الكم، ذلك أن الذرية التي تعيش بين أبوين لا يجدان بينهما السكن في الغالب معذبة مشتتة تميل إلى الإنحراف، وأما الإحصان والإعفاف كهدف رئيس للزوجية فإنه وبدون سكن لن تنمزج النفوس والأعصاب والأعضاء، فليس القصد تفريغ شهوة، فكم من زانٍ يفرغ شهوته مع من لا يجد منها سكن ولا مودة ولا رحمة، ثم إن كانت الزوجية بلا سكن ومحبة وذوبان فذلك في العادة مدعاة للانحراف، لذلك كله هدفت التربية الإسلامية من وراء الزوجية إلى السكن والمحبة والألفة.

إن الإنسان اجتماعي بطبعه مفرغٌ لهذه النفسية منذ نعومة أظفاره بنسب تتفاوت بين الناس وموجهها سكن الإنسان إلى هذا أو إلى ذاك وتصل قمتها عند البلوغ والرشد حيث يحتاج إلى من يسكن إليها وتسكن إليه، لذلك قرر الله عز وجل أن الرجال والنساء في الأصل شيء واحد والشيء الواحد يسكن إلى بعضه فقال تعالى: ﴿**هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها**﴾[2] وقرر سبحانه أن الفرع يحن إلى أصله ويرتبط به ولا ينفك عنه وأن الأصل يأنس إلى فرعه ويرحمه ويوده ويشفق عليه، فقال سبحانه: ﴿**ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾، والمرأة فرع الرجل كما قال ﷺ: «فإن المرأة خلقت من ضلع»[3] وفيه إشارة إلى أن حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر وقيل ضلعه القصير.[4]

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة الأعراف، آية ١٨٩.

(٣) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، رقم ٣٠٨٤ عن أبي هريرة.

(٤) فتح الباري، لابن حجر ١٢/٧.

وفي الزواج سكن للرجل والمرأة مختلف عن سكن الرجل لأمه لما في سكنه إلى زوجته من ملاعبة وملامسة ومناكحة يحرم ذلك مع أمه ومختلف عن سكن المرأة إلى والدها وإخوانها لما في سكنها إلى زوجها من دلال ورقة وتغنج لا يكون مع المحارم.

وفي الزوجية سكن بسبب الاستمتاع غير المباضعة لرجل يرى الزينة من كحل وعطر وصوت ورقص إلى ما هنالك من سحر المرأة والمرأة ترى الرجولة والألفة والغزل والإقبال إلى ما هنالك من فتنة الرجال وفي هذا السكن للزوج والزوجة ترويح النفس وإيناسها وإراحة القلب من هموم الحياة وكدها، وفي الاستئناس دفع للملل فلا بد من ترويح النفس باللذات والمباحات في بعض الأوقات لأن ذلك مدعاة نشاطها وقوتها وانتعاشها، وهذا ما كان رد الرسول ﷺ على الصحابي الذي ظن أن مخالطة النساء ومعافستهن والسكن إليهن من امارات النفاق، فقال بعد أن التقى الصديق رضي الله عنه وسأله عن حاله: «نافق حنظلة، قال: سبحان الله ما تقول قال قلت نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً، قال أبو بكر فوالله إنا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، قلت: نافق حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ، وما ذاك، قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً، فقال رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده أن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات».[1] وفي رواية له: «ثم جئت إلى البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت المرأة»، فأعلمهم النبي ﷺ أنه ليس بنفاق وأنهم لا يكلفون الدوام على ذلك و«ساعة وساعة» أي: ساعة كذا وساعة كذا.[2]

إن من معاني السكن بين الزوجين ما هو ملاحظ مشاهد من اتصافهما بعد الزواج في الغالب بحسن السمت وهدوء الجوارح وثقل الشخصية، بينما قبل الزوج في الغالب يكون منهما الانطلاق والتخفف والخفة والشرود والسرحان.

---

(١) رواه مسلم، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر، رقم ٤٩٢٧.

(٢) صحيح مسلم، بشرح النووي، ٧٨/٩.

إن التربية الإسلامية تؤكد على الزوجة أن تكون سكناً لزوجها فوق ما جبلت عليه من سكن له وألفة ومودة، وهذا نراه واضحاً في سيرة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، عندما جاءها زوجها النبي ﷺ وهو في قمة التوتر والاضطراب لمخلوق رآه بأجنحة وهيئة لم ير قبله مثله وذلك في ظلمة الليل على قمة جبل، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهوالتعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ، قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ، قلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرا وربك الاكرم﴾** فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق».(١)

اهداف اخرى

أ- مغالبة النفس ومجاهدتها برعاية الزوجة والأولاد والقيام بحقوقهم وبتحمل أذاهم والعمل على تربيتهم التربية الإسلامية ومتابعتهم وحمايتهم حتى يصل به الحال إلى إفناء نفسه من أجلهم فيجد الأنس إذا تعب لإسعادهم والراحة إذا آثر حظهم على حظ نفسه، حتى عُد شهيداً من مات دون أهله وخير دينار ما أنفقه الرجل لبيته وكذا المرأة تجاهد نفسها لإسعاد زوجها والقيام بخدمته وتتحمل ثقل الحمل وآلام الطلق وتعب الرضاعة ومشاق التربية،(٢) وهذا هدف تربوي من وراء الزوجية وهو تربية النفس على العطاء والتجاوب والإيثار والتضحية وتهذيب الأنا والذات.

ب- تفريغ القلب عن تدبير الشؤون المنزلية لإستغلال الوقت والتفرغ للمهام المنوطة، وإشتغال المرأة بتهيئة المنزل للزوج من شأنه أن يريح الزوج وأن يؤنسه وأن يكسبها الأجر والمثوبة.

---

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي رقم ٣.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ٢/٢٢.

المبحث الثالث

سمات الحياة الزوجية في الإسلام

السمة الأولى: الزواج عبادة

إن الله خلق الإنسان للعبادة، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾،[1] فكل فعل وقول وسكنة ونية إما أن تكون عبادة تناسب سبب الوجود الآدمي، وإما مخالفة تصطدم ووظيفة الخلافة ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾،[2] وتأتي التشريعات لتحدد للإنسان العبادة والمعصية، فمن أدّى العبادة فقد حقق غاية وجوده ومن قصر فيها أو تخلى عنها فقد أبطل غاية وجوده وانتهى إلى التخبط والضياع، وتوسع الشريعة مفهوم العبادة بمدلول لا ينحصر في مجموعة الشعائر على أهميتها ولكنها جزء من كل ونوع من مجموع، ذلك أن الخلافة في الأرض تستدعي ألواناً من الممارسات فجعل الله لها قوالب شرعية حتى تتوافق مع الكون العابد ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾[3] ومن أهم ما يتعبد به الله عز وجل النكاح، فليس الأمر التقاء سالب وموجب أو ذكر وأنثى أو تفريغ شهوة إنما هو موافقة محبة الله عز وجل وسنة الحبيب ﷺ، ثم الغايات الأخرى تأتي كمقاصد تبعية.

إن اختلال مقاصد الناس في الجنس الآخر يدفعهم إلى اعتبار المسألة قضاء حاجة بأي طريقة وافقت، إن كانت برضا الطرفين لتنتهي حياتهما بعد لحظة، أو بقسر أحد الجنسين للآخر، في المساكن أو في الطرقات أو حتى في وسائل الإعلام أو في نوادي العراة، الذكر مع الأنثى أو إتيان الذكران لبعضهم أو بالسحاق ولا بأس عند فريق من الناس استخدام الأيدي والمبتكرات المثيرة حتى الإنزال، بينما التربية الإسلامية تنظم الأمر لأنه عبادة، فله أحكام وواجبات وآداب وفيه فقه الحلال والحرام، فملعون من عمل عمل قوم لوط وملعونة من تباشر السحاق وملعون من أتى زوجه في دبرها ولا بد في المباشرة من الستر فحرم مجرد إشغال

---

(١) سورة الذاريات، آية ٥٦.

(٢) سورة البقرة، آية ٣٠.

(٣) سورة الإسراء، آية ٤٤.

الخيال بمواقف الجماع فكيف بما هو أفسق، عن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله ﷺ، والرجال والنساء قعود عنده فقال لعل رجلاً يقول ما يفعل بأهله ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها فأرمّ[1] القوم، فقلت إي والله يا رسول الله إنهن ليفعلن وإنهم ليفعلون، قال: فلا تفعلوا، فإنما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون»،[2] إن الرسول ﷺ نص على تعبد الله عز وجل بالنكاح وذكره في جملة عبادات عندما جاءه فقراء الصحابة يبثون إليه همهم المتمثل في زيادة حظ الأغنياء في الأجور، فبين ﷺ لهم جملة عبادات لهم بها الأجور فكان منها النكاح، فعن أبي ذر أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون إن بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة وفي بضع[3] أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر، قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»،[4] وفي هذا دليل على أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات، فالجماع يكون عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر الله تعالى به أو طلب ولد أو إعفاف نفسه أو إعفاف الزوجة ومنعهما جميعاً من النظر إلى حرام أو الفكر فيه أو الهم به أو غير ذلك من المقاصد الصالحة.[5]

السمة الثانية: القوامة للرجال

إن التسليم بضرورة القيادة أمر جبلت عليه الخليقة إنساً وجناً وحيواناً، فالشياطين إبليس قائدهم، والقيادة في الحيوان أمر مشاهد كما نرى في أسراب الطيور، وقافلة الإبل، ومملكة النحل، وقرى النمل وعموم الحيوان، والناس يوكلون في أبسط المسائل وأعقدها أمورهم

(١) فأرمّ: أي سكتوا.

(٢) رواه أحمد في مسند القبائل، رقم ٢٦٣٠١، وقال الألباني بعد ما ذكر شواهد للحديث «فالحديث بهذه الشواهد صحيح أو حسن على الأقل»، انظر آداب الزفاف ١٤٤.

(٣) قال النووي: بضع: بضم الباء ويطلق على الجماع ويطلق على الفرج نفسه، ١٠١/٤.

(٤) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم ١٦٧٤.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، ١٠١/٤.

إلى قيادة يلتفون حولها يروا فيها الكفاءة وأسباب الإدارة والقوامة، والأسرة أخطر مؤسسة بها يكون بقاء النسل الإنساني وهي المحضن الأول للناشئة وهي السكن والمودة والرحمة بين الزوجين، وهي الحصانة والعفة، فكان لزاماً تنظيم أمور هذه المؤسسة لضمان تحقيق الأدوار المنوطة، فهي كالقلب للجسد إذا صلحت صلح المجتمع كله وإذا فسدت فسد المجتمع كله، فقدر الله القيادة فيها للرجل، قال تعالى: ﴿**الرجال قوامون على النساء**﴾.[1]

إن قوامة الرجال على النساء تنطلق من حقائق ثابتة

أولها: أن الفرع يتبع الأصل والأصل الرجل، قال تعالى: ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا**﴾،[2] ولا يخفى على لبيب فضل الرجال على النساء ولو لم يكن إلا أن المرأة خلقت من الرجل فهو أصلها.[3] ويؤيد هذا المعنى حديث الرسول ﷺ فيما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا شهد أمراً فليتكلم بخير أو ليسكت، واستوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، إن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج، إستوصوا بالنساء خيراً»،[4] وفيه دليل لما يقوله الفقهاء أو بعضهم أن حواء خلقت من ضلع آدم.[5]

والحقيقة الثانية: قوله تعالى: ﴿**بما فضل الله بعضهم على بعض**﴾[6] ومن فضل الرجال، العقل والحزم والعزم والقوة والفروسية والرمي وأن منهم الأنبياء وفيهم الإمامة الكبرى والصغرى والجهاد والأذان والخطبة والشهادة في مجامع القضايا والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الأزواج وزيادة السهم والتعصيب والكامل بنفسه له حق الولاية على الناقص، ثم إن المهام التي أنيطت بالرجل تجعله صاحب القوامة إضافة إلى ذلك لما للرجل من زيادة قوة في النفس والطبع ما ليس للنساء، لأن طبع الرجال غلب عليه الشدة واليبوسة.

---

(١) سورة النساء، آية ٣٤.

(٢) سورة الروم، آية ٢١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١٢٤/٢.

(٤) رواه مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم ٢٦٧١.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، ٢١٥/٥.

(٦) سورة النساء، آية ٣٤.

والحقيقة الثالثة والتي نرى من خلالها أحقية الرجل في القيادة وهي اختلاف خلقة الرجل عن خلقة المرأة، ذلك أن «هيكل المرأة الجسدي يختلف عن هيكل الرجل بل إن كل خلية من خلايا جسم المرأة تختلف في خصائصها وتركيبها عن خلايا الرجل والفرق شاسع بين الحيوانات المنوية (نطفة الرجل) وبين البويضة (نطفة المرأة) تفرز الخصية مئات الملايين من الحيوانات المنوية في كل قذفة مني بينما يفرز المبيض بويضة واحدة في الشهر، والحيوان المنوي يجسد خصائص الرجولة ذلك أن له رأساً مدبباً وعليه قلنسوه مصفحة وله ذيل طويل وهو سريع الحركة قوي لا يقر له قرار حتى يصل إلى هدفه أو يموت، بينما البويضة كبيرة الحجم وتعتبر أكبر خلية في جسم الإنسان وهي هادئة ساكنة في مكانها لا تبرحه، فإن أتاها زوجها وإلا ماتت ثم قذفها الرحم مع دم الطمث، وتختلف الأعضاء التناسلية للرجل والمرأة اختلافاً يعرفه كل انسان، وهناك تسعة عشر فرقاً بين حوض الرجل وحوض المرأة لأسباب الحمل والولادة، ويزيد مخ الرجل في المتوسط عن مخ المرأة بمقدار ١٠٠ جرام، ونسبة وزن مخ الرجل إلى جسمه هي $\frac{١}{٤٠}$ ، بينما نسبة مخ المرأة إلى جسمها تبلغ $\frac{١}{٤٤}$ ».

والحقيقة الرابعة: إن المرأة تتعرض لأمور تسبب لها المعاناة والآلام واختلال المزاج وكدر النفس لا يتعرض لها الرجل:

اولها: المحيض: قال تعالى: ﴿**ويسالونك عن المحيض قل هو اذى**﴾،[1] وآلام المحيض كثيرة منها:

١- تصاب أكثر النساء بآلام في أسفل الظهر وأسفل البطن.

٢- الإصابة بحالة من الكآبة والضيق وتقلب المزاج وسرعة الاهتياج وقلة الاحتمال وحالتها العقلية تكون في أدنى مستوى لها.

٣- الإصابة بالصداع النصفي (الشقيقة) قرب بداية الحيض مع زغللة وقيء.

٤- تقل الرغبة الجنسية وخاصة عند بداية الحيض وتميل إلى العزلة وتكون الأجهزة التناسلية في حالة شبه مرضية.

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٢٢.

٥- الإصابة بفقر الدم حيث تفقد المرأة كمية من الدم في أثناء الحيض.

٦- تنخفض درجة حرارة المرأة أثناء الحيض درجة مئوية كاملة.

٧- تصاب الغدد الصماء بالتغير فتقل إفرازاتها الحيوية للجسم.

٨- نتيجة للعوامل السابقة يبطئ النبض وينخفض ضغط الدم وتصاب كثير من النساء بالكسل والفتور».[١]

وثاني الآلام: الحمل: قال تعالى: **﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته امه وهناً على وهن﴾**.[٢] وقال سبحانه: **﴿حملته امه كرهاً ووضعته كرهاً﴾**،[٣] يبدأ الحمل بالغثيان والقيء وخاصة في الأشهر الأولى، وتعطي الأم جنينها كل ما يريد منها، وتأخذ الأم جميع المواد السامة التي يفرزها الجنين وتطردها بدلاً عنه والقلب عليه أن يقوم بدورتين دمويتين كاملتين، دورة للأم ودورة للجنين والقلب يضخ قبل الحمل ٦٥٠٠ لتر يومياً أما في أثناء الحمل يضخ ١٥.٠٠٠ لتر يومياً وبامتلاء البطن ونمو الجنين يضغط الحجاب الحاجز على القلب والرئتين مسبباً ضيق التنفس، ويضغط الرحم على الأوردة مسبباً دوالي الساقين ويصاب الجهاز الهضمي من أول الحمل فيكثر القيء وقلة الشهية والغثيان ثم تزداد الحرقة واللذع والتهابات المعدة وتصاب الحامل في العادة بالإمساك وتضطرب الغدد الصماء في وظائفها وتصاب بعض النساء بتورم الغدد الدرية نتيجة نقص اليود، وحالة الحامل النفسية تضطرب، فهي بين الخوف من الحمل والولادة والرجاء بالمولود».[٤]

وثالث الآلام: الام الولادة: قال عز وجل: **﴿حملته كرهاً ووضعته كرهاً﴾**،[٥] ذلك أن الرحم يتسع لأكثر من سبعة آلاف ميليلتر،[٦] وتخرج من بطنها ما وزنه ثلاثة كيلوغرامات في الغالب، وبعض النسوة أكثر وبعضهن يرزقن توأماً، آلام شديدة جداً.

---

(١) عمل المرأة في الميزان د. محمد علي البار، ص٥٨-٦٠ بتصرف.

(٢) سورة لقمان، آية ١٤.

(٣) سورة الأحقاف، آية ١٥.

(٤) عمل المرأة في الميزان، د. محمد علي البار، ص٨٧ -٩٠ بتصرف.

(٥) سورة الأحقاف، آية ١٥.

(٦) عمل المرأة في الميزان، د. محمد علي البار، ص٩٢.

ورابع الآلام: آلام فترة النفاس، تعاني المرأة فيها من صعوبة في التبول نتيجة لتسلخات جدار المهبل وفتحة الفرج ومجرى البول أثناء الولادة،[١] لهذه الآلام التي تتعرض لها المرأة جعلتها في محل ضعف فكان الأليق أن تقاد لا أن تقود وأن يكون عليها قيم لا أن تكون لها القوامة.

إن القوامة في التربية الإسلامية فائدته عائدة إلى النساء، ذلك أن الرجل مطلوب منه أن يوفر السكن والنفقة والحماية والرعاية والتربية لزوجته وإن نشزت فإن من القوامة علاج المشكلات كما بين الشارع خطواته، ولا تعني القوامة السلطة المطلقة قال ﷺ: «لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف»،[٢] ولا تعني الصراخ والضرب والاستخفاف والاحتقار والإهانة وإلغاء الرأي الآخر، ولا تعني سوء العشرة والخلق والتعامل، ولا تعني إصدار الأوامر من الرجل على إطلاقه، وإنما الأمر وظائف تخصصية متكاملة بمجموعها تستقيم الزوجية وتهنأ الذرية وينعم المجتمع وبتصادمها وبتجاذب عناصرها وظائف بعضها تضطرب الأسرة ويشقى الأبناء وينعدم السكن والمودة والرحمة، وهنا يلزم القول «أن هناك بحوثاً كثيرة تؤكد أن السعادة الزوجية تظهر إلى حد ما عندما يكون الزوج هو الممسك بزمام المبادرة ولكن تعاسة الحياة الزوجية تتضح عندما تكون المرأة ممسكة بزمام المبادرة أو ذات نزعات تسلطية».[٣]

السمة الثالثة: إباحة التعدد بضوابطه

أباح الله للرجال الزواج مثنى وثلاث ورباع، وهذا تشريع الله ثبت بنص قطعي الثبوت قطعي الدلالة، فالإيمان به واجب والتسليم بمشروعيته مفروض، قال تعالى: ﴿**فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع**﴾[٤] والإستخفاف بأمر الله كفر والطعن به زندقة، وإذا أساء الناس في هذه العبادة فالعيب في الممارسة لا في النص.

إن التربية الإسلامية ترفض التبتل والرهبنة بترك الزواج وتمنع التعدد بأكثر من أربع وتشترط له الاستطاعة المادية ﴿**فإن خفتم الا تعدلوا فواحدة**﴾[٥] قال أهل التفسير المراد

(١) عمل المرأة في الميزان، د. البار، ص ٩٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، رقم ٢٤٢٤.

(٣) مقياس جوانب الحياة الزوجية، د. سعيد بن مانع ٢٣.

(٤) سورة النساء، آية ٣.

(٥) سورة النساء، آية ٣.

بالعدل: العدل المادي من نفقة وسكن وهنا نرى التربية على التوازن والاعتدال فلا إفراط بالزواج بأكثر من أربع ولا تفريط بترك الزواج.

إن التعاليم الربانية تهدف إلى تحقيق المقاصد المحققة للإنسان سعادة الدارين، يفهمها من يفهمها ويجهلها من يجهلها، وقد تظهر لنا الحكمة من التشريع وقد لا تظهر ولكنها مبنية على الحكمة قولاً واحداً، ولكن من علامات النقص الإنساني أن يجهل بعض الحقائق، ومن الحكم التي قد تكون مراد الشارع من التعدد التالي:

الحكمة الأولى: كان الناس يعددون في الجاهلية بلا ضوابط وجاء التشريع المتميز بفقه الواقع ليحدد التعدد بضوابطه وإلا فواحدة، فعن سالم بن عبد الله بن عمر «أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فأسلمن معه، فأمره النبي ﷺ أن يتخير أربعاً منهن».[(١)]

الحكمة الثانية: ذكر الرسول ﷺ في غير ما حديث أن عدد النساء يكثر ويقل عدد الرجال، وهنا تظهر لنا حكمة تشريع التعدد في مثل تلك الظروف التي لا حل لها سوى التالي: الأول: أن يبقى العدد الفائض من النساء بلا زواج وفي ذلك خسارة لعدم إنجابهن، الثاني: ميل العدد الزائد إلى الإنحراف لقضاء الشهوة الجنسية بمختلف صور الانحراف. الثالث: التعدد، والأدلة على زيادة عدد النساء على الرجال ما قاله ﷺ: «ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ثم لا يجد أحداً يأخذها منه ويرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء»[(٢)] وعن أنس بن مالك قال: لأحدثنكم حديثاً لا يحدثكم أحد بعدي سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل ويظهر الزنا وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد».[(٣)] في الحديث الأول إشارة إلى أن نسبة الرجال إلى النساء ١ : ٤٠ ثم تسوء الأمور فتصل كما في الحديث الثاني إلى ١ : ٥٠، وبعد مراجعة للإحصاءات نرى أن نسبة الذكور إلى الإناث (١ مقابل ٤) في السويد والولايات المتحدة و (١ مقابل ٥) في الاتحاد السوفيتي سابقاً وإلى (١ مقابل ٦) في

---

(١) رواه الترمذي، كتاب النكاح، باب الرجل يسلم وعنده عشر نسوة، رقم ١٠٤٧، وهو في صحيح الترمذي للألباني، رقم ٩٠١.

(٢) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، رقم ١٦٨٠.

(٣) رواه البخاري، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، رقم ٧٩.

اليابان و (١ مقابل ١٠) في بعض مناطق الصين، وفي بعض بلاد المسلمين (١ مقابل ٥) «وقد أثبتت الاحصاءات أن موت المواليد الذكور أكثر من موت الإناث، في جميع الشعوب الإنسانية»[١] وإذا أضفنا إلى ذلك وفيات الرجال بسبب الحروب ومصائب الحياة وحوادث الطرقات رأينا أن ذلك يساهم في خلخلة النسبة بين الرجال والنساء، وإذا انضاف إلى ما سبق تصريحات العقلاء من أهل الملل المنحرفة رجالاً ونساءاً والتي يقرون من خلالها بمبدأ التعدد، ولا يزيدنا إقرارهم إيماناً بقرآننا ولا تزعزع شبهات غيرهم إيماننا بقرآننا، لكنها الأمانة العلمية تقتضي ذكر شهادة الشهود، منها ما قاله «د. بون: إن ممارسة تعدد الزوجات ضرورة للحفاظ على الجنس»،[٢] وقال سبنسر في كتابه (أصول الاجتماع) «إن التعدد ضرورة للأمة التي يفنى رجالها في الحروب ولم يكن لكل رجل من الباقين إلا زوجة واحدة. فإذا طرأت على الأمة حالة اجتاحت رجالها الحروب وبقي نساء عديدات بلا أزواج فإنه ينتج عن ذلك نقص في المواليد لا محالة».[٣]

وتقول (أني بيزانت) في كتابها «الأديان المنتشرة في الهند»: «إن تعدد الزوجات الإسلامي الذي يحفظ ويحمي ويغذي ويكسو النساء أرجح وزناً من البغاء الغربي الذي يسمح بأن يتخذ الرجل امرأة لمحض إشباع شهواته ثم يقذف بها إلى الشارع متى قضى منها أوطاره».[٤]

والحكمة الثالثة: زيادة نسل الأمة المسلمة تحقيقاً لحث الرسول ﷺ عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يأمر بالباءة وينهى عن التبتل نهياً شديداً ويقول: تزوجوا الودود الولود إني مكاثر الأنبياء يوم القيامة».[٥]

والحكمة الرابعة: أخذاً بمبدأ الوقاية خير من العلاج يكون التعدد وقاية للرجال ذوي الشهوة الجامحة الذين يمتنعون عن نسائهم لفترات ليست بالقليلة بسبب:

---

(١) حقوق المرأة في الإسلام، محمد عرفة، ٧١.

(٢) لماذا الهجوم على تعدد الزوجات. أحمد عبد العزيز الحصين، ٢١.

(٣) حكم اباحة تعدد الزوجات، أحمد آل محمود، (١٨، ١٩).

(٤) المرأة بين الفقه والقانون، لمصطفى السباعي (٧٦، ٧٧).

(٥) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين، رقم ١٢١٥٢.

١- الحيض: وهي دورة شهرية تختلف مدتها من امرأة إلى أخرى فقد تصل إلى خمسة عشر يوماً في بعض النسوة وقد أمر الرجال باجتناب جماع الحيض ﴿**فاعتزلوا النساء في المحيض**﴾.[1]

٢- الاستحاضة: وهي استمرار الدورة عن مدتها وهو مرض ويجوز للرجل أن يجامع أهله في هذه الحالة، إلا أن النفس تعاف ذلك.

٣- فترة النفاس: وهي ما بعد الحمل وقد تطول لمدة ستين يوماً، صحيح أن الرجل يحق له كل شيء إلا الجماع ولكن قمة اللذة وانصراف الشهوة يتحققان بالجماع.

٤- ثم مرحلة شيخوخة المرأة أبكر في الغالب من الرجل وشهوتها أسرع فتوراً في الغالب من الرجل، فأما أن ينظر إلى غيرها وإما أن يعدد ليفرغ حاجته في غيرها وإما أن يحرق نفسه في حالة العفة.

٥- سن اليأس محدد للمرأة لا تلد بعدها بينما الرجل لا سن يأس عنده، ولعله يرغب في الذرية ولكن حرثه قد شاخ، لذا أبيح له التعدد.

السمة الرابعة: إمكان انهاء الزوجية

إن مواقف الأمم الأخرى تباينت في أمر الطلاق فطائفة تمنعه مهما كانت الظروف والملابسات، وطائفة تبيحه على إطلاقه وكلا الأمرين شر، والنتائج فيها غير محمودة، لذا كان موقف التربية الإسلامية متميزاً بالمعاني التالية:

١- الحرص على استمرارية الزوجية: فشرع الضمانات على ذلك وقرر منهجاً للطوارئ والمستجدات منها الصلح ﴿**والصلح خير**﴾[2] والوعظ ﴿**فعظوهن**﴾[3] والتنازل ﴿**ولا تنسوا الفضل بينكم**﴾[4] والشفاعة كما في حديث بريرة قال ﷺ: «إنما أنا أشفع»[5] واشترط لصحة الزواج أن تكون صيغة الإيجاب والقبول مؤبدة غير مؤقتة فإن أُقّتت بمدة بَطُل.[6]

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٢٢.

(٢) سورة النساء، آية ١٢٨.

(٣) سورة النساء، آية ٣٤.

(٤) سورة البقرة، آية ٢٣٧.

(٥) رواه البخاري، كتاب الطلاق، باب شفاعة النبي ﷺ في زوج بريرة، رقم ٤٨٧٥.

(٦) الفقه الإسلامي وأدلته الشرعية، د. وهبه الزحيلي، ٧/٦٤.

٢- الإيمان بتقلب الأيام: والمشاعر والنفوس والأحوال، فالصالح قد يفسد، والصحيح قد يمرض، والواجد قد يفلس، والسليم قد يعتريه العيب، والطبائع قد تتصادم، وعليه فليس من الحكمة في شيء الحكم بأبدية الزوجية بين اثنين تحكمهما تقلبات الأحوال والأيام.

٣- إنهاء الزوجية حق لأطرافها. إن حصر أحقية إنهاء الزوجية للرجل هضم لحقوق الزوجة فلعلها لسبب أو لآخر لا ترغب في بقائها عند زوجها ولعل أسبابها وجيهة ولكن لانحصار الأحقية له قد يبقيها رغبة في تعذيبها ولو سُلمت المرأة أمر تطليق زوجها ابتداءاً لكان ذلك مدعاة للدمار السريع للزوجية، ذلك لما جبلت عليه المرأة من فورة الانفعال وهيجان العاطفة وطغيانها على العقلانية والروية وبعد النظر فالتربية الإسلامية جعلت الطلاق ابتداءاً بيد الرجل وأمر أن كان ثم تسريح فبإحسان ﴿**الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان**﴾[١] ومنح المرأة حق الخلع «فإذا كرهت زوجها لخلقه أو خلقة أو دينه أو كبره أو ضعفه أو نحو ذلك وخشيت ألا تؤدي حق الله في طاعته جاز لها أن تخالعه بعوض تفتدي به نفسها منه وإذا خالعته بغير بغض ولا خشية ألا تقيم حدود الله لم يصح الخلع على الصحيح وقيل يصح».[٢]

٤- إمكان عودة الزوجية: إن الطلاق لا يعني نهاية المطاف فالنفوس بعد الكدر تصفو وبعد الغضب تسكن وبعد الانفعال تتضح الرؤيا، فبعد الطلاق للرجل أن يراجع زوجه في العدة، وإن تجاوزا العدة فبمهر جديد وعقد جديد ورضا جديد، ثم إن طلق ثانية فله أن يراجعها بمثل ما قلنا في الطلقة الأولى وبعدها لا تستقيم بينهما الحياة وإن كان رغبا في بعضهما، فلا بد من تأديب من يتخفف.

السمة الخامسة: المسؤولية مشتركة

إن إلقاء كل المهام على عاتق الزوج أو الزوجة أمر تأباه التربية الإسلامية فالمهمة مشتركة، ولكل حقوق وعلى كل واجبات، فلا مجال للمطالبة بالحقوق دون الواجبات، وقد يتنازل الحكيم أو الحكيمة عن بعض الحقوق مع أداء كل الواجبات لكريم الأصل وحميد السجايا.

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٢٩.

(٢) المغني لابن قدامة، ٢٠٠ الفهرس.

إن الخطاب النبوي يتسم بالترهيب لإشعار أطراف الزوجية بضخامة المهمة وعظمة المسؤولية التي يترتب عليها سؤال ثم ثواب أو عقاب، والسائل عن الأداء هو الله عز وجل، والمسؤول هو الإنسان الضعيف عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، قال وحسبت أن قد قال: والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته وكلكم راع ومسؤول عن رعيته».(١)

إن الأسرة المسلمة تقوم على المسؤولية المشتركة، فكل يؤدي واجبه لا كوظيفة ينال من ورائها منفعة ولكنها المعذرة إلى الله، بينما الأسرة الغربية تركز على الأنا والمنفعة الذاتية.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، رقم ٨٤٤.

الفصل الثاني

أسباب وقوع المشكلات الزوجية والممارسات الخاطئة في التعامل معها

المبحث الأول

أسباب وقوع المشكلات الزوجية

تمهيد

من الأمور التي تهدد الزوجية عدم الالتفات الى المشكلات الحاصلة وقد تبدأ تافهة ولكن مع تراكمها واختلاف المقاييس في تقدير حجمها ومع ما يكون من وراء التراكم من ضغط يولد الانفجار الذي يودي بالحياة الزوجية، وقد تكون المشكلات عظيمة كبيرة ولكن سوء تشخيص أسبابها فيه مضيعة للوقت، فقد يصف دواءً لغير الداء فلا يجدي شيئاً، لذا حرصت التربية الاسلامية على البحث في الأسباب المؤدية إلى المشكلات ثم محاولة منع حدوثها وقد تحدث المشكلات للطبيعة الإنسانية الخطاءة فلا بد حينها السعي لإزالتها بغية السلامة أو التخفيف والأسباب المفضية إلى المشكلات كثيرة أوجزها في ثلاث:

أولها: عدم الأخذ بالوقائيات الشرعية.

ثانيها: المتغيرات الإجتماعية.

ثالثها: الإعلام.

رابعها: أسباب أخرى.

اسباب وقوع المشكلات الزوجية

اولاً : عدم الأخذ بالوقائيات الشرعية

حدد الاسلام وقائيات كثيرة -سيأتي ذكرها- يعصم من خلالها الزوجية من المشكلات ما أمكن، فعدم الأخذ بهذه الوقائيات فيه تعريض الزوجية للإضطراب أو الإنهيار، ومن الوقائيات حسن الإختيار وعدم الأخذ به يعني سوء الإختيار بأن يكون الزواج على أساس المصالح المالية وهي طارئة فإذا زال المال أو قل ضعفت العلاقة او انتهت أو على أساس الأنساب والأحساب وهي أمور نسبية أو على أساس الجمال وهو ما يلبث أن يزول وكثيراً ما يكون مثله أو أكثر في الأخرين مما يصرف النظر الى الأجمل وقد تكون الخيانة ومن سوء الإختيار أن يكون الزواج لعلاقة منحرفة فاذا بأطراف الزوجية كل يشك بالآخر لأن كل أعلم بسوابق الآخر الفاسدة، وإما أن يكون الزواج لستر فضيحة ولاحتواء طفل غير شرعي نتيجة ضغوط إجتماعية أجبرت على الزواج، كل ذلك يسبب الاضطراب أو الإنهيار ومن الوقائيات تزوج الولود ويتأكد ذلك لمن تعلق قلبه بالأولاد، وعدم الأخذ به يعني تزوج العقيم وتتفاقم المشكلة إذا أذت الأولى الزوج إذا تزوج بأخرى ولود هذا إن أمكنته أحواله من الزواج ومن الوقائيات تزوج البكر لما في ذلك من المداعبة والمضاحكة وخفة النفس والخفر والدلال وتعلق القلب بعكس من قلبها ما زال معلقاً بالزوج الأول وتبقى دائماً تعقد المقارنات، وفي عصر تموج فيه الفتن والمغريات والمثيرات تنصح التربية الاسلامية فيه بتحري جمال المظهر بعد جمال الدين، وإلا مع ضعف الوازع الديني قد يكون الالتفات إلى الحرام، وكذا المرأة تلتفت إلى الوسامة في الرجل وإلا اضطربت الزوجية أو انهارت، ومن الوقائيات أن يختار أهل القدوات ما يناسب إقتداء الناس بهم وطبيعة دورهم وعطائهم وكثرة انشغالهم للمجتمع، ومن الوقائيات نظر الرجل إلى من يريدها زوجة له، ونظر المرأة إلى الرجل، فعدم الأخذ به يؤدي الى عدم الإرتياح أو العداوة لأنها غير ما يريد أو لأنه غير ما تريد فقد يلجم صاحب الإيمان إيمانه عن تصرف مشين ولكن قد يطلق وقد يعدد، بينما ضعيف الإيمان قد ينحرف ومن الوقائيات عدم الإكراه ذلك لأن الزوجية سكن ورحمة ومحبة ومودة وهذه مشاعر معنوية تصادم لغة الإكراه والضغوط فلن

يجد من أكره هذه المعاني في الطرف الآخر مما يعني إفتقاد الزوج والزوجة في النهاية لهذه المعاني مما ينذر بالاضطراب أو الإنهيار. ومن الوقائيات الاستشارة، فتُعرف بذلك الطبائع والاخلاق والأمزجة والحقائق جميعها فعدم الأخذ بالاستشارة يعني الاصطدام بحقائق كثيرة غير مناسبة لعناصر الزوجية فلربما لو كانوا على علم بها لما كان ثم زواج، ومن الوقائيات الستر وطي صفحات الماضي، فقد يثير الزوج أو الزوجة معرفة السوابق والنفوس في تحملها متباينة ومقاييس وزن الأمور مختلفة فقد يودي كشف الستر الى مقتل، ومن الوقائيات الكشف الطبي المانع بإذن الله عند الأخذ بعين الإعتبار نتائجه من الأمراض الوراثية والأمراض الجنسية، ومنها عدم وصف محاسن المرأة للزوج وعدم الامتناع عن الفراش وحسن العشرة والمحافظة على كرامة بيت الزوجية والالتزام بالاذكار الواردة ومراعاة الطبائع والرضا والقناعة وتقديم حسن الظن والعدالة كل هذه وقايات، وعدم الأخذ بها يؤدي إلى المشكلات بنسب تتفاوت بينها.

إن المنهج التربوي الاسلامي هو الأوحد الذي فصل في التعامل مع المشكلات الزوجية حيث جعل لها وقائيات وبالتفصيل في القرآن والسنة ثم تفاعل أهل العلم بآليات الاجتهاد مع معطيات الكتاب والسنة فخرّجوا لنا أبوابا كثيرة في الوقائيات تعصم الزوجية من القواصم، فالأخذ بها مانع من المشكلات بإذن الله وعدم الأخذ بها سبب رئيس يرمي الزوجية في مقتل.

ثانياً: المتغيرات الإجتماعية

وأعني بها طروء عادات جديدة في مجتمع من المجتمعات نتيجة الطفرة المادية أو خلل في التركيبة السكانية أو إختلاط بأعراف وتقاليد وطبائع جديدة مؤثرة، هذه التغيرات في أي مجتمع تصاحبها في الغالب تغيرات إجتماعية، فالطفرة المادية وارتفاع دخل الفرد قد يؤدي إلى المغالاة في التكاليف إما للمباهاة لأنها عادة المجتمعات المترفة واما لمواكبة تكاليف الحياة، والطفرة المادية تجعل المجتمع مترفا وأول ما يبدأ الخلل في مجتمع يبدأ من الترف **﴿وإذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾**.[1]

(١) سورة الأسراء أيه ١٦.

والترف الفاسق مقاييسه مختلة وإذا ما تم الزواج على مقاييس مختلة حكم عليه بالنهاية السريعة أو الازمات المتكررة، وفى الطفرة المادية تربية على الاستهلاك غير الرشيد مما يرهق كاهل الزوج ويميع مقاييس الزوجة والعكس صحيح إما إرضاء كل للآخر أو لإرضاء النفس التي لا تقوى على التخلص من النفسية الاستهلاكية، وهذه النفوس تقع في نهاية المطاف في المشكلات ومن التغيرات الاجتماعية ما أشار اليه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في قوله: «كنا معشر قريش نغلب النساء، ولما قدمنا على الانصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار»، إن الإختلاط بأمم أخرى لها عاداتها وتقاليدها وطبائعها من شانه أن يؤثر سلباً أو إيجاباً وقد يتجاوز من التأثير على العادات والتقاليد إلى التأثير على الافكار والأساسات مما ينذر باضطراب وانهيار.

ثالثا: وسائل الإعلام

وهي كل الطرائق التي تنتشر من خلالها الكلمة والمعلومة مما يحدث أثراً منه الجيد ومنه الرديء، إلا أن الغالب في وسائل الاعلام المنتشرة من مجلة وصحيفة واذاعة وتلفاز ودور سينما وفيديو وانترنت الغالب عليها الضرر بالزوجية، ذلك أن برامجها من مسلسلات وأفلام وأغنيات وقصة وخاطرة وقصيدة ومقالة وتحقيقات كلها تساهم في زرع بذور الشك بين الزوج والزوجة وتصوير حياتهما على أنها لا تستقيم إلا على التحاسد والتباغض والتنافس وسوء الظن والتربص والتآمر الى درجة إساءة الظن في كل تصرف وتصعيد الشك الى التجسس والتلصص على أخبار وخصوصيات الطرف الآخر، وتساهم وسائل الإعلام في تمزيق العائلة وذلك بسوء التشخيص وبعرض الحلول الخاطئة كحلول ناجحة وتثير كل طرف بالاعتزاز بالنفس وبانتظار المبادرة من الطرف الآخر حتى لا تفسر الامور بأن المبادر هو المخطيء وهو الضعيف، وترشد وسائل الأعلام الى كيفية التحايل على الطرف الآخر لخيانته من ورائه وكسب الصداقات مع الجنس الآخر، وسهولة التماس المبررات المبيحة لمثل هذه التصرفات المشينة بل حملت بعض وسائل الإعلام على تناكح الأرحام نتيجة الاثارة التي لم يتحملها الشاب والشابة ففرغاها في الحرام، بل أرشدت بعض وسائل الإعلام الى الممارسات الجنسية الشاذة بين

الزوج والزوجة حتى أصيبوا بالشذوذ وقد يرفض أحدهما هذه الممارسات فتنشب لذلك المشكلات، بل كم غزت المجتمعات أنواع من الاحتفالات والعادات والتقاليد الفاسقة والتي بسببها صارت مشكلات زوجية لا تعد ولا تحصى، فكم من رجل طلق زوجته أو خانها ذلك أنه افتتن بفتاة رآها ترقص وهو على كرسي الزواج مع زوجته، وكم منعت بيوت من البركة لأنها تأسست على بدعيات وعلى تشبه باليهود والنصارى نتيجة تقليد ما في وسائل الاعلام، وفي إدمان النساء والرجال على وسائل الإعلام المختلفة إهمال للواجبات أدى في النهاية الى المشكلات، وأدت بعض وسائل الإعلام إلى برود وفتور جنس من يدمنها ذلك أنه يقضي حاجته الجنسية وبالكامل بالنظر ومع الادمان لا يقوى على معاشرة الطرف الآخر معاشرة طبيعة سوية مما يحبط ويسيء على المدى إلى صحة ونفسية ثم علاقة الطرف الآخر، وساهمت وسائل الإعلام في تصوير الزواج على أنه سجن وحكر للحريات وذلة وصغار فاذا تزوج يتزوج بهذه النفسية مما يقلل نسبة النجاح، ومن مساوىء الإعلام بثه للأفكار الهدامة كالاحتجاج على قوامة الرجل وعلى طاعة المرأة لزوجها وعلى فقه الطلاق وعلى الولي والشهود والمهر والتعدد وكثرة النسل، وحتى المادة الدينية في وسائل الإعلام الخاصة بالحياة الزوجية تساهم مساهمة خاطئة ذلك إما لأخطاء في الفتاوى الفقهية والتساهل في تبيان الحقوق والواجبات، أو الاستشهاد بالرخص وبالمرجوح من الآراء الفقهية، وتساهم وسائل الإعلام على تقليل ساعات اللقاء والإجتماع والمؤانسة بين أفراد الأسرة، وتساهم في خلخلة مقاييس الإختيار عند إرادة الزواج فالزوج يتزوج من خرجت معه واختلى بها وأحبها وعاشرها ثم لا بأس بعد مجموعة أطفال أن يعلنوا زواجهم، ومن الإعلام الشائعات والتي تؤثر سلباً في الحياة الزوجية لأنها تبعث في الغالب على الشك والانتقام والهجر والضرب والطلاق والتشهير، ومن الشائعات ما حصل في زمن الرسول ﷺ من إطلاق الشائعة في حق زوجته أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) حيث إتهمها رئيس المنافقين بالفاحشة وهي الطاهرة وانتشر الخبر في المجتمع المسلم والرسول ﷺ لا يصدق في زوجه شائعة ولكنه لم يتخذ موقفاً لحكمة أرادها الله، وتبكي الزوجة ويعيش أهلها في هم وغم وتختلف الآراء فطائفة تردد الشائعة وطائفة تنكر الشائعة وطائفة تنصح النبي ﷺ بالزواج ويأتي الوحي يبرأ الطاهرة أم المؤمنين رضي الله عنها بعد فترة

انحبس فيها النفس وضاقت الدنيا بما رحبت وابتلى الله الفئة المؤمنة، فالوحي برأ عائشة رضي الله عنها، ولكن الآن حيث لا وحي والنفوس أشد مرضا والشائعة أسهل ما يكون إشاعتها عبر الوسائل الاتصالية الحديثة فمن يبرأ ساحة الطاهر الذي شيع في حقه ما أضر به وبزوجه وأولاده، قال تعالى: **﴿إن الذين جاؤا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم، لكل امرء منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم، لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين، لولا جاءوا عليه باربعة شهداء فإذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون، ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما افضتم فيه عذاب عظيم، إذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم، ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم، يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابداً إن كنتم مؤمنين﴾**.[1]

---

(١) سورة النور الآيات (١١-٧١).

المبحث الثاني

الممارسات الخاطئة في التعامل مع المشكلات الزوجية

تمهيد

أبى الله الكمال إلا لذاته، وقررت التربية الإسلامية حتمية الخلل في التجربة الإنسانية مهما سعى الإنسان إلى التمام والكمال وليس في ذلك ما يعيب، فالوقوع في المشكلات الزوجية لا يعني بالضرورة الفسق والفجور أو ضعف الإيمان وقلة الصلاح، ومن تمام النعمة والكمال في التشريع والرضا الرباني أن جعل المنهج الإسلامي في التعامل مع المشكلات الزوجية يتسم بتشريع وقايات تمنع حدوث المشكلات ما أمكن ثم علاجات تعالج المشكلات بعد وقوعها، وبتفصيل في بيان الممارسات الخاطئة في التعامل مع المشكلات الزوجية، فلعل بعض القوم ومن حسن نية أن يزيد المشكلات عمقاً ومساحة لأنه حاول علاجها بطرق لا تقرها الشريعة، وهذا دأب الكثير هذه الأيام لجهل الناس بحقائق الدين ولطغيان سلطة العادات والتقاليد والموروثات الإجتماعية التي لا تمت الى الإسلام بصلة وللدور السلبي لكثير من مؤسسات المجتمع التعليمية والإعلامية والقانونية، إن التمادي في الممارسات الخاطئة لعلاج المشكلات الزوجية مما يهدد الزوجية بالانفجار ولو بعد حين، لذا لا بد من مناقشة مختلف أوجه المشكلات في الوقت المناسب وبطريقة مناسبة مع مشاركة كل الأطراف المعنية ما أمكن، ومن أكثر الممارسات الخاطئة شيوعاً التالي:

الممارسة الأولى: نشر الأسرار والإستماع الى الآخرين

أحاط الإسلام الحياة الزوجية بشيء من القداسة والخصوصية والسرية، ويظهر ذلك في الإجراءات التالية:

١- **الاستئذان على الزوجية:**

أمر الله عز وجل الناس أن يستأذنوا على الزوجية حتى لا تخدش كرامة، ولا يظهر مستور ولا تنكشف العيوب ولا يتعدى على حقوق الآخرين، قال تعالى: **﴿يا ايها الذين امنوا لا**

تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون﴾[1] لقد جعل الله البيوت سكناً، فيها الاستراحة والطمأنينة والتخفف من الثياب ومن بعض ضوابط السلوك حتى ليصير العظيم عند أهله وأطفاله ملاعباً عاضاً مراهقاً وهذا ما لا يصح أن يراه الناس، ذلك أنْ للبيوت أسراراً، فوجب الاستئذان، حتى وإن كان أهل البيت خارجه فلا ينبغي هتك أسراره بالإطلاع على خصوصياته، قال تعالى: **﴿فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم﴾**[2]، وعن سهل بن سعد قال: «اطلع رجل في حجر النبي ﷺ ومع النبي ﷺ مدرىً يحك به رأسه فقال: «لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك، إنما جعل الإستئذان من أجل البصر»[3]، وهذا تأكيد من الرسول ﷺ على خصوصية وسرية الزوجية حتى أنه يبيح طعن العين الناظرة إلى الأسرار، وكان السلف الصالح إذا دخل على أحدهم ضيفاً غيّب كل ما يخص النساء عن نظر الضيف حفاظا على الخصوصية.[4]

٢- **النهي عن إفشاء أسرار الزوجية**

يطيب لبعض الرجال والنساء على حد سواء كشف أسرار الجماع والإستمتاع إما إظهاراً للفحولة أو تقضية للوقت ولما كان هذا السلوك يبيح تخيل الزوجة في أذهان الرجال وفيه كشف لأخص الأسرار كان النهي منه ﷺ عن ذلك، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى إمرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها»[5] وذلك يصير من بعض النسوة أيضا فكان نهيهن عن ذلك، عن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود فقال: «لعل رجلا يقول ما يفعل بأهله ولعل إمرأة تخبر بما فعلت مع زوجها؟ فأرم القول، فقلت: إي والله يا رسول الله انهن ليفعلن وإنهم ليفعلون، قال: «فلا تفعلوا فإنما مثل الشيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون».[6]

---

(١) سورة النور، آية ٢٧.

(٢) سورة النور، آية ٢٨.

(٣) رواه البخاري، فتح الباري، ٦٢٤١، ١٢/٢٨٧ كتاب الاستئذان، باب الاستئذان من أجل البصر.

(٤) من أدب الإسلام، عبدالفتاح أبو غدة.

(٥) رواه مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم إفشاء سر المرأة رقم ١٤٣٧.

(٦) أخرجه أحمد، وقال الألباني في آداب الزفاف بعد أن أورد شواهد للحديث فالحديث بهذه الشواهد صحيح أو حسن. آداب الزفاف، ١٤٤.

٣- النهي عن الدخول على المغيبة:

ذكر بعض أهل العلم أن من أسباب نهي الشارع عن الدخول على المغيبة كراهية الإطلاع على أسرار الزوجية ثم ما يعقب الإطلاع في العادة من تعبئة الزوجة على زوجها بما يثقل كاهله ويؤدي الى الشقاق والخصام وعقد المقارنات ولم يكن ذلك كله ليحصل لولا الدخول فكان النهي عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحمو، قال: «الحمو الموت»[١] لأنه ربما حسن لها أشياء وحملها على أمور تشكل على الزوج من التماس ما ليس في وسعه، فتسوء العشرة، ولأن الزوج قد لا يؤثر أن يطلع والد زوجته أو أخوها على باطن حاله ولا على ما اشتمل عليه.[٢]

٤- النهي عن التجسس على البيوت

إن التجسس على عورات البيوت والإستماع الى حديث أهلها داخل في النهي عن التجسس عموماً قال تعالى: ﴿ولا تجسسوا﴾[٣]، والمسلم المعاصر يعيش ثورة في التقنيات التي تسهل الإستماع إلى حديث بيته بل وتصوير خصوصيات حياته مما يؤدي في نهاية المطاف إلى المشكلات وتمزق الزوجية، وانهيار بنائها لذلك حذر الرسول ﷺ فقال: «من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون أو يفرون منه صب في أذنه الآنك يوم القيامة».[٤]

مما سبق نرى أن الإسلام أحاط الزوجية بسرية وبخصوصية فأمر بالإستئذان حتى لا تنكشف الأسرار ونهى الأزواج والزوجات عن الحديث عن أسرار المبيت حتى لا يثار الخيال وحتى لا تعمم الخصوصيات كان النهي عن التجسس، واذا أضفنا الى هذه الإحاطه بالسرية والخصوصية الإجراءات التالية:

---

(١) رواه البخاري، فتح الباري، ٥٢٣٢، ١٠/٤١٤، كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم، والدخول على المغيبات.

(٢) فتح الباري، ١٠/٤١٦.

(٣) سورة الحجرات، آية ١٢.

(٤) رواه البخاري، كتاب التعبير، رقم ٦٥٢٠، عن ابن عباس.

١- ما أمر به الشرع من عدم طروق الأهل ليلاً إلا بعد إعلامهم حتى لا يكشف خصوصيات أهله مع علمه بما يسترون ولكن زيادة في الوقاية ومنعاً لتصعيد الأمر وتحميله ما لا يحتمل، قال ﷺ، «إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً»[١] لأن طول الغيبة مظنة الأمن من الهجوم فيقع للذي يهجم بعد طول الغيبة غالباً إما يكره إما أن يجد أهله على غير أهبة من التنظف والتزين وإما أن يجدها على حالة غير مرضية، أخرج ابن خزيمة عن ابن عمر قال: «نهى رسول الله ﷺ أن تطرق النساء ليلا، فطرق رجلان كلاهما وجد مع إمرأته ما يكره»[٢] بهذه الارشادات النبوية يحافظ الاسلام على خصوصيات وأسرار كل واحد من أفراد الزوجية.

٢- وما ذهب إليه أهل العلم من وجوب ستر الزوج والزوجة على أنفسهم عما مضى من حياتهم السالفة والنهي عن إثارتها سواء من باب المجاهرة أو التحقيق أو المحادثة الساذجة، أخذاً بمبدأ عفى الله عما سلف والتوبة تجُبُّ ما قبلها.

٣- الحرص على إظهار الإيجابيات وكتم السلبيات، ويلاحظ هذا في عموم تعاليم وإشارات الإسلام الداعية الى نشر الحسنات والمواقف المفرحة والتعامل مع السيئات والمواقف المحزنة بدون بلبلة وإثارة من ذلك وجوب إعلان النكاح والفرح به ووجوب إجابة الدعوة الى وليمة الزواج والفرح بالمولود واستحباب العقيقة له والأنس بعيدي الفطر والأضحى الى غير ما هنالك وفي المقابل نهي عن لطم الخدود وشق الجيوب والنياحة ونتف الشعر والدعاء بالويل والثبور عند المصائب ....

بعد ما سلف ذكره، من إحاطة الاسلام الزوجية بالسرية والخصوصية ثم الإجراءات الأخرى والتي تدعوا جميعها إلى الستر وعدم نشر جوانب الزوجية إلا ما كان يدعو إلى الفرح وبضوابطه، فإن محاولة علاج المشكلات الزوجية بنشر الأسرار تعد من الممارسات الخاطئة

---

(١) رواه البخاري، ٥٢٤٤، كتاب النكاح، باب لا يطرق أهله ليلاً إذا طال الغيبة، عن جابر بن عبدالله، فتح الباري، ١٠/ ٤٢٥.

(٢) فتح الباري، لابن حجر، ١٠/٤٢٦.

ويبرر فريق نشر الأسرار بأنه أطلع أصدقاءه فقط، وفريق بأنه يرغب في الاستشارة وآخرون للتنفيس، وهذه الحجج كلها مردودة؛ ذلك أن الصداقة لا تدوم. «فعن عبيد الكندي عن أبيه قال: سمعت علياً يقول لابن الكواء: هل تدري ما قال الأول: أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما»[1]، ثم من لم يستطع أن يحفظ سره فأباحه لغيره فمن باب أولى ألا يقدر غيره على حفظه، ثم من أراد الاستشارة فعليه أن يستشير العقلاء الحكماء وهم قلة في الغالب، والتنفيس لا يكون صواباً إذا كان القصد الارتياح الوقتي بطرح الهموم لا علاج المشكلة من أساسها؛ وفي نشر الأسرار تصعيد للمشكلة ذلك أن من كشفت أسراره سيواجهه الناس بالعتاب وبالنظرات الحارقة مما يغيضه على الطرف الآخرالذي كشف أسراره فتتعمق بذلك المشكلة، ثم الطرف الناشر سيشير إليه فلان بالطلاق أو بالاهمال أو بالخيانة أو بالمحافظة على عزة النفس وذلك بعدم المبادرة أو بحل إيجابي إلا أنه لا يناسب مشكلته وفي النادر كما هو ملاحظ مشاهد ما تكون إستشارة العوام مفيدة، ثم في كشف الأسرار ضرر على الذرية التي تعيش في أجواء كلها غيبة ونميمة، ثم في تناول الناس لأسرار البيوت زيادة ومبالغة تخالف الحقيقة وهذه الأمور جميعها تولد مشاكل جديدة بدلاً من المشكلة الأولى الوحيدة، لذلك ترى التربية الاسلامية ان نشر الأسرار ممارسة خاطئة في علاج المشكلات الزوجية.

الممارسة الثانية: الاستعانة بالشعوذة

يلجأ فريق من الناس إلى الشعوذة لعلاج مشكلاته الزوجية ودوافعه في ذلك الآتي:

الأول: الرغبة في معرفة مستقبل الحياة الزوجية ، وما سيؤول إليه الزوج أو الزوجة والذرية والحالة المالية والاجتماعية.

الثاني: التأكد من إخلاص وعدم خيانة الطرف الآخر خاصة اذا وصلت إلى أحدهما أخبار أو شائعات عن خيانة الآخر فتكون هذه الرغبة في التأكد من الحيل النفسية الداعية صاحبها الى اللجوء الى الشعوذه.

---

(١) صحيح الأدب المفرد للبخاري، محمد ناصر الدين الالباني، رقم ٩٩٢/٥٠١.

الثالث: الرغبة في معرفة من يقف وراء المشكلات الزوجية والأسباب الباعثة الى التغيرات والاشكالات.

الرابع: الرغبة في الانتقام وايذاء السعداء والتخلص من المنافسين والوصول الى بعض الغايات مع تبرير كل الوسائل المفضية الى الأهداف المرجوة وقد أشار الرسول ﷺ إلى حرمة إفساد الزوجية لكسب أحد عناصرها فقال: « ليس منا من خبب[1]، إمرأة على زوجها».[2]

وأغلب الأمور التي يرجع الكثير من الأزواج والزوجات إلى أنها المسببةللمشكلات الأمور التالية:

الأول: الحسد: فاذا تغير الزوج أو الزوجةأو فشل الزواج أو كثرت مشاكله فإن أول تبرير يكون إصابة الزوجية بعين حاسدة والاعتقاد بأن الشعوذه هي المخلصة من شر حاسد اذا حسد.

الثاني: السحر: يبرر فريق من الناس رغبة الزوج في التعدد مثلاً ورغبة الزوجة في الطلاق وغياب الأنس والسكن والمودة في الزوجية وتغير طبيعة الرجل أو المرأة إلى طبائع مستوحشة وكثرة التذمر والنفرة المفاجئة الطارئة على أحد الزوجين من الآخر؛ ويبرر كل هذه الأمور وغيرها أول ما يبرر على أنها حصلت بسبب سحر ساحر.

الثالث: الجن: يرجع فريق إصابة أحد الزوجين بالعقم مثلاً أو إسقاط المرأة الدائم، أو إصابة الذرية كلها أو بعضها بالشلل أو تخيل المرأة الزوج أو العكس في صور قبيحة مما يساهم في زرع المشكلات الى غير ما هنالك من مشكلات إلى تأثير الجن لقواهم الخارقة.

---

(١) الخبب: إفساد المرأة بأن يزين إليها كراهة زوجها.

(٢) رواه أبو داود كتاب الطلاق، باب فيمن خبب امرأة على زوجها رقم ١٨٦٠، وهو في صحيح أبي داود للالباني رقم ١٩٠٦ عن أبي هريرة.

موقف الشرع من الحسد والسحر والجن والكهانة

أولاً: الموقف من الحسد.

١- تعريفه: عرف العلماء الحسد على أنه: تمني زوال النعمة من المحسود، ولشدة ارتباط الحسد بالعين نسب الفعل اليه وليست هي المؤثرة وإنما التأثير للروح والأرواح مختلفة في طبائعها وقواها وكيفياتها وخواصها وهو نظر باستحسان مشوب بحسد من حيث الطبع يحصل للمنظور منه ضرر.[1] والحاسد خبيث النفس: «فالعين وحدها لا تفعل شيئاً وانما النفس الخبيثة السمية تكيفت بكيفية عصبية ملع شدة حسد وإعجاب ولهذا لا يتوقف أذى العائن على الرؤية والمشاهدة، بل إذا وصف له الشيء الغائب وصل إليه أذاه»[2]، والحسد أول ذنب عصي الله به في السماء أعني حسد ابليس لأدم ﷺ وأول ذنب عصي الله به في الأرض أعني حسد هابيل لقابيل حتى قتله والحسد شر قال تعالى ﴿ومن شر حاسد اذا حسد﴾[3].

٢- وجوده: يشكك البعض في تأثير العين الحاسدة لخروج أثرها عن الماديات المحسوسة وهنا موطن من مواطن الضعف في التربية غير الإسلامية لأنها تضيق الأفق بينما يتسع تصور المؤمن لهذا الكون حيث يؤمن بوجود عوالم أخرى أمم أمثالنا وهذا الإتساع في الأفق والتصور يجعله محسنا في التعامل مع الكون بمعطياته ومتناغماً مع الكون العابد المتكامل في أدواره المتجاوب مع عناصره فتمطر السماء للدعاء وتمتنع إذا منعت الزكاة فالتربية الإسلامية تؤكد هذا المعنى فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: العين حق[4]، قال الخطابي: في الحديث أن للعين تأثيراً في النفوس وإبطال لقول الطبائعين أنه لا شيء إلا ما تدرك الحواس الخمس وما عدا ذلك لا حقيقة له، وقد أجرى الله العادة بوجود كثير من القوى والخواص في الأجسام والأرواح كما يحدث لمن ينظر

---

(١) فتح الباري، ١١/٢٥٧ و ٢٥٨ بتصرف.

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم، ١/٤٢٢.

(٣) سورة العلق، آية ٥.

(٤) رواه البخاري، فتح الباري، ٥٧٤٠، كتاب الطب، باب العين حق.

إليه من يحتشمه من الخجل فيرى في وجهه حمرة شديدة لم تكن قبل ذلك. وكذا الأصفرار عند رؤية من يخافه وكثير من الناس يسقم بمجرد النظر إليه وتضعف قواه وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى في الأرواح من التأثيرات ».[1]

٣- تأثيره: يترتب على الإيمان بثبوت الحسد الإيمان بتأثيره، فعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، قال: مر عامر بن ربيعة بسهل بن حنيف وهو يغتسل، فقال لم أر كاليوم ولا جلد مخبأة[2]، فما لبث أن لبط به، فأتي به النبي ﷺ فقيل له: أدرك سهلاً صريعاً قال: «من تتهمون به» قالوا، عامر بن ربيعة، قال: علام يقتل أحدكم أخاه إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة[3]، قال المفسرون في قوله تعالى ﴿**وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم**﴾[4]: أخبر بشدة عداوتهم للنبي ﷺ وأرادوا أن يصيبوه بالعين فنظر إليه قوم من قريش وقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حججه، وقيل كانت العين في بني أسد، حتى إن البقرة السمينة أو الناقة السمينة تمر بأحدهم فيعاينها ثم يقول: يا جارية، خذي المكتل والدرهم فأتينا بلحم هذه الناقة؛ فما تبرح حتى تقع للموت فتنحر»[5] ومن الأدلة على تأثير العين الحاسدة ما قاله ﷺ . «إن العين لتولع بالرجل باذن الله تعالى حتى يصعد حالقاً ثم يتردى منه».[6]

٤- حكمه: ذم الله الحسد وعده خلقاً سيئاً وحذر منه وعده مرضاً على المسلم التخلص منه. وقال ﷺ:

١- ناهياً: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا».[7]

---

(١) فتح الباري، لابن حجر، ٢٥٨/١١.

(٢) المخبأة، الفتاة في خدرها وهو كناية عن شدة بياضه.

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب الطب، باب العين، رقم ٣٥٠٠، وهو في صحيح ابن ماجة للألباني، ٢٨٢٨.

(٤) سورة القلم، آية ٥١.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٢٥٤/١٨.

(٦) صحيح الجامع للألباني، رقم ١٦٨١، عن أبي ذر.

(٧) رواه البخاري، كتاب الأدب، رقم ٥٦٠٤.

٢- عاده مرضاً: عن الزبير بن العوام قال: إن النبي ﷺ قال: «دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء».[١]

٣- مخالف للتقوى: عن عبد الله بن عمرو قال: قيل لرسول ﷺ أي الناس أفضل. قال: «كل مخموم القلب صدوق اللسان، قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب، قال: هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد».[٢]

٥- **أنواعه**: بين الشرع أن الحسد نوعان ممدوح ومنبوذ أما المذموم فهو ما أسلفنا ذكره وهو ما ذمه الله في القرآن ﴿**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**﴾.[٣] وأما الممدوح المحمود فهو في قوله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها».[٤] وفي رواية عن ابن عمر «لا حسد إلا على اثنين رجل آتاه الله الكتاب وقام به أناء الليل ورجل أعطاه الله مالاً فهو يتصدق به أناء الليل والنهار»،[٥] والمقصود الغبطة وحب المنافسة في الخير من غير تمني زوال النعمة التي عند المسلم الآخر.

٦- الوقاية والعلاج: شرع الله الوقايات سداً للذرائع ودرءاً للمفاسد في جوانب كثيرة من حياة المسلم ولكن المنهج الإسلامي لا يكتمل إلا بالعلاجات مع الوقايات، ومما شرع لنا كوقايات من الحسد التالي:

أ- الوقايات:

١- ذِكْرُ الله عز وجل الدائم يجعل المؤمن في حصن حصين لا يضره شيء بإذن الله تعالى فإذا غفل عن الدروع تمكنت أسهم الحسد الخبيثة أن تؤذيه وخير الدروع التعوذات والتحصينات التي في الكتاب والسنة.

---

(١) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٣٤، وهو في صحيح الترمذي للألباني ٢٠٣٨.

(٢) رواه ابن ماجة، كتاب الزهد، باب الورع والتقوى، رقم ٤٢٠٦ وهو في صحيح ابن ماجة للألباني، رقم ٣٣٩٧.

(٣) سورة النساء، آية ٥٤.

(٤) رواه البخاري، كتاب العلم، رقم ٧١، عن عبد الله بن مسعود.

(٥) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، رقم٤٦٢٧.

٢- إخفاء النعمة وعدم إظهارها عند من يخشى حسده خشية أكيدة لقوله ﷺ: «إستعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود».[١] وفي تحذير نبي الله يعقوب ﷺ لإبنه يوسف ﷺ من إخبار إخوته بالرؤيا خشية أن يحسدوه دليل، قال تعالى: **﴿قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾**.[٢]

٣- من أدرك أنه عَيُوناً فيستحب له ألا يداخل الناس وللإمام كما قال بعض العلماء أن يأمره بلزوم بيته وإن كان فقيراً رزقه ما يقوم به ويكف أذاه عن الناس وذلك من باب درء المفاسد.

٤- إذا رأى المسلم ما يعجبه فعليه أن يقول، تبارك الله، أو اللهم بارك فيه، لقوله ﷺ في حديث عامر بن ربيعة: «إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة».[٣] فالحديث يدل على أن العين لا تحسد إذا دعى العائن بالبركة.

ب- العلاجات:

أولاً: الرقية: إن الرقى بآيات القرآن وبالأذكار الواردة في السنة سنة صحيحة والإجماع على الجواز ومن الرقية الآتي:

١- عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل، قال: بسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك ومن شر حاسد إذا حسد وشر كل ذي عين».[٤]

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: «إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة».[٥]

(١) صحيح الجامع للالباني، رقم ٩٤٢ عن معاذ بن جبل.

(٢) سورة يوسف، آية ٥.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه مسلم، كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقي، رقم ٢١٨٥، صحيح مسلم بشرح النووي ٧/٤٢٤.

(٥) رواه البخاري، فتح الباري، ٣٣٧١، ٧/٦١، كتاب أحاديث الأنبياء.

٣- عن أبي سعيد قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلت أخذ بها وترك ما سواهما».[1]

ثانياً: الوضوء:

بمعنى أن يتوضأ العائن ثم يصب ماء وضوئه على المعين لقوله ﷺ في حديث أبي أمامة بن سهل: «ثم دعا بماء فأمر عامراً أن يتوضأ فغسل وجهه ويديه إلى المرفقين وركبتيه وداخلة إزاره وأمره أن يصب عليه»،[2] وفي رواية لمسلم «وإذا استغسلتم فاغتسلوا».[3] «وصفة وضوء العائن عند العلماء أن يؤتى بقدح ماء ولا يوضع القدح في الأرض فيأخذ منه غرفة فيتمضمض بها ثم يمجها في القدح ثم يأخذ منه ما يغسل وجهه ثم يأخذ بشماله ماءاً يغسل به كفه اليمين ثم بيمنه ماءاً يغسل به مرفقه الأيسر ولا يغسل ما بين المرفقين والكعبين ثم يغسل قدمه اليمنى ثم اليسرى على الصفة المتقدمة وكل ذلك في القدح ثم داخلة إزاره، فإذا استعمل هذا صبه من خلفه على رأسه».[4]

٧) الشعوذة للتخلص من الحسد: بعد ما سلف ذكره عن الحسد والتعامل الشرعي معه اعتقد المسلمون ثبوت الحسد ولكن مع مضي الأيام وتداخل الشعوب وبروز عادات المجتمعات البعيدة عن تعاليم الإسلام أضيف إلى التعامل الشرعي ما ليس منه مما يندرج تحت باب الشعوذة ومن ذلك:

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقية بالمعوذتين، رقم ١٩٨٤، وهو في صحيح الترمذي للألباني، رقم ١٦٨١.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه مسلم، كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى، صحيح مسلم بشرح النووي.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ٧/٤٢٧.

١- الرقية غير الشرعية كالإستعانة بالأنبياء والصالحين والملائكة والجن للتخلص من الحسد أو يكون كلاماً عجمياً لا يعرف معناه، أو بتعليق تمائم: جمع تميمة وهي ما يعلق في العنق مثلاً لدفع الحسد وليس فيها إلا أسماء ملائكة أو جن ومربعات وعبث أطفال. قال أهل العلم اختلفوا إذا كان المكتوب قرآناً أما غيره فلا يجوز عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له».[1]

٢- تعليق حذاء الفرس كما هو مشاهد في كثير من البيوت من باب رد الحسد وهذا فوق كونه شركاً فيه تقليد لليهود والنصارى وقد نهينا عن تقليدهم فيما هو أقل من هذا وأسلم فكيف فيما ورد فيه النهي أصلاً.

٣- تعليق العين الزرقاء لاعتقاد واضعها قدرتها على منع حاسد إذا حسد حتى عمم الناس استعمالها في البيوت والسيارات والمحلات والمكاتب والمدارس وإكسسوارات النساء، وهذا شرك بالله عز وجل ثم تقليد لليهود والنصارى ومن تشبه بقوم فهو منهم كما بين ﷺ.

٤- تعليق عقد من أقمشة سوداء لاعتقاد فاعله منعها لغائلة الحساد أخذاً بالوقايات الشيطانية.

٥- إهراق دم من النعم عند باب البيت الجديد لمنع الحسد عن الزوجية ثم توزيع الدماء في الحجرات حجرة حجرة ثم تلطيخ دم الذبيحة على الجدر.

ثانياً: الموقف من الجن:

١) أصل خلقتهم: خلق الله الجن من النار، قال تعالى: ﴿**والجان خلقناه من قبل من نار السموم**﴾.[2]

---

(١) رواه أحمد، كتاب سنن الشاميين، رقم ١٦٧٦٣.

(٢) سورة الحجر، آية ٢٧.

٢) بعض صفاتهم:

١- الأكل والشرب: لقوله ﷺ: «لا تستنجوا بالروث ولا بالعظام فإنه زاد إخوانكم من الجن».(١)

٢- النكاح لقوله تعالى: ﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾.(٢)

٣- فيهم المسلم والكافر: ﴿وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فاولئك تحروا رشدا واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾.(٣)

٤- قدراتهم الخارقة: وزع الله فضله على من يشاء من عباده، وجعل بعضهم أقوى من بعض لحكمة اقتضاها ومن القدرات الخارقة في الجني:

أ- يَرى ولا يُرى: ﴿إنه يراكم وهو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾.(٤)

ب- القوة العظيمة: ﴿قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك وإني عليه لقوي امين﴾.(٥)

ج- تصورهم في صورة بشر: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال وكّلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فذكر الحديث فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي لن يزال عليك من الله حافضاً ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبي ﷺ صدقك وهو كذوب ذاك شيطان».(٦)

د- الكلب الأسود: بين الرسول ﷺ أن الكلب الأسود شيطان لقوله: «الكلب الأسود شيطان».(٧)

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الطهارة، باب كراهية ما يستنجى به، رقم ١٨ عن ابن مسعود، وهو في صحيح الترمذي ١٧.

(٢) سورة الرحمن، آية ٥٦.

(٣) سورة الجن، آية ١٤ و ١٥.

(٤) سورة الاعراف، آية ٢٧.

(٥) سورة النمل، آية ٣٩.

(٦) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ٢٠٢٣.

(٧) رواه مسلم، كتاب الصلاة، رقم ٧٨٩ عن أبي ذر.

هـ- الحيات: وقد مر أنه يتشكل في صورة الحيات كما في حديث الصحابي الذي قتل حية فقتلته.

٥- أنواعهم: هم ثلاثة أنواع لقوله ﷺ: «الجن ثلاثة أصناف، صنف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء، وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون».(١)

٣) علاقتهم بالإنس: خلق الله الكون بما فيه للعبادة ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾.(٢) وجعل الكون متناسقاً متناغماً ما دام الجميع في عبادة ولا يمنع هذا التناغم اختلاف أصول الخلقة من طين ونار ونبات وجماد وإن كان بعضه لا يرى بعضه، وفريق منه يعقل وفريق لا يعقل وقسم مكلف وآخر غير مكلف إلا إذا خرج بعض الخلق عن دائرة العبادة فحينها تضطرب الحياة وتتصادم المخلوقات، وعلى هذا الأساس تقوم علاقة الإنس والجن، فإذا خرجت طائفة منها عن دائرة العبادة كانت الأذية ومن صورها:

١- عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ»،(٣) إذاً من أذية الجن للإنس الاعتداء على الصبية.

٢- دخول البيوت: لقوله ﷺ: «وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً واوكوا قربكم واذكروا اسم الله وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله ولو أن تعرضوا عليها شيئاً واطفئوا مصابيحكم».(٤)

٣- الجن تحسد الإنس: قال ابن القيم رحمه الله تعالى العين عينان، عين إنسية وعين جنيّة فقد صح عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ رأى في بيتها جارية

---

(١) صحيح الجامع للألباني، رقم ٣١١٤، عن أبي ثعلبة الخشني.

(٢) سورة الذاريات، آية ٥٦.

(٣) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، رقم ٣٠٥٩، عن جابر بن عبد الله.

(٤) رواه مسلم، كتاب الأشربة، رقم ٣٧٥٦ عن جابر بن عبد الله.

في وجهها سفعة فقال: استرقوا لها فإن بها النظرة، وسفعة أي نظرة يعني من الجن»،[1] تبين أن الجن قد يؤذوا ابن آدم في أولاده وبيته ونفسه بصور متعددة من الأذية وهنا يصير من البعض الشعوذة إن سمعوا أصواتاً غريبة أو تغيراً في الأولاد أو اختلافاً في الزوج أو الزوجة أو عقماً أو إسقاط الحامل المتكرر أو الإنقباض النفسي وما شابه من تغيرات.

٤- الشعوذة: للتخلص من الجن وأذاهم: وذلك بالذهاب إلى المعالجين غير الشرعيين والذين تظهر شعوذتهم في التصرفات التالية:

١- الذبح للجن: قال يحيى بن يحيى: «قال لي وهب استنبط بعض الخلفاء عيناً وأراد اجراءها وذبح للجن عليها لئلا يغوروا ماءها فأطعم ذلك ناساً فبلغ ذلك ابن شهاب فقال: أما إنه قد ذبح ما لم يُحل له وأطعم الناس ما لا يحل لهم نهى رسول الله ﷺ عن أكل ما ذبح للجن».[2] وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله»[3] ومن هذا ما يفعله البعض من ذبح النعم ثم توزيع الدماء في الغرف لوقاية البيت من الجن.

٢- الإستعاذة بالجن: كانت العرب إذا نزلوا منزلاً استعاذوا بالجن فيقول سيد القوم: نعوذ بسيد أهل هذا الوادي فقال الجن نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخبل والجنون»،[4] قال تعالى: ﴿**وانه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً**﴾[5]، وهذا يتكرر هذه الأيام وذلك بتقديم كل ما يريد الجني ليذلل للمتعامل الإنسي بعض الأمور.

---

(١) الطب النبوي، لإبن القيم ١٢٩، والحديث رواه البخاري، كتاب الطب، رقم ٥٢٩٨ عن أم سلمة.

(٢) أحكام المرجان/ ٧٨.

(٣) مسلم، كتاب الأضاحي، رقم ٣٦٥٧ عن علي بن أبي طالب.

(٤) تفسير القرآن، لابن كثير ٤/٤٢٩.

(٥) سورة الجن، آية ٦.

٣- الرقية غير الشرعية: وهذا ما يصير من بعض المعالجين المستعينين في علاجهم بالجن وقد قال أهل العلم أن الجني لا يخدم الإنسي من هؤلاء حتى يأتي كفراً بواحاً، والذي يدفع الناس إلى التعامل مع هؤلاء المعالجين اعتقادهم بولايتهم ذلك أنهم يعلمون أموراً تعد من أخص خصوصيات وأسرار المعالج فكيف علم المعالج بهذه الأمور إلا أنه من الأولياء والحقيقة أن الجن يأتون له بالأخبار، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل ناس رسول الله ﷺ عن الكهان فقال: «ليسو بشيء» فقالوا يا رسول الله إنهم يحدثوننا أحياناً بشيء فيكون حقاً فقال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة».[1] ثم هؤلاء المعالجون من شعوذتهم ودجلهم أنهم يكتبون للناس ما يسمى بالحجاب والحرز والتمائم بغية التخلص من الجن أو طرده من البيت أو إعادة الوفاق بين الزوج والزوجة أو الوقاية من الشياطين إلى ما هنالك من أهداف ثم تعلق على الرقاب أو حول البطون أو مداخل البيوت وفي بعض زوايا البيت والمكتوب في هذه الوريقات دجل واستعانة بالجن وكتابة القرآن بالمعكوس وهذا كله باطل.

٤- العلاج الشرعي: شرع لنا من باب الوقاية والعلاج قراءة القرآن والأذكار النبوية ذكرنا بعضها في الفصل الأول وبعضها في العلاج من الحسد وقد ذكر ابن القيم في الوابل الصيب بعض الأذكار الطاردة للشيطان.[2]

---

(١) رواه البخاري، كتاب الطب، باب الكهانة، رقم ٥٧٦٢، فتح الباري ٢٧٨/١١.

(٢) راجع صحيح الوابل الصيب/٢٠٥.

ثالثاً:الموقف من السحر

١- ذهب أهل السنة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة والدليل ما قاله تعالى: ﴿**واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفرَ سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون**﴾.[١]

وعن عائشة أن النبي ﷺ: سحر حتى كان يخيل إليه أنه صنع شيئاً ولم يصنعه».[٢]

٢- قال أهل العلم: «لا ينكر أن يظهر علي يد الساحر خرق العادات مما ليس في مقدور البشر من مرض وتفريق وزوال عقل وتعويج عضو إلى غير ذلك».[٣]

٣- الحكم على الساحر: «ذهب مالك إلى أن المسلم إذا سحر بنفسه بكلام يكون كفراً يقتل ولا يستتاب ولا تقبل توتبه ولأن الله سمى السحر كفراً، وهو قول أحمد بن حنبل وأبي ثور وإسحاق والشافعي وأبي حنيفة، وإن كان الكلام الذي سحر به ليس بكفر لم يجز قتله، وروي عن الشافعي: لا يقتل الساحر إلا أن يقتل بسحره ويقول تعمدت القتل وإن قال لم أتعمده لم يقتل وكانت فيه الدية كقتل الخطأ وإن أضر به أدب على قدر الضرر، وأبطل ابن العربي قوله.[٤]

٤- السحر من الموبقات: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا الموبقات: الشرك بالله والسحر».[٥] والموبقات بمعنى المهلكات.

---

(١) سورة البقرة، آية ١٠٢.

(٢) البخاري، كتاب الجزية والموادعة، ٢٩٣٩.

(٣) الجامع لاحكام القرآن، للقرطبي ٢/٤٦.

(٤) الجامع لاحكام القرآن، للقرطبي ٢/٤٧.

(٥) رواه البخاري، فتح الباري، ٥٧٦٤، ١١/٢٩٦. كتاب الطب، باب الشرك والسحر من البوقات.

٥- علاج السحر: بين الرسول ﷺ عدة أدوية تخلص من شر السحر منها:

١- أكل التمر: عن عامر بن سعد عن أبيه رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر».(١)

٢- استخراج السحر: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ سُحر حتى يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن»، قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا، فقال: «يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للآخر، ما بال الرجل، قال: مطبوب قال: ومن طبه، قال: لبيد بن أعصم رجل من بني زريق حليف ليهود كان منافقاً، قال وفيم، قال: في مشط ومشاطة قال وأين، قال: في جف طلعة ذكر تحت رعوفة في بئر ذروان» قالت: فأتى النبي ﷺ البئر حتى استخرجه فقال: هذه البئر التي أريتها وكان ماءها نقاعة الحناء وكان نخلها رؤوس الشياطين، قال: فاستخرج قالت: فقلت: أفلا أي تنشرت، فقال: أما والله فقد شفاني وأكره أن أ ثير على أحد من الناس شراً».(٢)

٣- الآيات القرآنية وخاصة الآيات المتحدثة عن السحر والأحاديث النبوية وقد ذكرناها سالفاً في العلاج من الحسد والجن.

تنبيهات:

بعد ما ذكرت عن الحسد والجن والسحر وجوانب الشعوذة الباطلة أذكر بعض التنبيهات الهامة لتجنب الشعوذة تجنباً تاماً:

الأول: لا بد من المعالج لشر هذه الأمور أن يتصف بالتالي حتى يباح للمبتلى العلاج عنده:

١- أن يعالج بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

---

(١) رواه البخاري، فتح الباري، ٥٧٦٩، ١١/٤٠٤، كتاب الطب، باب الدواء بالعجو للسحر.

(٢) رواه البخاري، كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر، رقم ٥٧٦٥، فتح الباري ١١/٢٩٧.

٢- أن يعالج باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره.

٣- أن يعتقد المريض أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله».(١)

٤- ألا يختلي بالمرأة والمردان من الغلمان لورود النهي لقوله ﷺ: «لا يخلوَن رجل بامرأة إلا مع ذي محرم».(٢) وأما الأمرد فيكون أكثرهم أشهى من النساء ولأمن الريبة مع إمكان الفتنة فالحذر منه أولى.

٥- ألا يعتقد المريض أن المعالج يشفي إنما الشافي هو الله قال تعالى: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾.(٣)

٦- أن يكون صالحاً أما أن يفوت الصلاة ويصافح النساء ويأكل الربا فهذا لا يرتجى منه خير في علاجه.

٧- ضرورة استغلال العلاج في دعوة الناس إلى ترك المنكرات وفعل الخيرات.

الثاني: جواز أخذ المال على العلاج من هذه الأمور عن أبي سعيد الخدري أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في سفر فمروا بحي من أحياء العرب، فاستضافوهم فلم يضيفوهم فقالوا لهم: هل فيكم راق، فإن سيد الحي لديغ أو مصاب، فقال رجل منهم: نعم فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب، فبرأ الرجل، فأعطى قطيعاً من غنم فأبى أن يقبلها وقال حتى أذكر ذلك للنبي ﷺ فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال يا رسول الله والله ما رقيت إلا بفاتحة الكتاب فتبسم وقال: وما أدراك أنها رقية، ثم قال: خذوا منهم واضربوا لي بسهم معكم».(٤)

الثالث: إن وجود رصيد علمي شرعي كبير عن الحسد والجن والسحر مع جهل كبيرفي الناس في تقدير هذه الأمور قدرها وترك الحبل على الغارب للمعالجين المرتزقة الدجالين

(١) فتح الباري، لابن حجر ٢٠٦/١٠.

(٢) رواه البخاري ، فتح الباري، ٥٢٣٣، ٤١٤/١، كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم عن ابن عمر.

(٣) سورة الشعراء، آية ٨٠.

(٤) رواه مسلم، كتاب باب جواز الأجرة على الرقية، رقم ٢٢٠١، بشرح النووي ٤٤٣/٧.

المشعوذين جعل الكثير يعلق كل مشاكله على مشجب السحر والحسد والجن كأول سعي لعلاج مشكلاته وهذا التصرف من الحيل النفسية، فما أدى إليه استغراق الناس في العلاج القرآني كحل أول دون النظر إلى احتمال ورود أسباب أخرى إلى عدم الشفاء من أمراضهم وعدم القضاء على المشكلات الزوجية فأدى ذلك إلى التلفظ بعبارات خطيرة جداً، كقول أكثرهم: ما نفعني القرآن، وذلك لأنه أساء التشخيص فما أصاب الدواء، فالمرأة تشتكي من تغير في زوجها وتعلل ذلك بأن فلانة سحرته لتأخذه منها وبعد سؤالها عن عشرتها لزوجها فإذا بها تفارق فراشه أو سليطة اللسان أو مهملة لزينتها...

الرابع: إن علاج المشكلات الزوجية بالشعوذة لا يعالج ولا ينهي المشكلة هذا من ناحية ومن ناحية أخرى تتعمق المشكلة الأساسية وتتخلق مشاكل جديدة غير سخط الله عز وجل على من اتبع سبيل الشعوذة والمشعوذين.

الخامس: الإستعانة بمدعي الغيب: يستعين فريق بمدعي الغيب لمعرفة الأحوال وأسباب مشكلاته الزوجية ومستقبل أمر بيته وأسرار الطرف الآخر، وهذا كله يرفضه الشرع وينهى عن تصديق مدعي الغيب قال تعالى: ﴿**قل لا يعلم من في السماوات والارض الغيب إلا الله**﴾[1] وفعلهم من أضرب الكهانة التي نهى الله عز وجل زيادة في الوقاية من إقامة الحياة على خبط الظنون فقال ﷺ: «من أتى عرّافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة».[2] وهذه الرواية أبلغ وأشد في النهي ذلك لأنها حرمت مجرد السؤال، فكيف بالتصديق كما في الرواية الأخرى «فصدقه»؛ وعن ابن عباس رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»،[3] وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ: نهى عن

---

(١) سورة النمل، آية ٦٥.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكاهن، رقم ٢٢٣٠، ٧/٤٨٤، عن صفية.

(٣) رواه أبو داود، كتاب الطب، باب في النجوم، رقم ٢٤٠٦، عن ابن عباس وهو في صحيح أبي داود رقم ٢٣٠٥.

ثمن الكلب ونهي البغي وحلوان الكاهن»،[1] هذا وقد كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب:

أحدها: يكون لإنسان ولي من الجن يخبره بما يسترقه من السمع من السماء وهذا القسم بطل من حيث بعث الله نبينا محمد ﷺ.

الثاني: أن يخبره بما طرأ أو يكون في أقطار الأرض وهذا لا يبعد وجوده.

الثالث: المنجمون وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما لكن الكذب فيه أغلب ومن هذا الفن العرافة وصاحبها عراف وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعى معرفتها بها وقد يعتضد بعض هذا الفن ببعض في ذلك بالزجر والطرق والنجوم وهذه الأضرب كلها تسمى كهانة وقد أكذبهم كلهم الشرع ونهى عن تصديقهم وإتيانهم، والله أعلم».[2]

إن العرافة التي نراها هذه الأيام والتي يرفضها الإسلام لدخولها في النهي الوارد في حديث عائشة رضي الله عنها مما يؤسف له لترك الناس الأخذ بأسباب سلامة الحياة الزوجية والإهتمام بسؤال العرافين. قال علماؤنا وقد انقلبت الأحوال في هذه الزمان بإتيان المنجمين والكهان ولا سيما بالديار المصرية فقد شاع في رؤسائهم وأتباعهم وأمرائهم اتخاذ المنجمين بل ولقد انخدع كثير من المنتسبين للفقه والدين فجاؤا إلى هؤلاء الكهنة من العرافين فبهرجوا عليهم بالمحال واستخرجوا منهم الأموال فحصلوا من أقوالهم على السراب والال ومن أديانهم على الفساد والضلال وكل ذلك من الكبائر»،[3] وقال مسافر بن عوف لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات يمضين من النهار، فقال له علي رضي الله عنه ولم، قال: إنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك بلاء وضر شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت، فقال

(١) رواه البخاري، كتاب البيوع، رقم ٢٠٨٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٧/٤٨٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٧/٣.

علي رضي الله عنه ما كان لمحمد ﷺ منجم ولا لناس بعده، فمن صدقك في هذا القول لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله نداً أو ضداً، اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ثم قال للمتكلم، نكذبك ونخالفك ونسير في الساعة التي تنهانا عنها ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر وإنما المنجم كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها لأخلدنك في الحبس ما بقيت وما بقيتُ ولأحرمنك العطاء ما كان لي سلطان»[1] ومن أمثلة الشعوذة لمدعي الغيب فيما يخص الحياة الزوجية التالي:

أولاً- **الأبراج**: خصصت الكثير من المجلات والصحف زوايا للفلكيين والمنجمين يتناولون من خلالها تحديد أمور كثيرة في حياة الناس منها الحياة الزوجية، ومن أمثلة ذلك:

- في صفحة لقاء الحظ بمجلة زهرة الخليج الصادرة عن مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع بدولة الإمارات العربية المتحدة والصفحة من إعداد الفلكي حسين أبو زيد «عضو جمية شيكاغو لأحكام النجوم» واستشهد بما يخص المشكلات الزوجية:

- برج الثور: الأحوال العائلية تبدو مستقرة إلى حد ما إلا أن القلق يساور البعض أنصحك بأن تختاري أسهل الطرق لعلاج هؤلاء المتحدين لك.

- برج السرطان: الأحوال العائلية تبدو قلقة ومضطربة فحاولي قدر الإمكان السيطرة على الموقف.

- برج الأسد: تحد صارخ من بعض الأهل فلا بد لك من الدفاع عن نفسك، سوء فهم بينك وبين بعض أفراد الأسرة فاحذري.

- برج الميزان: هناك مشكلة عائلية أو أسرية في طريقها إلى الحل حيث أن الموقف الفلكي مناسب لك.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١٩/٢٩.

- برج العقرب: هناك مشكلة عائلية في طريقك إلى حلها والوقت مناسب أيضاً للصلح.[1]

٢- في صفحة حظك في مجلة الرياضة والشباب الصادرة عن مؤسسة البيان للصحافة والطباعة والنشر بدبي بدولة الإمارات العربية المتحدة والصفحة من إعداد د. محمد رفيع الدين.[2]

- الميزان: إذا كنت من مواليد شهر سبتمبر فإن المشكلات سوف تواجهك خلال الفترة ما بين إبريل ويوليو فيما يخص الشركاء أو الأعمال ربما يتصاعد الموقف ما بين يوليو ونهاية نوفمبر وربما يستمر حتى نهاية العام وإذا ما وقعت المشكلات بين الزوجين فربما يؤدي ذلك إلى الأنفصال.

- أفضل زيجة لك من العقرب والحوت.

- أفضل زواج لك من الميزان والحوت.

- أفضل زيجة لك من الثور.

- أفضل زيجة لك من الميزان.

٣- في صفحة برج الشهر في مجلة «بانوراما الصادرة عن مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع»:[3]

الحمل: هذا هو الوقت المناسب كي تمتع نفسك سواء كنت متزوجاً أو غير متزوج.

ثانياً: قراءة الفنجان: يدعي البعض معرفة مشكلات الآخرين وذلك بعد النظر إلى بقايا مسحوق القهوة مثلاً في فنجان من يريد معرفة أحواله ومستقبل أمره إن خيراً أو شراً وهذا ضرب من إدعاء علم الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله.

---

(١) زهرة الخليج، عدد ٨٨١، سنة ١٩٩٦/١٩٢.

(٢) بتاريخ ٤/ مارس/ ١٩٩٦ ص١٠٢، عدد ٧٧٧.

(٣) بانوراما الخليج، عدد ١٦٠، ١٩٩٥، ص٦٠.

ثالثاً: قراءة الكف: يزعم الدجال معرفة أسرار غيره عن طريق قراءة رسومات باطن الكف فيحدد له ما سيصير له في المستقبل فبعض الناس يستعين بهؤلاء المدعين علم الغيب لمعرفة أخبار حياتهم الزوجية وهذا مما نهينا عنه.

الممارسة الثالثة: طلب الطلاق أو التهديد به:

إن غايات الزواج في التربية الإسلامية لا تتحقق تمام التحقق إن لم تنعم الزوجية بالاستقرار، ومن أبلغ معاني الإستقرار منع كل ما من شأنه القضاء على ديمومة الزوجية إلا إذا كان الضرر في البقاء أرجح من الإنهاء لذا شرع الله إنهاء الزوجية بصورها المعروفة، إلا أن بعض الأزواج لا يضفي الاستقرار النفسي على الزوجية وبخاصة عند نشوب المشكلات وذلك بتهديده المستمر بالطلاق ظناً منه أنه العلاج ومع تكرار هذا التهديد يسقط معنى الطلاق ورهبته في ذهن المرأة لتعودها سماع ذلك من الزوج، وكلا الأمرين شر، وكذا بعض النسوة يعتقدن في الطلاق أول العلاج فيضغطن على الزوج بكثرة الإلحاح وقد يمتنع في البداية ولكنه مع الإلحاح المستمر قد يطلق، وقد يعيش كل منها تجربة زوجية أخرى فإن بقي كل منهما يعالج مشاكله بالطلاق أو بالتهديد به أو بطلب الطلاق فإنهما لن ينعما بنعمة الزواج المستقر وبالتالي الذرية المستقرة وبالتالي المجتمع المستقر، لذا اتخذت التربية الإسلامية جملة إجراءات تشير في مجموعها إلى رفض اعتبار الطلاق أو التهديد به أو طلبه أو العلاج، من ذلك:

أولاً: الوعيد لمن طلبت الطلاق: إن طلب المرأة المتكرر للطلاق والذي يمازجه أحياناً ارتفاع صوتها وحدة نبرتها والمنّ بجميل معروفها وطول صبرها إلى ما هنالك من أمارات الانفعال المصاحبة في الغالب للمرأة عند مطالبتها بالطلاق، إنّ طلبها إن كان في غير ما بأس وشدة تلجئها إلى سؤال المفارقة فإن الشارع قد توعدها بألا تجد رائحة الجنة، أي لا تجد رائحة الجنة أول ما وجدها المحسنون أو لا تجد أصلاً، ولا بدع أنها تحرم لذة الرائحة ولو دخلت الجنة.[1] عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «أيما امرأة سألت

(١) عون المعبود، شرح سنن أبي داود ٦/ ٢٢٠.

زوجها طلاقاً من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة».[1] وقد تزعم المرأة أن في الطلاق علاج والأمر ليس كذلك لأن الطلاق إنهاء وليس دواء وقديكون دواء بمعنى الخلاص من حياتها الأولى ولكنه ليس الأول، ثم في إلحاح المرأة بطلب الفراق إسقاط لكرامة الزوجية حيث نسفت عمرها الطويل فعالجت أول ما عالجت مشكلاتها ولعلها تافهة بطلب الطلاق، ثم لعله مع تكرار الطلب والإلحاح فيه قد يطلق لا لسبب معقول ولكن لفرط إلحاحها وشدة طلبها والرجال يتفاوتون في ضبط أنفسهم. وقد تتمادى المرأة في طلب الفراق وليست تلك رغبتها الحقيقية ولكنها تفعل ما تفعل زاعمة بذلك الحل لعلمها بقدرها عند زوجها وأنه لن يفرط فيها، إلا أن الزوج قد يفعل ما تستبعد هي حصوله فإن ذوات القدر والخير كثيرات، قال الله لرسوله ﷺ وهو مَنْ أحسن اختيار زوجاته وهن من الطيبات لقوله تعالى: ﴿**الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات**﴾.[2] إلا أن الله قال مبيناً إمكان زواجه من الأحسن إن طلق الطيبات اللاتي معه قال تعالى: ﴿**عسى ربه إن طلقكن ان يبدله ازواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا**﴾.[3]

ثانياً: إن تهديد الزوج المتكرر للمرأة بالطلاق ظناً منه أن ذلك يردعها، مخالف للتربية الإسلامية لأن التكرار سيسقط رهبة الطلاق من النفوس، ويوجد جواً من عدم الإرتياح من زوج يهدد بالطلاق لأتفه الأمور كأن يعلق الطلاق على إعداد وجبة أو أداء خدمة فإذا ما وصلت كرامة الحياة الطويلة والعشرة الزوجية إلى مستوى مقابلتها بوجبة أو شربة ماء فإن العلاقة بين الزوج والزوجة تضعف، وفي علاج الزوج لمشكلاته بالتهديد المتكرر بالطلاق دليل ضعف لا يليق.

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الطلاق، باب ما جاء في المختلعات، رقم ١٠٨، وهو في صحيح الترمذي ٩٤٨.

(٢) سورة النور، آية ٢٦.

(٣) سورة التحريم، آية ٥.

الممارسة الرابعة: الإهمال

يتعمد البعض إهمال الطرف الآخر ظناً منه أن الإهمال سيعالج مشكلاته الزوجية ومن صور الإهمال والتي نهى الله عنها لما تأتي به في الغالب من نتائج سلبية تعمق وتكبر حجم المشكلة:

١- الامتناع عن الفراش، وقد نهى الله عنه كما أسلفنا في الأساليب الوقائية والبعض يتمادى فيهجر البيت وكل هذا مخالف لهدي الكتاب والسنة ومما يدعو أهل القلوب غير المسترشدة بالتقوى إلى الإنحراف.

٢- الخيانة: ولا يتورع فريق من الناس من الزعم أن في الخيانة العلاج لمشكلاته الزوجية في أن يصرح لزوجه أنه يعاشر أخرى أو يسمعها صوت عشيقته، مدعياً أنه يجد الأنس والمودة والرحمة مع الاخرى أو ظاناً أن بذلك يشعل غيرة الزوجة واهتمامها ويرجعها إلى الصواب وهذا مردود ذلك أن الله ما جعل شفاء الأمة في حرام.

٣- عدم أداء الحقوق للطرف الآخر لما تفلسفه النفس بأن أداء الحقوق دليل ضعف وتزعم طائفة من الرجال أن في إهمالهم للمرأة في مأكلها ومشربها وملبسها وصحتها تأديب يرجعها إلى الصواب. وهذا مخالف لمقاصد الزوجية في الإسلام.

الممارسة الخامسة: الدعاء بالهلاك

يستعين البعض بالله عز وجل لإنهاء مشكلاته وهذا في ذاته حسن مطلوب سأتكلم فيه بالتفصيل في الفصل الرابع ولكن ما يعنينا هنا هو الدعاء على النفس وعلى الزوج وعلى الذرية عند مواجهة الزوج أو الزوجة لبعض المشكلات، كقولهم «الله يأخذه»، «يخرب البيت»، «عزرائيل يأخذه»، «عمى»، «روحة بلا رجعة» إلى غير ما هنالك من أدعية ليس بالضرورة أن تكون في سجود أو بعد صلاة ولكن قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم أو بأي طريقة، قال ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاءً فيستجيب لكم».[1]

---

(١) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، رقم ٥٣٢٨ عن جابر.

الفصل الثالث

الأساليب الوقائية المانعة من وقوع المشكلات الزوجية

تمهيد:

إن التربية الإسلامية تؤمن بمبدأ الوقاية خير من العلاج، وجملة التشريعات تقر بأن حسن الابتداء يقي مصارع الانتهاء، والزوجية في الإسلام لها الحظ الوافر من الوقائيات التي تعصمها من الاضطرابات والقلاقل إلا أن حدوث المشكلات لا يعد بالضرورة علامة على ضعف الإيمان، فعند استقراء الكتاب والسنة وسيرة الأنبياء والصالحين نرى صوراً من المشكلات وذلك لإقرار بشرية القدوات ولتشريع الحلول: وحسن التصرف مع المشكلات على اختلاف درجاتها من التي تُستوعب بالعلاج والدواء إلى التي تستدعي الطلاق والإنهاء. ثم إن الأخذ بهذه الوقائيات لا يعني بالضرورة منع حدوثها على الإطلاق فإن لم تفعل ذلك قللت نسبة المشكلة وصغرت حجمها، ولتكتمل صورة المنهج الإسلامي في التعامل مع المشكلات حدد الشارع، مع هذه الوقايات علاجات تناسب ما يطرأ على الزوجية بحكم بشرية عناصرها واحتمالية الخطأ في التجربة الإنسانية وإمكان طروء تغيرات في النفس والمزاج.

إن وقاية الزوجية من المشكلات لا بد لضمان تحققها من تظافر جهود المجتمع باختلاف قطاعاته وعدم تناقض طروحات وفعاليات المؤسسات الفاعلة الرسمية والأهلية، والتنسيق للمشاركة في تحقيق أهداف الزوجية وفق برنامج مدروس، وإن لم يكن ثم تظافر وتكامل وعدم تناقض وتنسيق فإن اللبنة الأولى معرضة للمشكلات من خارجها ولعلها قاتلة.

إن الأساليب الوقائية في المنهج التربوي الإسلامي تنقسم إلى قسمين، قسم منها متعلق بما قبل الزواج لتتضح الرؤيا ولتحسن عناصر الزوجية الانطلاق، وقسم متعلق بما بعد الزواج مصاحب لحياة الزوج والزوجة.

المبحث الأول

أساليب ما قبل الزواج

الأول: حسن الإختيار

إن مقاييس الخيرية يتفاوت الناس في تحديدها نتيجة اختلافهم في موازين القياس، فعن سهل قال: «مر رجل على رسول الله ﷺ فقال: ما تقولون في هذا، قالوا: حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع وإن قال أن يستمع، قال ثم سكت، فمر رجل من فقراء المسلمين، فقال: ما تقولون في هذا، قالوا: حري إن خطب أن لا ينكح وإن شفع أن لا يشفع وإن قال ألا يستمع، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا».[١] لذلك حددت التربية الإسلامية معايير الاختيار لعناصر الزوجية بما يكفل تحقيق الأهداف ويمنع ما أمكن من المشكلات، لذلك نرى أهل الحديث بوبوا في حسن الاختيار إشارة إلى المعايير الشرعية وأخذاً بالوقاية سداً للذرائع المفضية إلى المفاسد فقد بوب البخاري في صحيحه فقال: «باب إلى من ينكح وأي النساء خير وما يستحب أن يتخير لنطفه من غير إيجاب»[٢] وبوّب مسلم في صحيحه ثلاثة أبواب في الاختيار فقال: «باب إستحباب نكاح ذات الدين» و«باب استحباب نكاح البكر» و«باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة»[٣] وبوب الترمذي في كتاب النكاح بابين في الاختيار، أولهما: «باب ما جاء فيمن ترضون دينه فزوجوه» و«باب ما جاء فيمن تنكح على ثلاث خصال»[٤] وعلى هذا جُلُ أهل الحديث.

إن من دلائل حث الإسلام على حسن الإختيار أن حض الآباء على عرض بناتهم على الصالحين، قال تعالى مخبراً عن صالح مدين الذي عرض بناته على نبي الله موسى ﷺ: ﴿إني اريد أن انكحك إحدى إبنتي هاتين﴾[٥] «وهكذا في بساطة وصراحة عرض الرجل

---

(١) رواه البخاري،(فتح الباري ، رقم ٥٠٩١، ١٠/٦٥)، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، الفتح ١٠/١٥٦.

(٣) صحيح مسلم، بشرح النووي، ٥/٢٠٧.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٤/١٧٢.

(٥) سورة القصص، آية ٢٧.

إحدى ابنتيه في غير تحرج ولا التواء، فهو يعرض نكاحاً لا يخجل منه، يعرض بناء أسرة وليس في هذا ما يخجل ولا ما يدعو إلى التردد والتصنع مما يشاهد في البيئة التي تنحرف عن سواء الفطرة وتخضع لتقاليد مصطنعة باطلة سخيفة تمنع ولي الأمر من التقدم لمن يرتضي خلقه ودينه، ومن مفارقات مثل هذه البيئة المنحرفة أن الفتيان والفتيات يلتقون ويتحدثون ويتكشفون في غيرما نية نكاح فأما حين تعرض الخطبة أو يذكر النكاح فيهبط الخجل المصطنع وتقوم الحوائل المتكلفة وتمتنع المصارحة والبساطة».[1]

ولقد بوب البخاري في ذلك باباً فقال: «باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير»[2] واستشهد بحديث ابن عمر يحدث: «إن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفي بالمدينة فقال عمر بن الخطاب: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالي ثم لقيني، فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا، قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلت إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئاً وكنت أوجد عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه»،[3] بل ذهبت التربية الإسلامية إلى أبعد من عرض الرجل وليته على أهل الخير أخذاً بما يقي الزوجية من النتائج السلبية إلى إباحة عرض المرأة نفسها على الصالح فلقد بوب لذلك البخاري في كتاب النكاح فقال: «باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح»،[4] وبوب نحوه النسائي فقال: «باب عرض المرأة نفسها على من ترضى»،[5] وساق البخاري حديث أنس قال: «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تعرض عليه نفسها، قالت: يا رسول الله ألك بي حاجة، فقالت: بنت أنس: ما أقل حياءها

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٢٦٨٨/٥ بتصرف.

(٢) فتح الباري لابن حجر/ ٢١٩/١٠.

(٣) رواه البخاري، (فتح الباري رقم ٥١٢٢ ، ٢١٩/١٠)، كتاب النكاح، باب عرض الإنسان إبنته أو أخته على أهل الخير.

(٤) فتح الباري ٢١٨/١٠-٢١٩.

(٥) صحيح النسائي، للألباني ٦٨٥/٢.

واسوأتاه، قال: هي خير منك رغبت في النبي ﷺ فعرضت عليه نفسها»[1] «ففي الحديث جواز عرض المرأة نفسها على الرجل وتعريفه رغبتها فيه وأن لا غضاضة عليها في ذلك».[2]

إن الحرص على حسن الاختيار في التربية الإسلامية لا يكون من الرجل فقط، بل أشارت الأدلة إلى أهمية اعتناء عناصر الزوجية بحسن اختيار كل للآخر، ثم ما سأذكر من معايير ليست جميعها على الوجوب، فبعضها كذلك والآخر للإستحباب.

المعيار الأول: الدين: إن الإيمان مقدم على كل المعايير والمقاييس قال تعالى: **﴿ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم﴾**.[3] ذلك أن أهداف الزواج من إنشاء ذرية نكثر بها أمة محمد ﷺ كثرةً يتباهى بها إلى الإحصان والأعفاف إلى السكن والمودة والرحمة وغيرما هنالك من أهداف لا تتحقق بالشكل المطلوب بغير الإيمان، فحرم أن تكون المسلمة تحت كافر، وحرم نكاح المؤمن بالكافرة إلا الكتابية لورود النص أملاً في أن تسلم لانصياع المرأة في الغالب إلى زوجها، عن أنس قال: خطب أبو طلحة أم سليم فقالت: والله ما مثلك يا أبا طلحة يرد ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة ولا يحل لي أن أتزوجك، فإن تسلم فذاك مهري وما أسألك غيره، فأسلم فكان ذلك مهرها».[4]

إن الإهتمام بالصلاح مطلوب من الرجل والمرأة، أما من الرجال فلقوله ﷺ: «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[5] وأما من المرأة فلقوله ﷺ: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»[6] وفي رواية: «قالوا: يا رسول الله وإن كان فيه، قال: إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه» ثلاث مرات».[7]

---

(١) رواه البخاري، (فتح الباري رقم ٥١٢٠، ١٠/ ٢١٨١)، كتاب النكاح، باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح.

(٢) فتح الباري، لابن حجر ١٠/٢١٩.

(٣) سورة البقرة، آية ٢٢١.

(٤) رواه النسائي، كتاب النكاح، باب التزويج على الإسلام رقم ٣٢٨٩، وهو في صحيح النسائي للألباني، رقم ٣١٣٢.

(٥) رواه البخاري، (فتح الباري رقم ٥٠٩٠ ١٠/١٦٤)، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، عن أبي هريرة.

(٦) رواهما الترمذي ، أبواب النكاح، باب ما جاء في من ترضون دينه فزوجوه، رقم ١٠٩٠ و ١٠٩١ تحفة الأحوذي ٤/ ١٧٢ والأول عن أبي هريرة والثاني عن أبي حاتم المزني وهما في صحيح الترمذي للألباني ٨٦٥ و ٨٦٦.

(٧) رواهما الترمذي ، أبواب النكاح، باب ما جاء في من ترضون دينه فزوجوه، رقم ١٠٩٠ و ١٠٩١ تحفة الأحوذي ٤/ ١٧٢ والأول عن أبي هريرة والثاني عن أبي حاتم المزني وهما في صحيح الترمذي للألباني ٨٦٥ و ٨٦٦.

إن السعادة الحقيقية في الزوجية إنما تكون بصلاح عناصرها ذلك أن طول صحبتهما تستوجب الصلاح وإلا فلا سعادة، فبالصلاح يكون الصبر على الفقر والإسلام هو النسب والأخلاق هي الجمال وبغير الدين يكون السخط عند الفقر والتعالي عند تفاوت الأحساب والمظهر دون الجوهر الجمال وحينها لا سعادة، عن سعد قال قال رسول الله ﷺ: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة والمسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنيء وأربع من الشقاء: المرأة السوء، والجار السوء، والمركب السوء والمسكن الضيق»[1] إن الزوجة الصالحة هي المؤهلة لإعانة زوجها في أمور دينه ودنياه وإذا وفق الإنسان لأن يعان على الدارين من أقرب الناس إليه ومن هم في الغالب مظنة تعاسة الدارين **﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم﴾**[2] فقد ربح كنزاً عظيماً، قال ﷺ: «قلب شاكر ولسان ذاكر وزوجة صالحة تعينك على أمر دنياك ودينك خير ما اكتنز الناس»[3]

الثاني: الخُلق

أشار الرسول ﷺ إلى أهمية الانتباه إلى الخلق في الطرف الآخر، وذلك في قوله «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخُلقه»، فكمْ من صاحب دين لم يتهذب بالخُلق الإسلامي، فتراه فظاً غليظ القلب لا يألف ولا يُولف، يخافه الناس لسلاطة لسانه، أو لفُحشه أو لبذاءته أو لقلة وفائه، إلى غير ذلك من علامات سوء الخُلق والطبيعة. فإذا كانت هذه الأخلاق تقضي على الصداقة والصحبة، وهي طارئة، فكيف لا تؤثر فيمن يتعاشرون تحت سقف واحد ليلاً ونهاراً فكان لا بد من الانتباه إلى حسن الخُلق والمزاج لنحقق مقاصد الزواج في الإسلام.

الثالث: الولود

إن من أسمى أهداف الزوجية في التربية الإسلامية إبقاء الجنس الإنساني وإكثار أتباع الرسول ﷺ، فالزواج من العقيم يصادم الهدف، فعن معقل بن يسار قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أصبت امرأة ذات جمال وحسن وأنها لا تلد، أفأتزوجها، قال: لا، ثم أتاه الثانية

---

(١) صحيح الجامع للألباني، رقم ٨٨٧.

(٢) سورة التغابن، آية ١٤.

(٣) صحيح الجامع للألباني ٤٤٠٩ عن ثوبان.

فنهاه ثم أتاه الثالثة فقال: تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»[1] وهذا ما كان يدعو إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك أنه تزوج إبنة حفص بن المغيرة، فحدث أنها عاقر لا تلد فطلقها عمر قبل أن يجامعها».[2]

الرابع: البكر

إن الأنس بالزوجية من أسباب السكن الذي هو من غايات النكاح كما بين تعالى في قوله: ﴿**ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾[3] والبكر أقدر من الثيب على الإيناس لطفولتها أو لقرب تجاوزها مرحلة الطفولة وما في هذه المرحلة من الدلال والخفر واللطافة وسذاجة وحياء من لم تجرب المباضعة والرجال وتعليل التزويج بالبكر لما فيه من الألفة التامة فإن الثيب قد تكون متعلقة القلب بالزوج الأول فلم تكن محبتها كاملة بخلاف البكر»[4] والبكر تبعث الحيوية في زوجها فينشط وإن كان كبيراً، فالرسول ﷺ تزوج عائشة وهو في الخمسين وهي في السادسة من عمرها ومع هذا سابقها مرتين مرة سبقته وفي الأخرى سبقها ولم يصلنا أنه فعل مثل ذلك مع غيرها علماً بأنها البكر الوحيدة من زوجاته.

لذلك حث الإسلام علي نكاح البكر، فعن محارب قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول: تزوجت فقال لي رسول الله ﷺ: ما تزوجت، فقلت: تزوجت ثيباً، فقال: مالك وللعذارى ولعابها» فذكرت ذلك لعمرو بن دينار فقال عمرو: سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال لي رسول الله ﷺ: هلا جارية تلاعبها وتلاعبك»،[5] وفي رواية «وتضاحكها وتضاحكك» وعند الطبراني «وتعضها وتعضك» وفيه رواية المستملي بضم اللام في قوله «مالك وللعذارى ولُعابها» والمراد به الريق، وفيه إشارة إلى مص لسانها ورشف شفتيها»[6] وفي قوله ﷺ: «عليكم

---

(١) رواه أبو داود في كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، رقم ١٧٥٤ وهو في صحيح أبي داود للألباني ١٨٠٥.

(٢) موسوعة عمر بن الخطاب د. محمد رواس قلعجي ٦٥١.

(٣) سورة الروم، آية ٢١.

(٤) عون المعبود بشرح سنن أبي داود، ٢١/٦.

(٥) رواه البخاري، (فتح الباري رقم ٥٠٨٠ ١٥٢/١٠)، كتاب النكاح، باب تزويج الثيبات .

(٦) فتح الباري لإبن حجر ١٥٣/١٠.

بالأبكار فإنهن أعذب أفواهاً»[1] ذلك أن الجديد أفضل من المستعمل وهذا مشاهد معلوم والبكر أقدر على الإنجاب لذلك قال ﷺ: «عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهاً وأنتق أرحاماً وأرضى باليسير»[2] قوله، أنتق أرحاماً: أي انهن أكثر أولاداً، وفي رواية ابن السني وأبو نعيم في الطبراني ابن عمر «وأسخن إقبالاً»[3] وفي رواية الطبراني في الأوسط عن جابر «وأقل خباً»[4] وفي رواية الشيرازي في الألقاب عن بشر بن عاصم عن أبيه عن جده «عليكم بشواب النساء، فإنهن أطيب أفواهاً، وأنتق أرحاماً وأسخن إقبالاً».[5] لذلك كله صرح النووي فقال: «فيه فضيلة تزوج الأبكار وثوابهن أفضل».[6]

وقال الغزالي «في البكارة ثلاث فوائد: إحداها: أن تحب الزوج وتألفه فيؤثر في معنى الود والطباع مجبولة على الأنس بأول مألوف وأما التي اختبرت الرجال ومارست الأحوال فربما لا ترضى بعض الأوصاف التي تخالف ما ألفته فتقلي الزوج، الثانية: أن ذلك أكمل في مودته فإن الطبع ينفر عن التي مسها غير الزوج نفرة ما، الثالثة: أنها لا تحن إلى الزوج الأول وأكد الحب ما يقع مع الحبيب الأول غالباً».[7]

الخامس: الجمال

إن المسلم في ابتلاء أبداً لقوله تعالى: ﴿**الم احسب الناس أن يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون**﴾.[8] ومن أشد الفتن فتنة النساء لقوله ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء».[9] فلعل مما يقي المسلم هذه الفتنة أن يختار صاحبة الجمال خاصة في عصرنا الذي يموج بالمثيرات والمغريات: قال ابن حجر في شرحه لقوله ﷺ: «تنكح المرأة لأربع..... وجمالها....» قال: يؤخذ منه استحباب تزوج الجميلة إلا أن تعارض الجميلة الغير

---

(١) رواه ابن ماجة، كتاب النكاح، رقم ١٨٥١ وهو في صحيح ابن ماحة للألباني رقم ١٥٠٨، ٢١٢/١ عن عتبة بن عويم

(٢) المرجع السابق.

(٣) وهو في صحيح الجامع للألباني، رقم ٤٠٥٣.

(٤) وهو في صحيح الجامع للألباني، رقم ١/٤٠٥٣

(٥) وهو في صحيح الجامع للألباني ٤٠٧٨.

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي ٢١١/٥.

(٧) أحياء علوم الدين، للغزالي ٤١/٢.

(٨) سورة العنكبوت، آية ١، ٢.

(٩) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة، رقم ٤٧٠٦ عن أسامة بن زيد.

دينة والغير جميلة الدينة، نعم لو تساوتا في الدين فالجميلة أولى»،[1] ويصح أن تطلب المرأة في الرجل الوسامة والملاحة، قال عمر رضي الله عنه: «لا تنكح المرأة الرجل القبيح الذميم فإنهن يحببن لأنفسهن ما تحبون لأنفسكم»،[2] ولبى الرسول ﷺ طلب امرأة الطلاق من زوجها الذي لا تعيب عليه شيئاً في دينه ولا في خُلقه إلا أنه دميم، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «جاءت امرأة ثابت بن قيس بن شماس إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ما أنقم على ثابت في دين ولا خلق، إلا إني أخاف الكفر، فقال رسول الله ﷺ فتردين عليه حديقته، فقالت: نعم، فردت عليه وأمره ففارقها».[3] وعند ابن ماجة: «كانت حبيبة بنت سهل عند ثابت بن قيس وكان رجلاً دميماً، فقالت: والله لولا مخافة الله إذا دخل علي لبصقت في وجهه»، وأخرج عبد الرزاق عن معمر قال: «بلغني أنها قالت: «يا رسول الله بي من الجمال ما ترى وثابت رجل دميم» وفي رواية معتمر بن سليمان عن فضيل عن أبي جرير عن عكرمة عن ابن عباس: «أول خلع كان في الإسلام امرأة ثابت بن قيس، أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله لا يجتمع رأسي ورأس ثابت أبداً، إني رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل في عدة، فإذا هو أشدهم سواداً وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهاً، فقال: أتردين عليه حديقته، قالت: نعم، وإن شاء زدته، ففرق بينهما».[4]

الخامس: من أهل المعاناة

إن أهل المعاناة ذاقوا مرارة الحياة فخبروا تعبها ونكدها وفي ذلك تكفيرٌ للذنوب وتربية للنفوس وتعود على تقلبات الأيام وتقلب بين الشكر عند النعمة والصبر عند الفقر واستشعاراً لآلام الناس وأوجاعهم إلى غير ما هنالك من مكاسب لأهل المعاناة لمعاناتهم وهذا كله يفقده غيرهم، والرسول ﷺ حياته حياة إمام المجاهدين وسيد المرسلين لا تناسب من لم يعاني لذلك امتنع عن الزواج بامرأة تتصف بالجمال والعقل ولكنها لم تعاني، «عن الليثي قال: جاء رجل من بني سليم إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن لي ابنة من جمالها وعقلها ما إني لأحسد الناس عليها غيرك، فهمَّ النبي ﷺ أن يتزوجها، ثم قال: وأخرى يا رسول الله، لا والله ما أصابها عندي مرض قط، فقال له النبي ﷺ: لا حاجة لنا في ابنتك تجيئنا تحمل خطاياها، لا خير في مال لا يرزأ منه وجسد لا ينال منه».[5]

---

(١) فتح الباري، لإبن حجر ١٠/١٦٩.

(٢) أحكام النساء، لإبن الجوزي ٢٠٥.

(٣) رواه البخاري، (فتح الباري رقم ٥٢٧٦ ، ١٠/٤٩٦)، كتاب الطلاق، باب الخلع وكيف الطلاق فيه .

(٤) فتح الباري لإبن حجر ١٠/٥٠٢.

(٥) الطبقات الكبرى لإبن سعد ٨/١٥٠.

السادس: مراعاة ما يناسب القدوات وأهل الهيئات

إن من سنن الله عز وجل أن يقيض لهذا الدين رجالاً يعتنقوه أولاً ثم يبلغوه الناس ليلاً ونهاراً، باعوا أنفسهم لربهم، يجاهدون في سبيله لإعلاء كلمته، وهؤلاء القدوات يحسنون اختيار زوجاتهم ليكن عوناً لهم بعد الله عز وجل في دعوتهم وفي حسن تربية أبنائهم. وهكذا كانت خديجة رضي الله عنها، أول من آمن بالله وبرسوله وصدق بما جاء منه فخفف الله بذلك عن نبيه ﷺ لا يسمع شيئاً مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له، فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها. تثبته وتخفف عليه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس، رحمها الله تعالى».(١)

إن القدوات معرضون لمواقف تزلزل الجبال فكيف إذا وافقت هذه المحن زوجة ضعيفة أنّانة تضجر سريعاً ولا تملك رأياً ولا عقلاً فإن الداهية تكون طامة، ولهذا كان التوفيق الرباني للرسول ﷺ في زواجه من خديجة رضي الله عنها لمناسبتها لمرحلة البدايات الصعبة.

قال ابن اسحاق: حدثني إسماعيل بن أبي حكيم، أنه بلغه عن خديجة أنها قالت: يا ابن عم، أتستطيع أن تخبرني بصاحبك إذا جاءك، فلما جاءه، قال: يا خديجة هذا جبريل، فقالت: اقعد على فخذي ففعل فقالت: هل تراه، قال: نعم قالت فتحول إلى الفخذ اليسرى، ففعل قالت هل تراه، قال نعم، فألقت خمارها وحسرت عن صدرها فقالت هل تراه، قال: لا، قالت: أبشر، فإنه والله ملك وليس بشيطان».(٢)

إن لغة الحلال والحرام ليست الوحيدة في مخاطبة الرواحل، بل مخاطبتهم بالورع وما يناسب من يتأسى به ويُقتدى بعمله أليق وهذه بعض الضريبة، فقد يمنع نفسه من مباح خشية افتتان غيره به وقد يغلق باباً يلجه غيره وهذه من تربويات الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن هذا الفقه كان موقفه ممن تزوج بالكتابية فمنعهم للأهداف التالية:

١- المحافظة على منزلة أهل الهيئات: ذلك أن عمر رضي الله عنه «قال للذين تزوجوا من نساء أهل الكتاب طلقوهن فطلقوهن إلا حذيفة، فقال له عمر: طلقها، قال: تشهد أنها حرام، قال هي خمرة، طلقها، قال: تشهد أنها حرام، قال: هي خمرة، قال قد علمت أنها

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١١٦/٢ ورجاله ثقات لكنه منقطع.

(٢) السيرة، لابن هشام ٢٧٤/١.

خمرة ولكنها لي حلال، فلما كان بعد طلقها».[1] وفي رواية قال حذيفة: «لم أحرام هي، فقال له عمر: لا ولكنك سيد المسلمين ففارقها»[2] وفي رواية «كتب عمر إلى حذيفة «أعزم عليك ألا تضع كتابي هذا حتى تخلي سبيلها فإني أخاف أن يقتدى بك المسلمون».[3]

٢- خشية افتتان القدوات: إن عمر رضي الله عنه لما أمر الصحابة أن يطلقوا الكتابيات كان ذلك منه لحرصه عليهم من ميلان القلب إلى الزوجة كما ورد في خبر حذيفة «لأنه ربما مال إليها قلبه ففتنته وربما كان بينهما ولد فيميل إليها».[4]

٣- الخوف على المسلمات من العنوسة، لأن زواج القدوات بغير المسلمات من شأنه أن يحث البقية إلى الزواج بغيرهن وفي ذلك فتنة للمسلمات قال عمر في كتابه إلى حذيفة «أعزم عليك ألا تضع كتابي هذا حتى تخلي سبيلها فإني أخاف أن يقتدي بك المسلمون فيختاروا نساء أهل الذمة لجمالهن وكفى بذلك فتنة لنساء المسلمين».[5] وفي رواية: «إني أخشى أن تدعوا المسلمات وتنكحوا المومسات».[6]

٤- إن من فقه عمر التربوي أن للنساء القدوات مراعاة من يناسبهن في الاختيار فقال: «يتزوج المهاجر الأعرابية ولا يتزوج الأعرابي المهاجرة ليخرجها من دار هجرتها».[7]

أمور لا بد من الإنتباه إليها عند الإختيار

الأول: إن بعض الرجال والنساء يبحثون عن الكمال في الطرف الآخر عند بغية الزواج، فيضع الرجل مواصفات كثيرة لمن يريدها زوجة له وكذا المرأة تضع في مخيلتها تصوراً دقيقاً عن الزوج وهذا محال تحققه، ذلك أن الكمال لله وحده، وكل من في دائرة الآدمية فهو كما قال ﷺ: «كل ابن آدم خطاء»[8] وخطاء على وزن فعال وهي من صيغ المبالغة بمعنى كثير الخطأ، وعند تجاهل هذه الحقيقة أو نسيانها أو جهلها

---

(١) المغني لإبن قدامة ٥٠١/٧.
(٢) موسوعة عمر، د. محمد رواس، ٦٥٠.
(٣) سد الذرائع للبرهاني/ ٥٢٦.
(٤) سد الذرائع في الشريعة الإسلامية، محمد هاشم البرهاني/ ٥٢٧.
(٥) سد الذرائع، هشام البرهاني/٥٢٦.
(٦) سنن البيهقي ١٧٢/٧.
(٧) مصنف عبد الرزاق ١٧٦/٧.
(٨) صحيح الجامع للألباني، رقم ٤٥١٧.

يكون الإحباط وخيبة الأمل التي تفضي أحياناً إلى الطلاق، ومن أمثلة هذه المواصفات أن يشترط توفر الدين والحسب والمال والجمال المتميز وكذا المرأة تشترط في الرجل هذه الأمور جملة واحدة ومن أمثلة ذلك ما قاله أحدهم «جارية معتدلة الخلق، نقية اللون والثغر، بيضاء قمراء، وطفاء كحلاء، دعجاء حوراء عيناء، قنواء شماء، برجاء زجاء، أسيلة الخد، شهية المقبل، جثلة الشعر، عظيمة الهامة، بعيدة مهوى القرط، عيطاء عريضة الصدر، كاعب الثدي، ضخمة مشاش المنكب والعضد حسنة المعصم، لطيفة الكف، سبطة البنان، ضامرة البطن، خميصة الخصر غرثى الوشاح رداح الأقبال رابية الكفل، لفاء الفخذين، ريا الروادف ضخمة المأكمتين، عظيمة الركبة، مفعمة الساق، مشبعة الخلخال، لطيفة الكعب والقدم، قطوف المشي، مكسال الضحى، بضة المتجرد، سموعاً للسيد، ليست بخنساء ولا سفعاء، رقيقة الأنف، عزيزة النفس، لم تغذ في بؤس، حيية حصينة رزينة، حليمة ركينة، كريمة الخال، تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها، وتستغني بفصيلتها دون جماع قبيلتها قد أحكمتها الأمور في الأدب، فرأيها رأي أهل الشرف، وعملها عمل أهل الحاجة، صناع الكفين، قطيعة اللسان، رهوة الصوت، ساكنته تزين الولي وتشين العدو، إن أردتها اشتهت وإن تركتها انتهت تحملق عيناها وتحمر وجنتاها وتذبذب شفتاها وتبادرك الوثبة إذا قمت ولا تجلس إلا بأمرك إذا جلست».[1] وهذا لعمري لا يكون إلا في الجنة، ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه...

الثاني: مر معنا في غير ما موضع ضرورة اهتمام المرأة بحسن اختيار الزوج، فقد يتقدم لها من لا تريده لضعف دينه أو لسوء عشرته وخلقه إلى غير ما هنالك من موانع، فالجميع مخاطب بحسن الاختيار الرجال والنساء على حد سواء.

الثالث: هذه المعايير ليست كلها على الوجوب فبعضها كذلك وإلا بطل الزواج كالإسلام إلا الكتابيات للمسلم وبعضها من غير إيجاب.

الرابع: قد يحسن الجميع الاختيار ولكن قد يطرأ ما يفسد الأمور ويغير الأحوال، لأن دوام الحال من المحال فلا بد من السعي لإصلاح الوضع ثم لعل ما يطرأ أن يكون ابتلاءً لرفع الدرجات أو عقاباً بسبب بعض الذنوب ﴿**فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير**﴾[2] ثم هو معذور عند ربه وأهله والناس أجمعين ذلك أنه أحسن الاختيار

---

(١) جمهرة رسائل العرب، أحمد زكي صفوت ١/ ١٠.

(٢) سورة الأعراف، آية ١٨٨.

وما كان يعلم أن صاحبه ستفسد أموره ﴿**ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء**﴾.[1]

الخامس: إن أهل العلم اختلفوا في اشتراط الكفاءة لصحة النكاح قال ابن قدامة: والرواية الثانية عن أحمد أنها ليست شرطاً في النكاح وهذا قول، أكثر أهل العلم روي نحو هذا عن عمر وابن مسعود وعمر بن عبد العزيز وعبيد بن عمير وحماد بن أبي سلمان وابن سيرين وابن عون ومالك والشافعي وأصحاب الرأي لقوله تعالى: ﴿**إن اكرمكم عند الله اتقاكم**﴾[2] وقالت عائشة رضي الله عنها أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة تبنى سالماً وأنكحه إبنة أخيه هند ابنة الوليد بن عتبة وهو مولى لامرأة من الأنصار أخرجه البخاري وأمر النبي ﷺ فاطمة بنت قيس أن تنكح أسامة بن زيد مولاه فنكحها بأمره متفق عليه وزوج أباه زيد بن حارثة إبنة عمته زينب بنت جحش الأسدية».[3]

السادس: ينبغي عند الاستشارة سؤال العقلاء لا الحمقى، والعارفين بأمور النساء لا المندهشين، والحريص لا الفضولي وصحيح المزاج لا متقلبه، ولا بد من الأخذ بما سنذكر من الوقائيات كالنظر فلا يكتفي بالصور فهي خدّاعة ولا بنقل الثقات فالنظرة نسبية مزاجية قال الغزالي: «ولا يستوصف في أخلاقها وجمالها إلا من هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن ولا يميل إليها فيفرط في الثناء ولا يحسدها فيقصر فالطباع مائلة في مبادي النكاح ووصف المنكوحات إلى الإفراط والتفريط وقل من يصدق فيه ويقتصد بل الخداع والإغراء أغلب».[4]

السابع: قد يقال إن كانت هذه هي مقاييس الاختيار فلمن غير الجميلات والثياب والمتنعمات والعقيمات أقول الجمال نسبي والناس في تحديده يتفاوتون والبعض لا يلتفتون إلى الجمال أساساً، ثم من الرجال من يبحث عن الثيبات كما كان من الصحابي الجليل

---

(١) سورة الشورى، آية ٣٠.

(٢) سورة الحجرات، آية ١٣.

(٣) المغني، لابن قدامة ٧/٢٧١ و ٢٧٢.

(٤) إحياء علوم الدين للغزالي ٢/٢٩.

عبد الله بن جابر رضي الله عنه وذلك مراعاة لظروفه وأحواله والبعض يتمنى العقيم، ثم هذه المقاييس ليست جميعها على الوجوب بل جلها على الاستحباب.

الثاني: النظر

أمر الله عز وجل الأمة رجالاً ونساءاً أن يغضوا البصر لأنه بريد الزنا، فقال سبحانه: **﴿قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم إن الله خبير بما يصنعون، وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن﴾**،[1] وحذر الرسول ﷺ من إرسال النظر إلى النساء: «عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان الفضل رديف النبي ﷺ فجاءت امرأة من خثعم فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه فجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر»[2] وعن سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إياكم والجلوس على الطرقات فقالوا ما لنا بد إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها قالوا وما حق الطريق قال غض البصر، وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».[3] ولكن لما كان عدم نظر الرجل إلى من يريدها زوجة وكذا المرأة مظنة قصر الحياة الزوجية وسبب في هدم الأسرة راعت التربية الإسلامية المصالح فأباحت النظر، فعن المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال النبي ﷺ: «انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»،[4] بل يبيح الرسول ﷺ أن ينظر لمن يريد الزواج إلى ما يدعوه إلى النكاح، فعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ: «إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل، قال: فخطبت جارية فكنت أتخبأ لها حتى رأيت منها ما دعاني إلى نكاحها وتزوجتها»[5] وفيه جواز النظر إلى غير الوجه والكفين لقوله ﷺ: «أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها» فلو كان النظر مقصوراً على الوجه والكفين لحدده

---

(١) سورة النور، آية ٣٠ و ٣١.

(٢) رواه البخاري، كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله، رقم ١٧٢٢.

(٣) رواه البخاري، كتاب المظالم والغضب، باب افنية الدور والجلوس فيها والجلوس على الصعدات، رقم ٢٢٨٥.

(٤) رواه الترمذي، أبواب النكاح، باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة، رقم ١٠٩٣، وهو في صحيح الترمذي للألباني، رقم ٨٦٨.

(٥) رواه أبو داود، كتاب النكاح، باب في الرجل ينظر إلى المرأة وهو يريد تزويجها، رقم ٢٠٨٢، وهو في صحيح أبي داود للألباني، رقم ١٨٣٢.

ﷺ، وفيه جواز النظر في غفلة الآخر، لقول الصحابي رضي الله عنه «فكنت أتخبأ لها» وقد اختلف أهل العلم في ما يباح للخاطب أن ينظر من المرأة، فقال قوم: الوجه والكفين، وقال فريق: ينظر ما يظهر غالباً كالرقبة والساقين ونحوهما، وقالت طائفة: ينظر إليها كلها وإن كانت متجردة».[1]

وفي مشروعية النظر للراغب والراغبة حكمة بالغة، ذلك لأن الناس يتفاوتون في الوصف فكل ما قد ينقل إلى الرجل عن المرأة وإلى المرأة عن الرجل لا يكون دقيقاً لنسبية المقاييس الجمالية والنفسية، ولا يصح الاعتماد على الصور فإنها خداعة فلا يحسم الأمر إلا صاحبه، عن أبي هريرة قال: كنت عند النبي ﷺ فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار فقال له رسول الله ﷺ: «أنظرت إليها، قال: لا، قال: فاذهب فانظر إليها، فإن في أعين الأنصار شيئاً».[2] وليس بمنكر ولا محرج أن يرفض الرجل بعد النظر وأن ترفض المرأة بعد النظر، فعن سهل بن سعد أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله جئت لأهب لك نفسي فنظر إليها رسول الله ﷺ، فصعد النظر إليها وصوبه ثم طأطأ رأسه».[3]

إن الإحتكام إلى تعاليم الإسلام لا إلى تقاليد المجتمع، ومن تعاليم الإسلام إباحة النظر للزواج ولا بأس من الامتناع بعد النظر والبعض من منطلق تقاليد مجتمعه يمنع من النظر مع توافر ضوابطه لمن أراد النكاح ولعل وليته يُنظر إليها وبلا ضوابط لغير نية النكاح ولا يرى الولي في ذلك بأساً ويرفض إن كان للزواج وقد شرعه الله.

الثالث: الرضا وعدم الإكراه على الزواج

إن الزوجية قائمة على المودة والرحمة والسكن، فلا بد لتحقيق غايات الزواج من الرضا المتبادل وإلا حكم على ما يبنى على الكراهة والضغوط بالفشل والسقوط لذلك قال ﷺ: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن، قالوا: يا رسول الله وكيف إذنها، قال:

---

(١) انظر: فتح الباري ١٠/٢٢٨/ وعون المعبود ٣/٦/٦٨، وشرح مسلم للنووي ٥/٢٢٧.

(٢) رواه مسلم، كتاب النكاح، باب ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزوجها، رقم ٢٥٥٢ وقيل المراد بقوله: «فإن في أعين الأنصار شيئاً: «الصغر وقيل زرقة» النووي ٥/٢٢٧.

(٣) رواه البخاري، (فتح الباري، رقم ٥١٢٦، ١٠/٢٢٦.)، كتاب النكاح، باب النظر إلى المرأة قبل التزويج.

أن تسكت»[1] قال ابن حجر: «الذي يقتضيه ظاهر الحديث اشتراط رضا الزوجة بكراً كانت أو ثيباً. صغيرة كانت أو كبيرة، لكن تستثنى الصغيرة من حيث المعنى، لأنها لا عبارة لها».[2] وقد يتم زواج والمرأة كارهة وذلك في غياب الفقه وعند تسلط العادات فيأبى الإسلام ذلك وإن وصل الأمر إلى إبطال الزوجية لأن إبطالها في أول الزواج خير من البقاء على كراهة والذرية ترى عدم الرضا في الأم ولن تقوى على إخفاء ذلك وإن سعت وما في هذا وذاك من مخالفة لمقاصد الزواج الإسلامي، فعن خنساء بنت خدام الأنصارية «أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك، فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها».[3] وقد يحتج البعض بأن المذكورة في الحديث ثيب فلها ذلك، أما البكر فلا اعتبار لرضاها وهذا مردود لأن البكر أعلم بميلها ونفرتها وحظها ممن تحب أن تعاشره وتكره عشرته. والرسول ﷺ يؤسس بيت الزوجية ابتداءاً على الرضا فعن عقبة بن عامر: أن النبي ﷺ قال لرجل: «أترضى أن أزوجك فلانة»، قال: نعم، وقال للمرأة: «أترضين أن أزوجك فلاناً قالت: نعم، فزوج أحدهما صاحبه».[4]

الرابع: الإستخارة

إن استعانة الرجل والمرأة في أمر الزواج بربهما طلباً للتوفيق وما فيه خيرهما سواء كان الاقتران أو عدمه من الأمور التي تدعو إليها التربية الإسلامية من باب الوقاية، فالله أعلم بعباده وما يصلحهم منهم بأنفسهم والله يعلم السر وأخفى أما ابن أدم فلا يعلم إلا الظاهر وإن أكثر فترات التزين الظاهري للطرف الآخر مرحلة ما قبل الزواج، ثم الإنسان قد يظن الخير في أمر وهو له شر وقد يرى الشر في أمر وهو له خير **﴿وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون﴾**[5] فاستخارة الرب عز وجل وسؤاله في تحقيق الخير مدعاة للتوفيق وعمل بالوقايات، عن جابر بن عبد الله

---

(١) رواه البخاري، (فتح الباري ، رقم ٥١٣٦، عن أبي هريرة ٢٤٠/٢)، كتاب النكاح، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاهما.

(٢) فتح الباري، لإبن حجر ٢٤١/١٠ بتصرف.

(٣) رواه البخاري، (فتح الباري رقم ٥١٣٨، ٢٤٤/١٠)، كتاب النكاح، باب إذا زوج الرجل ابنته وهي كارهة فنكاحه مردود .

(٤) رواه أبو داود، كتاب النكاح باب فيمن تزوج ولم يسم صداقاً حتى مات، رقم ١٨٠٨، وهو في صحيح أبي داود للألباني، رقم ١٨٥٩.

(٥) سورة البقرة، أية ٢١٦.

قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستعينك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي، وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به، قال: ويسمي حاجته»[1] وظاهر الحديث أن الإستخارة مشروعة في ا لأمور كلها وهي كذلك ولما كان الزواج من أعظم العبادات كان من طريق الأولى استخارة الله في تأسيس الزوجية وهذا ما كان من زينب أم المؤمنين رضي الله عنها، فعن أنس قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: «اذكرها علي، قال زيد: فانطلقت فقلت: يا زينب أبشري، أرسلني إليك رسول الله ﷺ يذكرك، فقالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أستأمر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل بغير أمر»[2] قال النووي: «وفيه اسحباب صلاة الاستخارة لمن همّ بأمر سواء كان ذلك الأمر ظاهر الخير أم لا ولعلها استخارت لخوفها من التقصير في حقه ﷺ.[3]

الخامس: الإستشارة

إن الإستفادة من أهل العلم والتجارب والخبرات والفطنة وذلك باستشارتهم فيها توسيع المدارك وتوضيح الصورة وتوثيق المعلومة والوقاية من تكرار التجارب الفاشلة لذلك بوب النسائي في سننه فقال: «باب إذا استشارت المرأة رجلاً فيمن يخطبها هل يخبرها بما يعلم»[4] ثم قال: «باب إذا اشتشار رجل رجلاً في المرأة هل يخبره بما يعلم»،[5] وساق للباب الأول حديث فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب فأرسل إليها وكيله بشعير

---

(١) رواه النسائي، كتاب النكاح، باب كيف الإستخارة، رقم ٣٢٠١، وهو في صحيح النسائي، للألباني ٣٠٥٢.

(٢) رواه النسائي، كتاب النكاح ، باب صلاة المرأة إذا خطبت واستخارتها ربها، رقم ٣١٩٩ وهو في صحيح النسائي للألباني، رقم ٣٠٥٠.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٤٨/٥.

(٤) صحيح سنن النسائي للألباني، كتاب النكاح ٦٨٤/٢ و ٦٨٥.

(٥) صحيح سنن النسائي للألباني، كتاب النكاح ٦٨٤/٢ و ٦٨٥.

فسخطته، فقال: والله مالك علينا من شيء، فجاءت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال ليس لك نفقة، فأمرها أن تعتد في بيت أم شريك ثم قال: تلك امرأة يغشاها أصحابي فاعتدي عند ابن أم مكتوم فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك، فإذا حللت فآذنيني، قالت: فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني فقال رسول الله ﷺ أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وأما معاوية فصعلوك لا مال له ولكن انكحي أسامة بن زيد فكرهته، ثم قال انكحي أسامة بن زيد فنكحته فجعل الله عز وجل فيه خيراً واغتبطت به»،[1] وساق النسائي للباب الثاني حديث أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني تزوجت امرأة فقال النبي ﷺ: «ألا نظرت إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً»،[2] وفي هذين الحديثين فوائد عدة في باب الاستشارة:

الأولى: على المستشير أن يحسن اختيار من يستشير وهذه فاطمة بنت قيس رضي الله عنها استشارت الرسول ﷺ وهو نعم من يستشار.

الثاني: لا يمنع رجحان العقل وعلو المكانة صاحبهما من استشارة غيره، فإن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها كما ترجم لها ابن عبد البر «كانت ذات جمال وعقل وكمال وفي بيتها اجتمع أصحاب الشورى عند مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه»[3] ومع هذا استشارت.

الثالثة: أشار الرسول ﷺ إلى صفة أبي جهم وهي «أما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه» قال النووي: فيه تأويلان مشهوران، أحدهما: أنه كثير الأسفار والثاني: أنه كثير الضرب للنساء وهذا أصح»[4] وهي صفة لا تناسب فاطمة بنت قيس رضي الله عنها فهي من المهاجرات الأول وابنة قيس بن خالد الأكبر القرشية الفهرية[5] وأمها

---

(١) رواه النسائي، كتاب النكاح، باب إذا استشارت المرأة رجلاً فيمن يخطبها هل يخبرها بما يعلم، رقم ٣١٩٢، وهو في صحيح النسائي للألباني رقم ٣٠٤٤.

(٢) رواه النسائي، كتاب النكاح، باب إذا استشار رجل رجلاً في المرأة هل يخبره بما يعلم، رقم ٣١٩٤، وهو في صحيح النسائي للألباني، رقم ٣٠٤٥.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر القرطبي، ٣٨٣/٤.

(٤) شرح مسلم للنووي ٣٦٢/٥.

(٥) الاستيعاب لابن عبدالبر، ٣٨٣/٤.

أمية بنت ربيعة بن خديم بن عبد مناةبن كنانة[1] وكان أخوها أمير الكوفة[2] ولهذه الصفات فمعاوية لا يناسبها أيضاً لقلة ماله جداً، قال النووي قوله : «إنه صعلوك لا مال له» أي قليل المال جداً.[3] وهي إمرأة سخطت زوجها الذي طلقها البتة لما بعث اليها بالشعير فكيف بالصعلوك.

الرابعة: أن المستشير قد تأتيه المشورة من المستشار بخلاف ما يحب ولكن يظهر له الخير بعد، فالرسول ﷺ أشار على المرأة أن تنكح أسامة بن زيد وكرهته ولكنها وجدت فيه الخير بعد، يقول النووي: «وأما إشارته ﷺ بنكاح أسامة فلما علمه من دينه وفضله وحسن طرائقه وكرم شمائله فنصحها بذلك فكرهته لكونه مولى وقد كان أسود عبداً، فكرر عليها النبي ﷺ الحث على زواجه لما علم من مصلحتها في ذلك»[4].

الخامسة: لا تعد غيبة أن يذكر الإنسان حقائق من يستشار فيه، قال النووي: «جواز الغيبة في ستة مواضع: منها لتحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم وذلك من وجوه منها إذا إستشارك إنسان في مصاهرته وجب عليك أن تذكر له ما تعلمه منه على جهة النصيحة فإن حصل الغرض بمجرد قولك لا تصلح لك معاملته أو مصاهرته أو لا تفعل هذا أو نحو ذلك لم تجزئه الزيادة بذكر المساوئ وإن لم يحصل الغرض إلا بالتصريح بعينه فاذكره بصريحه»[5].

السادس: التعريف بالظروف والأحوال

إن الرجل والمرأة قد يأخذا جميعاً بكافة الوقائيات المانعة بحول الله من المشكلات، إلا أنه قد تخفى أمور وأحوال إن لم يصرح بها صاحبها تعريفاً بنفسه وإعذاراً لساحته ووقاية لما قد يؤدي عدم التصريح والتعريف به إلى المشكلات، لهذا عرّفت أم سلمة رضي الله عنها للرسول ﷺ بأحوالها ليحدد موقفه عن بينة وعلم، عن أم سلمة أنها قالت : سمعت رسول الله

---

(١) الطبقات الكبرى لإبن سعد ٨/٢٧٢.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لإبن حجر ٤/٢٨٤.

(٣) شرح مسلم للنووي ٥/٢٦٢

(٤) شرح مسلم للنووي ٥/٢٦٢.

(٥) الأذكار للنووي/٣٠٢.

ﷺ يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله إنا لله وإنا اليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها، قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة، أول بيت هاجر الى رسول الله ﷺ ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ قالت : أرسل إليّ رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له، فقلت : إن لي بنتا وأنا غيور، فقال : أما إبنتها فندعو الله أن يغنيها عنها وأدعو الله أن يذهب بالغيرة»[1]. وهذه أم هانيء تشرح ظروفها بأنها كبيرة السن ولكبر السن أحكام وانها أم عيال تشتغل بهم ولعل قلبها أن يمتليء بحبهم والحنين إليهم فيكون ذلك سبباً لقلة حظ الزوج فيها. فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ خطب أم هانيء بنت أبي طالب فقالت: يا رسول الله، إني قد كبرت ولي عيال فقال رسول الله ﷺ «نساء قريش خير نساء ركبن الإبل، أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده»[2].

السابع: الشروط

الإنسان أعلم بنفسيته وأعصابه ومزاجه وما يحتمله وما لا يحتمله وبطبائعه من غيره، فقد تكون أموراً تثيره وتقلقه وتخلق المشكلات في حياته فوقاية نفسه من هذه المثيرات والمقلقات مما يقيه في النهاية المشكلات وعدم مراعاة نفسيته وذلك بعدم تفادي تلك الأسباب تجعله معرضاً لكثير من الخلافات، ومن أولى الأمور إلحاحاً في وقايتها من أسباب دمارها واضطرابها الحياة الزوجية، لذا شرعت لنا الشروط في النكاح، بمعنى أن تشترط المرأة لنفسها أموراً ترى فيها موافقة لنفسيتها ولطبائعها ولأحوالها وترى في شروطها موانع تحول دون وقوع المشكلات، لذلك قال ﷺ : «أحق ما وفيتم من الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج»[3].

والشروط في النكاح كما بين أهل العلم على ثلاثة أنواع:

١) شروط يجب الوفاء بها: وهو ما أمر الله به من طاعة وحسن عشرة وكسوة وسكن وعدل وإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان الى ما هنالك مما الزم به

---

(١) رواه مسلم كتاب الجنائز باب ما يقال عند المصيبة رقم ٩١٨.

(٢) رواه مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل قريش، رقم ٤٥٩٠.

(٣) رواه البخاري، (فتح الباري، رقم ٥١٥١، ١٠/٢٧٢)، كتاب النكاح، باب الشروط في النكاح عن عقبة.

الشرع، ورد عليهم أن هذه الشروط هي من مقتضى العقد، قال علي (رضي الله عنه) «سبق شرط الله شرطها».

٢) شروط لا تصح أساساً: لمخالفتها مقاصد الشريعة، كسؤال طلاق أختها أو ضرتها، إلا إذا كان هناك سبب يجوز ذلك كريبة في المرأة لا ينبغي معها أن تستمر في عصمة الزوج ويكون ذلك على سبيل النصيحة المحضة أو لضرر يحصل لها من الزوج أو للزوج منها ودليل عدم جواز الشروط المنهي عنها قوله ﷺ: «لا يحل لامرأة أن تسأل طلاق أختها لتستفرغ صحفتها، فإنما لها ما قدر لها»[١].

٣) شروط مختلف فيها، إختلف أهل العلم في بعض الشروط فقالت طائفة بحلها وأخرى بعدم حلها، كاشتراط ألا يتزوج عليها أو لا يتسرى أو لا ينقلها من منزلها الى منزله[٢].

الثامن: الستر

أقر الرسول ﷺ حقيقة تشمل كل من كان في دائرة الآدمية وهي اقتراف الأخطاء فقال ﷺ: «كل ابن آدم خطّاء وخير الخطائين التوابون»[٣] إلا أن الذي يميز الناس مع اقترافهم كلهم للخطأ سرعة بعضهم إلى المغفرة وكون الأخطاء في دائرة الصغائر وإتيان مكفرات الذنوب والستر على النفس وعدم المجاهرة قال ﷺ: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين وإن من الإجهار أن يعمل العبد بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره ربه فيقول يا فلان قد عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه فيبيت يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه».[٤]

إن الشارع أمر بالستر على النفس وعلى الآخرين عن إبن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله

---

(١) رواه البخاري (فتح الباري، رقم ٥١٥٢ ١٠/٢٧٤)، كتاب النكاح باب الشروط التي لا تحل في النكاح عن أبي هريرة.

(٢) فتح الباري ١٠/٢٧٣

(٣) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، رقم ٢٤٢٣، وهو في صحيح الترمذي للألباني، ٢٠٢٩ عن أنس.

(٤) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه، رقم ٥٣٠٦، عن أبي هريرة.

في حاجته ومن فرّج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»(١). لما في ذلك من منع إشاعة الفاحشة والمحافظة على كرامة من تاب عن المعاصي، وعدم غلق الباب على التائبين وعدم إعانة الشيطان عليهم وصيانة ووقاية الزوجية من الإنهيار «فقد حدث أن كان أبو بكر وعمر يجلسان في المسجد إذ جاء رجلٌ فلاث على أبي بكر لوثاً من كلام وهو دهش فقال أبو بكر لعمر قم فانظر في شأنه فإن له شأن فقام إليه عمر فقال له: ان ضيفاً زارني فزنى بابنتي، فضرب عمر في صدره وقال: قبحك الله ألا سترت على ابنتك»(٢)، وعن طارق بن شهاب «أن رجلا خطب الى رجل ابنته له وكانت قد أحدثت له، فجاء الى عمر فذكر ذلك له فقال عمر: ما رأيت منها، قال: ما رأيت إلا خيراً، قال: فزوجها ولا تخبر»(٣). وفجرت جارية فأقيم عليها الحد ثم انهم أقبلوا مهاجرين فتابت وحسنت توبتها وحالها فكانت تخطب إلى عمها فيكره أن يزوجها حتى تخبر ما كان من أمرها، وجعل يكره أن يفشي ذلك عليها، فذكر أمرها لعمر فقال له: زوجها كما تزوجوا صالحي فتياتكم(٤). وهذا ما يذهب إليه أهل العلم حتى بعد الزواج فمن أتى معصية وستره الله عز وجل فعليه أن يستر نفسه ويتوب سريعاً، ومن جميل ما ذهب إليه أهل التربية الإسلامية كراهة إثارة الماضي والأسرار وما ستره الله عز وجل لأن في ذلك حفظ الزوجية والذرية وبالتالي المجتمع المسلم.

التاسع: التوعية الشرعية

إن التعاون والتكامل والتنسيق بين مؤسسات المجتمع الأهلية والرسمية في التوعية عن الزواج بكل ما فيه وبكل الوسائل المتاحة قبل الزواج وبعده من إرشادات الوالدين والمنابر وحلَق العلم وفي مناسبات الزفاف والإذاعة والتلفاز والمجلة والجريدة والمنهج المدرسي والجامعي كفيل بوقاية الزوجية بنسبة كبيرة من المشكلات وعند غياب التوعية يفضي ذلك إلى الشقاق والمشكلات بكل صورها، والتوعية أسلوب تربوي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة التي توجه الأزواج إلى أداء الحقوق إلى الزوجات وحسن التعامل، وتدعوا الزوجات إلى أداء الحقوق

---

(١) رواه البخاري كتاب المظالم والغصب رقم ٢٢٦٢.

(٢) موسوعة عمر د. محمد رواس/٦٥٠.

(٣) مصنف عبد الرزاق ٦/٢٤٦.

(٤) سنن البيهقي ٧/١٥٥.

وحسن التعامل وبصورة تفصيلية في كل شؤون الزوجية توعية وقائية وعلاجية، ونرى هذه التوعية منها ما يصدر من بيوت الرسول ﷺ ومنها ما يناسب مناسبة طارئة ومنها ما يكون وعظاً للنساء ومنها بعد ساحات الوغى ومنها للعلاج إلى غير ما هنالك في الباب، وعلى هذا سار المجتمع المسلم أباءاً وأمهات ومما وصلنا من ذلك:

- وصية أسماء بن خارجة لما زوج ابنته: «يا بنية إن النساء أحق بأدبك مني ولا بد من تأديبك، كوني لزوجك أمة يكن لك عبداً، ولا تدني منه فيملك ولا تباعدي منه فتثقلي عليه، ويثقل عليك وكوني كما قلت لأمك

خذي العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سورتي حين اغضب

فـإني رايت الحب في القلب والأذى ... إذا إجتمعا لم يلبث الحب يذهب»[1]

- عن أبي عبيدة قال: «زوج رجل من العرب أربع بنات له فزار أولاهن فقال: كيف ترين بعلك يا بنية؟ فقالت : السهل بأرض محل إن سألت أعطى وإن سكت إبتدا من غير مَنٍّ ولا أذى، فقال: أي بنية رزقتيه بجدك لا بكدك ثم زار الثانية، فقال أي بعل بعلك؟ فقالت: جبار عنيد من الخيرات بعيد لا توقد له نار ولا يأمن له جار فقال: أي بنية صبت عليك بلية فليكن الصبر منك سجية حتى تأتيك المنية. ثم زار الثالثة، فقال : كيف زوجك؟ فقالت :ذو خلق نزق وشر غلق، يجود لي في الغنى، ويحرمني إذا افتقر فقال : أي بنية، تذمين وتحمدين وكذا الدهر يكون حين وحين ويحمل الغث والثمين ثم زار الرابعة فقال: أي بعل بعلك؟ فقالت: ذو خلق جميل ورأي أصيل مقبل على أهله، فقال أي بنية رزقتيه ماجداً، فأمنحيه ودك وألطفيه جهدك»[2].

- لما زوج عوف بن محلم الشيباني إبنته من إياس بن الحارث بن عمرو الكندي، فجهزت وحضرت لتحمل إليه دخلت عليها أمها أمامة لتوصيها: فقالت: يا بنية إن الوصية لو تركت لفضل في الأدب أو مكرمة في الحسب لتركت ذلك منك ولزويتها عنك ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل أي بنية: لو إستغنت المرأة عن زوجها بغنى أبيها وشدة حاجتها إليه

---

(١) أحكام النساء لإبن الجوزي ٣١٣و٣١٤.

(٢) أحكام النساء لإبن الجوزي ٣١٣و٢١٤.

لكنت أغنى الناس عنه إلا أنهن خلقن للرجال كما لهن خلق الرجال، أي بنية إنك قد فارقت الجو الذي منه خرجت والعش الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه أصبح بملكه عليك مليكاً فكوني له أمة يكن لك عبداً إحفظي منه خصالاً عشراً، تكن لك دركاً وذكرا، أما الأولى والثانية: فالصحبة له بالقناعة والمعاشرة له بحسن السمع والطاعة، فإن في القناعة راحة القلب وفي حسن السمع والطاعة رضى الرب، وأما الثالثة والرابعة، فالتفقد لموضع أنفه والتعاهد لموضع عينه، فلا تقع عينه منك على شيء قبيح ولا يشم أنفه منك إلا أطيب ريح، وأن الكحل أحسن الحسن الموجود، والماء أطيب الطيب المفقود، وأما الخامسة والسادسة فالتعاهد لموضع طعامه والتفقد عند حين منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة وان تنغيص النوم مغضبة وأما السابعة والثامنة فالإرعاء على حشمه وعياله والاحتفاظ بماله فإن أصل الاحتفاظ بالمال حسن التقدير والإرعاء على الحشم والعيال حسن التدبير، وأما التاسعة والعاشرة فلا تفشي له سراً، ولا تعصي له أمراً، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره وان عصيت أمره أو غرت صدره، ثم إتقي يا بنية الفرح لديه إذا كان ترحاً والإكتئاب اذا كان فرحاً، فإن الخصلة الأولى من التقصير والثانية من التكدير، وكوني أشد ما يكون لك إكراماً أشد ما تكوني له إعظاماً وأشد ما تكوني له موافقة أطول ما تكوني له مرافقة واعلمي يا بنية أنك لن تصلي إلى ما تحبين منه حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك، فيما أحببت وكرهت والله يخير لك ويحفظك، فحملت إليه، فعظم موقفها منه فولدت له الملوك الذين ملكوا بعده»[1]، ومن الوعي الإلمام ببعض الأبجديات الصحية والتي معرفتها لا تستدعي التخصص وتفيد في وقاية الزوجية من المشكلات فعن أبي هريرة أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله ولد لي غلام أسود فقال : هل لك من إبل قال نعم، قال: ما لونها قال حمر قال هل فيها من أورق قال نعم قال: فأنى ذلك، قال لعله نزعه عرق، قال فلعل ابنك هذا نزعه»[2]، فالصحابي إستنكر لون إبنه المخالف للون والديه فبين له الرسول ﷺ أن ذلك من عرق نزعه أي من الوراثه.

---

(١) أحكام النساء لابن الجوزي ٢١٥.

(٢) رواه البخاري (فتح الباري رقم ٤٨٩٢ ١٠/٥٥٤)، كتاب الطلاق باب اذا أعرض بنفي الولد

العاشر: الفحص الطبي

إن الكشف الطبي بات من الضـرورة بمكان، تحـقـيـقـاً لغـايات الزواج في التـربيـة الإسلامية، ومنعاً للمشكلات على مستوى الزوج والزوجة والذرية وعلى المستوى المجتمعي، فمن باب الوقاية خير من العلاج وقد لا يكون ثم علاج وإنما النتائج السلبية الهادمة للأسرة وبالتالي للمجتمع وأخذاً بالقاعدة الفقهية «لا ضرر ولا ضرار»[1]، ذهب أهل العلم إلى أهمية الفحص الطبي للأهداف التالية:

١) الوقـاية من الأمـراض الجنسيـة:- إن المسلم المعاصـر يعيش في مـجـتـمـعـات تموج بالإنحرافات، ظلمات بعضـها فوق بعض، يصدق عليه قول الرسول ﷺ :«الصابر منهم على دينه كالقـابض على جمـر»[2]، ومما يواجـه من صـعـوبات مـا يواجـهـه عند تكوين الأسرة وعند إختيـار الطرف الآخر لنفسه أو لبعض أهله وذلك لانتشار الأمراض الفتاكة الخبيثة وليس بالضرورة أن يكون ذلك بسبب الإنحراف الخلقي فقد يكون به أو بسبب الإهمال الطبي كنقل دم فاسد إلى صحيح أو عدم تطهير الآلات الطبية واستـعمـالها لصحيح بعد سقيم، أو عدم إهتمام محلات الحلاقة بالأمواس فيستعملونها لمعافى بعد متأيدز مثلاً إلى غيرها من أسباب، فعندماتتكون الزوجية وأحد عناصرها مصاب بالإيدز مثلاً أو الهربس أو السيلان فإن إنتقال المرض عبر الجماع أكيد غالباً مما يعني نقل المرض إلى الطرف الآخر ثم إلى الأجنة ولو حدث أن طلق المصاب أو مات أو المصابة ثم تمت زيجـة أخرى وثالثة ورابعة وهكذا نرى أن المجتمع في نهاية المطاف ينتحـر وفي انتشار هذا المرض آثار إجتماعية ونفسية وقانونية شديدة جداً كان بالإمكان تفادي هذا كله بالفحص الطبي.

٢) إن من أسمى أهداف الزواج في الإسلام إبقاء النسل وتكثير الأمة المحمدية، فاذا ما حال دون هذا الهدف حائل كان مـهدداً للزوجية، لذا حرم الإسلام تحديد النسل وأباح التنظيم، وأباح الإسلام التفريق عند وجود موانع تحول دون المعاشرة الجنسية، «كالجب

---

(١) رواه الترمذي كتاب الفتن رقم ٢١٨٦ عن أنس بن مالك وهو في صحيح الترمذي للالباني رقم ١٨٤٤

(٢) رواه ابن ماجة كتاب الاحكام، باب من بنى بحقه ما يضر بجاره رقم ٢٣٢١ وهوفي صحيح إبن ماجة للالباني رقم ١٨٩٦ عن إبن عباس.

وهو قطع الذكر والعنة وهو العجز عن الجماع لعدم الإنتصاب والخصاء وهو إستئصال أو قطع الخصيتين والرتق وهو إنسداد الفرج أو استأصاله بلحم من أصل الخلقة ولا مسلك للذكر فيه والقرن وهو عظم أو غدة تمنع ولوج الذكر»(١)، قال القرطبي :«ومتى وجد أحد الزوجين بصاحبه عيباً فله الرد وقد روى أن النبي ﷺ تزوج إمرأة من بني بياضة فوجد بكشحها برصاً فردها وقال دلستم علي»(٢)، فالتصريح عند الزواج بالعيوب الخلقية فيه غنية وان لم فالفحص الطبي يكشف الحقائق للزوج والزوجة، ومثال ذلك العقم فالمختبرات الحديثة تستطيع أن تحدد العقم في الرجل هو أم في المرأة فتنصح قبل الزواج بدلاً من الطلاق بسبب العقم.

٣) إن الفحص الطبي قبل الزواج يمنع حدوث الكثير من الأمراض الوراثية والتشوهات الخلقية: منها:

أ) المرض المنغولي: وهو يصيب الكروموسوم (رقم ٢١) ويصيب واحداً من كل سبعمائة مولود ويكون المصابون غالباً متخلفين مع بعض التشوهات الخلقية وأطفالهم تكثر بينهم الإصابة بنفس المرض.

ب) كلبنفلتر: ويأتي نتيجة زيادة كروموسوم أو أكثر من الكروموسومات الجنسية ويكون المصاب بهذا المرض طويل القامة عقيماً مع ضمور في الأعضاء التناسلية ولذلك يكون غير قادر على الزواج والإنجاب.

ج) أمراض كثيرة تصيب الكروموسومات تؤدي إلى التخلف العقلي. فالفحص الطبي للرجل والمرأة الراغبان في الإقتران يظهر إن كان في إقترانها ولادة أطفال بأمراض وراثية وتشوهات خلقية.

٤) إن الفحص الطبي الموضح لبعض العادات الخاطئة في الزوج أو الزوجة من شأنه أن يقي الزوجية من المشكلات إما بعدم الزواج إبتداءاً وإما أن يتم الزواج على بينة وإن كان هذا لا يمنع من المشكلات، ومن هذه العادات غير الصحية الخطيرة، تعاطي

(١) صندوق الزواج أهداف وطموحات مجموعة من العلماء/١٢٥
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/١٥٢.

التدخين: نشرت إحصائيات في الولايات المتحدة أن خمسين ألف شخص توفوا بالسرطانات والأمراض نتيجة تدخين الزوج، والتدخين يضر بالطفل وإن لم تكن الأم تدخن أما إذا كانت تتعاطى التدخين فالضرر أشد، وفي إحصاءات منظمة الصحة العالمية أن ٢.٥ مليون شخص يموتون من التدخين سنوياً. إن ١٧,٠٠٠ طفل في إنجلترا سنة ١٩٩٣ يدخلون المستشفيات نتيجة تدخين أحدالوالدين سنوياً [١]. ومن العادات غير الصحية تعاطي الخمور: إن نسبة الطلاق من وراء الخمور كبيرة ونسبة الضرر في الذرية من أبوين شاربين أحدهما أو كلاهما كبيرة أيضاً.

الحادي عشر : التقليل من التكاليف

إن المراد من إلزام الزوج بالمهر إشعاره بالمسؤولية وهو في المقابل تكريم للمرأة، إلا أن التغالي فيه مما يصد الرجال عن النكاح ويسبب عنوسة النساء وإنتشار الضغائن إما لتكليفهم الزوج وأهله ما لا يطيقون وإما لاستدانة الزوج ليغطي التكاليف وما يتبع الإستدانة في الغالب من هم بالليل وذل بالنهار ومتابعة قانونية محرجة وإما ما يصير إذا حدثت مشكلات بعد الزواج من منّة الزوج على الزوجة كأن يقول: دفعت لك كذا وكذا ولا أراك تستحقين الى غير ذلك، وكان بالإمكان وقاية المجتمعات من مثل هذه المشكلات بالتقليل من التكاليف.

إن موقف التربية الإسلامية من التكاليف يتمثل في التالي: -

١- وجوب الصداق للمرأة وهو مجمع عليه ولا خلاف فيه، لقوله تعالى: ﴿**واتوا النساء صدقاتهن نحله**﴾[٢]، ولقوله تعالى ﴿**واتوهن اجورهن**﴾.[٣]

٢- أجمع العلماء أنه لا حد لكثير المهر: قال تعالى﴿**واتيتم إحداهن قنطاراً**﴾[٤]، وفي الآية دليل على جواز المغالاة في المهور[٥].

٣- كراهة المغالاة في المهور للفقراء: قال ﷺ لابن أبي حدود وقد جاء يستعينه في مهره فسأله عنه فقال: مائتين، فغضب رسول الله ﷺ وقال: «كأنكم تقطعون الذهب والفضة

---

(١) ندوة الفحص الطبي قبل الزواج، د. محمد البار/٤٦

(٢) سورة النساء آية ٤.

(٣) سورة النساء آية ٢٥.

(٤) سورة النساء آية ٢٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٥/٩٩.

من عرض الحرة أو جبل، وأنكر عليه لأنه كان فقيراً في تلك الحال فأحوج نفسه إلى الإستعانة والسؤال»[1].

٤- المغالاة في المهور قد تؤدي الى العداوة قال: علي بن أبي طالب رضي الله عنه «لا تغالوا في مهور النساء فتكون عداوه»[2]، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «إن الرجل ليغلي بصدقة إمرأته حتى يكون لها عداوة في نفسه»[3].

٥- الرسول ﷺ هو القدوة وما غالى في المهور: خطب عمر رضي الله عنه فقال: ألا لا تغلوا صدق النساء فإنه لو كان مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله عز وجل لكان أولاكم به النبي ﷺ، ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه ولا بناته أكثر من ثنتي عشرة أوقية»[4].

٦- صداق النبي ﷺ

- عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه قال: سألت عائشة زوج النبي ﷺ كم كان صداق رسول الله ﷺ قالت: «كان صداقه لأزواجه ثنتي عشرة أوقية ونشا، قالت: أتدري ما النش، قال: قلت: لا، قالت: نصف أوقية فتلك خمس مائة درهم فهذا صداق رسول الله ﷺ لأزواجه»[5].

- صداقه لصفية بنت حُيي (رضي الله عنها): «فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: خذ جارية من السبي غيرها، قال: واعتقها وتزوجها فقال له ثابت: يا أبا حمزة ما أصدقها قال نفسها أعتقها وتزوجها»[6].

- صداقه أم حبيبة: «عن أم حبيبة أن رسول الله ﷺ تزوجها وهي بأرض الحبشة، زوجها النجاشي وأمهرها أربعة الآف وجهزها من عنده وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة ولم يبعث إليها رسول الله ﷺ بشيء وكان مهر نسائه أربع مائة درهم»[7]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٥/١٠١.

(٢) موسوعة علي بن أبي طالب، د. محمد رواس/٦٠٦.

(٣) رواه النسائي، كتاب النكاح باب القسط في الأصدقة رقم ٣٢٩٧ وهو في صحيح النسائي رقم ٣١٤١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/٩٩.

(٥) رواه مسلم كتاب النكاح باب الصداق رقم ٢٥٥٥.

(٦) رواه مسلم كتاب النكاح باب فضيلة اعتاقه أمته ثم يتزوجها رقم ٢٥٦١.

(٧) رواه النسائي كتاب النكاح باب القسط في الأصدقة رقم ٣٢٩٨. وهو في صحيح النسائي للألباني ٣١٤٢.

٧- أمثلة في المهور:

- عن أنس قال: «خطب أبو طلحة أم سليم فقالت والله ما مثلك يا أبا طلحة يرد ولكنك رجل كافر وأنا إمرأة مسلمة ولا يحل لي أن أتزوجك فإن تسلم فذاك مهري وما أسألك غيره فأسلم فكان ذلك مهرها. قال ثابت فما سمعت بأمرأة قط كانت أكرم مهراً من أم سليم الإسلام فدخل بها فولدت له»[1].

- عن سهل بن سعد قال: جاءت إمرأة الى رسول الله ﷺ فقالت: «يا رسول الله إني قد وهبت لك من نفسي فقال رجل زوجنيها قال: قد زوجناك بما معك من القرآن».[2]

- عن سهل بن سعد قال: «أتت النبي ﷺ إمرأة فقالت إنها قد وهبت نفسها لله ولرسوله ﷺ فقال ما لي في النساء من حاجة فقال رجل زوجنيها، قال: أعطها ثوباً قال لا أجد قال: أعطها ولو خاتماً من حديد فاعتل له فقال: ما معك من القرآن قال كذا وكذا، قال فقد زوجتكها بما معك من القرآن»[3].

---

(١) رواه النسائي في كتاب النكاح باب التزويج على الإسلام رقم ٣٢٨٩ وهو في صحيح النسائي للالباني ٣١٢٢.

(٢) رواه البخاري، كتاب الوكالة رقم ٢١٤٤.

(٣) رواه البخاري كتاب فضائل القرآن رقم ٤٦٤١.

المبحث الثاني

أساليب ما بعد الزواج

الأول : عدم وصف محاسن المرأة للزوج

إن أشد الفتن على الرجال النساء، لذلك حرصت التربية الإسلامية على غلق كل الأبواب المؤدية إلى المشكلات الزوجية من خلال فتنة النساء سداً للذريعة، ومن ذلك نهي الإسلام المرأة أن تصف محاسن أخرى لزوجها لأن ذلك مدعاة لشغل خياله وإثارته فقد يندفع إلى الأخرى خاصة إذا بالغت المرأة في وصف المحاسن، فكأن الرجل رأي عين وعندما يصل الرجل إلى هذه الحالة يكون في قمة التعلق كما أشار إلى ها المعنى الصحابي حنظلة رضي الله عنه حين التقى الصديق فقال نافق حنظلة ثم بين له نفاقه بأن التعلق عنده يقل عند ترك مجلس رسول الله ﷺ: «نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين فإذا خرجنا من عند رسول الله.... ﷺ فنسينا كثيراً»[1]، ويتأكد الأثر عندما يجد الرجل في الوصف ما يتمنى وليس في أهله، فإن المؤمن وصفت له الجنة ولم يرها وفيها ما يتمناه مما ليس في دنياه، فصار بذلك متعلقاً بالموصوف زاهداً بالدنيا ومعلوم أن محبة من تصور الأمر وعُدم صبره عنه أقوى من محبة من لم يتصوره لذا نهيت الزوجة عن إذكاء وإشعال روح الخيال فيما فيه الفتنة والمشكلات لأن شهوة القلب ممتزجة بلذة التصور وما الإحتلام للنائم إلا عند تصاعد وبلوغ التصور قمته فيغلي من وراء ذلك الجسم ويقذف ويهتز ويطرب منه القلب حتى ليستيقظ المحتلم نشوانا وهو في الحقيقة لم يرَ الحقيقة لكنه الخيال، ولعل ما عند أهله يفوق ما في الأخريات من الجمال واللطافة والظرافة ولكن العين لا تلتفت إلى المألوف والهوى أعمى، لذلك كله قال ﷺ : «لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها»[2]. قال القابسي: «هذا أصل لمالك في سد الذرائع فإن الحكمة في هذا النهي خشية أن يعجب الزوج الوصف المذكور فيفضي ذلك إلى تطليق الواصفة أو الإفتتان بالموصوفة».[3]

---

(١) رواه مسلم كتاب التوبة باب فضل دوام الذكر والفكر رقم ٤٩٢٧.

(٢) رواه البخاري كتاب النكاح باب لا تباشر المرأة فتنعتها لزوجها رقم ٤٨٣٩ عن عبد الله بن مسعود.

(٣) فتح الباري ١٠/٤٢٤.

الثاني: عدم الإمتناع عن الفراش

إن الزوج يتعرض للمثيرات الجنسية في ميادين الحياة بإختلاف مواقفها، بل المسلم المعاصر محاط بالمغريات من كل جهة حتى في قعر بيته، غير شهوته المتأججة كرجل بالغ ألا ترى أن له أن يتزوج مثنى وثلاث ورباع، قال ابن القيم: «طبيعة الذكر الحرارة وطبيعة الأنثى البرودة وصاحب الحرارة يحتاج من الجماع فوق ما يحتاج إليه صاحب البرودة»(١). وفي المقابل يمتنع المسلم إستجابةً لأمر الشارع لحكمة إقتضاها عن إتيان أهله أثناء حيضها ونفاسها وحجها وصومها وحال إعتكافه وإحرامه وصومه، فمع الشهوة المتأججة خلقة والمثيرات المغرية والإمتناع عن المرأة لأمر الشارع، لا ينبغي للمرأة أن تمتنع عن فراش زوجها خشية أن ينصرف إلى غيرها بطريق حلال إن كان من أهل التقوى وبغيره إن كان من أهل الهوى بل شنع الله وغلظ عقاب المرأة الممتنعة إذ لعنها واللعن الطرد من رحمة الله عز وجل. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح»(٢). وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها»(٣). وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها كله، حتى لو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه»(٤) وليس للمرأة أن تتعذر بإنشغالها بالذرية والبيت فإطفاء شهوة الزوج أولى، قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور»(٥)، وهذا ما ترجمه الرسول ﷺ ونقله لنا الصحابة رضوان الله عليهم «عن جابر أن رسول الله ﷺ رأى امرأة فأتى امرأته زينب وهي تمعس منيئة لها فقضى حاجته ثم خرج الى أصحابه»(٦).

---

(١) بدائع الفوائد لإبن القيم ٤١/٤.

(٢) رواه البخاري (فتح الباري رقم ٥١٩٢ ٢٦٧/١٠) كتاب النكاح باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها .

(٣) رواه مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم امتناعها عن فراش زوجها ٢٦٠/٥.

(٤) رواه ابن ماجة، كتاب النكاح رقم ١٨٤٢، وهو في صحيح ابن ماجة للألباني ١٥٠٢ والقتب ما يوضع على البعير تحت الراكب.

(٥) رواه الترمذي أبواب الرضاع باب ما جاء في حق الزوج على المرأة رقم ١١٧٠ تحفة الأحوذي ٢٧٢/٤ وهو في صحيح الترمذي للألباني رقم ٩٢٧ عن طلق بن علي.

(٦) رواه مسلم كتاب النكاح باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه ١٤٠٣ صحيح مسلم بشرح النووي ١٩١/٥.

قال النووي: «وفيه أنه لا بأس بطلب الرجل امرأته إلى الوقاع في النهار وغيره وان كانت مشتغلة بما يمكن تركه لأنه ربما غلبت الرجل شهوة يتضرر بالتأخير في بدنه أو في قلبه وبصره والله أعلم»[1]، والمفسدة الأخرى من وراء إمتناع المرأة عن زوجها ضعف المحبة بينهما، والمودة التي بين الزوجين والمحبة بعد الجماع أعظم من التي قبله والسبب الطبيعي أن شهوة القلب ممتزجة بلذة العين فإذا رأت العين اشتهى القلب فإذا باشر الجسم الجسم اجتمع شهوة القلب ولذة العين ولذة المباشرة فإذا فارق هذه الحال كان نزاع نفسه إليها أشد وشوقه إليها أعظم، ولذلك يتضاعف الألم والحسرة على من رأى محبوبه أو باشره ثم حيل بينه وبينه»[2]، ومفسدة أخرى قد تترتب على الإمتناع وهي إنهاء الحياة الزوجية فعن ابن عباس «أن خولة بنت خويلد الخزرجية كانت تحت أوس بن الصامت وكانت حسنة الجسم، فرآها زوجها ساجدة فنظر عجيزتها فأعجبه أمرها، فلما إنصرف أرادها فأبت فغضب عليها فقال لها: «أنت عليّ كظهر أمي»[3] ولا يعني ما أسلفناه إهمال حق المرأة في الإستمتاع فإن ما فيها من الشهوة ليس بالقليل فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «جاءت إمرأة رفاعة القرظي رسول الله ﷺ وأنا جالسة وعنده أبو بكر فقالت: يا رسول الله إني كنت تحت رفاعة فطلقني فبت طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وانه والله ما معه يا رسول الله إلا مثل هذه الهدبة وأخذت هدبة من جلبابها»[4]، وجاءت إمرأة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: «يا أمير المؤمنين إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل وأنا أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله عز وجل فقال لها: نعم الزوج زوجك، فجعلت تكرر عليه القول وهو يكرر عليها الجواب فقال له كعب الأسدي: يا أمير المؤمنين، هذه المرأة تشكو زوجها في مباعدته إياها عن فراشه، فقال عمر، كما فهمت فاقض بينهما، فقال كعب: علي بزوجها، فاتي به فقال له، إن إمرأتك هذه تشكوك قال: أفي طعام أم شراب، قال لا، فقالت المرأة:

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٩٢/٥.

(٢) روضة المحبين لابن القيم/٧٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٧٠/١٧.

(٤) رواه البخاري كتاب اللباس، باب الازار المهدب رقم ٥٣٤٦.

يا أيها القاضي الحكيم رشده ألهى خليلي عن فراشي مسجده

زهده في مضجعي تعبده فاقض القضا كعب ولا تردده

نهاره وليله ما يرقده فلست في أمر النساء أحمده

فقال زوجها:

زهدني في فرشها وفي الحجل أني أمرؤ أذهلني ما قد نزل

في سورة النحل وفي السبع الطول وفي كتاب الله تخويف جلل

فقال كعب:

إن لها عليك حقا يا رجل نصيبها في أربع لمن عقل

فأعطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال: إن الله عز وجل قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهن ربك، فقال عمر، والله ما أدري من أي أمريك أعجب، أمن فهمك أمرهما أم حكمك بينهما، إذهب فقد وليتك قضاء البصرة»[1]، وحدد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مدة إحتباس المجاهدين أربعة أشهر لما «سمع وهو يطوف إمرأة تقول:

تطاول هذا الليل واخضل جانبه وأرقني الا ضجيع الاعبه

فلولا حذار الله لا شيء مثله لزعزع من هذا السرير جوانبه

فقال عمر: مالك، قالت: اغتربت زوجي منذ أربعة أشهر وقد اشتقت إليه، فقال: أردت سوءاً قالت معاذ الله، قال فاملكي نفسك، فإنما هو البريد إليه، فبعث إليه، ثم دخل على حفصة فقال: إني سائلك عن أمر قد أهمني فافرجيه عني، كم تشتاق المرأة إلى زوجها، فخفضت رأسها فاستحيت، فقال: فإن الله لا يستحي من الحق، فأشارت ثلاثة أشهر وإلا أربعة، فكتب عمر: ألا تحتبس الجيوش فوق أربعة أشهر»[2]. قلت: المسألة نسبية، فمن الرجال من يحتاج إلى أهله في أقل من هذه المدة، ومن النساء من يحتجن إلى أزواجهن في أقل من هذه المدة، فلا بد من مراعاة الفروق الفردية ومصلحة الأمة، والتوازن بينهما، وعليه فالأمور تقدر بقدرها. بل

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩/٥.

(٢) موسوعة عمر/ د. محمد رواس قلهجي/٦٥٩.

قال أهل العلم إذا ضعف عن الجماع فله أن يعالج نفسه بما يدفع عنها الشهوة قال القرطبي «وإن رأى الرجل من نفسه عجزاً عن إقامة حقها في مضجعها أخذ من الأدوية التي تزيد في باهه وتقوي شهوته حتى يعفها»(١).

الثالث : عدم الصوم إلا بإذن الزوج

إن من واجبات المرأة أن تستفرغ شهوة الزوج حتى لا يلتفت إلى غيرها وليأمن من الإصابة بأمراض في البصر والقلب وعموم الجسم فلا ينبغي أن تشتغل بالنوافل التي تمنع الزوج إمرأته كالصيام وصيام النافلة والتطوع كثير وفي إشتغال المرأة بصيام التطوع منع الرجل من حاجته لذلك مع عظمة عبادة الصيام والأجر الجزيل من الله للصائم إلا أن الرسول ﷺ يقدم عبادة المباضعة على الصيام تقديماً للمصلحة المتعدية على العبادة الفردية، قال ﷺ: «لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه»(٢)، وسبب هذا التحريم أن للزوج حق الاستمتاع بها في كل وقت، وحقه واجب على الفور فلا يفوته بالتطوع ولا بواجب على التراخي، واذا أراد الإستمتاع بها جاز ويفسد صومها لأن العادة أن المسلم يهاب إنتهاك الصوم بالإفساد(٣).

الرابع: حسن العشرة

إن حسن العشرة من الأسباب الكفيلة بوقاية الزوجية من المشكلات، وهي مطلوبة من الزوج والزوجة على حد سواء، ولا يتكلف المؤمن حسن الخلق فهو ملازم للإيمان وقد أمر المؤمن بحسن التعامل مع الحيوان والجماد بل ومع خلق لا يراهم كالجن والملائكة فكيف بأم أولاده وشريكة حياته قال تعالى: ﴿**وعاشروهن بالمعروف**﴾(٤)، أي طيبوا أقوالكم لهن وحسنوا أفعالكم وهيأتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله كما قال تعالى ﴿**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف**﴾(٥)، ومعنى الآية: «ألا يعبس في وجهها بغير ذنب وأن يكون منطلقاً في القول لا فظاً ولا غليظاً»(٦) والعشرة الطيبة معاني كثيرة منها:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢٤/٣.

(٢) رواه البخاري، فتح الباري رقم ٥١٩٢، ٢٦٧/١٠، كتاب النكاح باب صوم المرأة بإذن زوجها تطوعاً عن أبي هريرة.

(٣) فتح الباري لابن حجر ٢٧٠/١٠.

(٤) سورة النساء آية ١٩.

(٥) تفسير القرآن لابن كثر ٤٦٦/١ والآية في سورة البقرة رقم ٢٢٨.

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩٧/٢.

أ: الطاعة

إن قوامة الرجل وقيادته تستوجبان له من المرأة الطاعة فعن عمرو بن الحارث بن المصطلق قال: كان يقال: «أشد الناس عذاباً إثنان: إمرأة عصت زوجها وإمام قوم وهم له كارهون»[1]، إن النصوص الواردة المبينة لقدر الزوج كثيرة منها قوله ﷺ: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»[2]، وقال: «ثلاثة لاَ تجاوز صلاتهم آذانهم العبد الابق حتى يرجع وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وإمام قوم وهم له كارهون»[3].

وهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول: «يا معشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بخد وجهها»[4]. وعن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها: أدخلي من أي أبواب الجنة شئت»[5]، ولا تعني الطاعة الإنقياد الأعمى، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولذا بوب البخاري في صحيحه فقال: «باب لا تطيع المرأة زوجها في معصية»[6]، ثم إستشهد بحديث عائشة رضي الله عنها تقول: أن امرأة من الأنصار زوجت ابنتها فتمعط شعر رأسها فجاءت الى النبي ﷺ فذكرت ذلك فقالت: إن زوجها أمرني أن أصل في شعرها، فقال: «لا إنه قد لعن الواصلات»[7]، ولا تعني الطاعة إستبداد الرجل وعدم مشاورته أهله بل قد ينزل الرجل على رأي زوجته فيما فيه صلاحهما.

ب: الخدمة

وهي مطلوبة من الطرفين لصالح بيت الزوجية، فالرجل يسعى ليأتي بإذن الله بالرزق ويتعرض في طلبه الرزق لكثير من التعب وبعض الإحراج، وقد يتغرب الزوج والسفر قطعة من

---

(١) رواه الترمذي أبواب الصلاة، باب ما جاء في من أم قوماً وهم له كارهون رقم ٣٢٧ وهو في صحيح الترمذي للألباني رقم ٢٩٤

(٢) رواه الترمذي أبواب الرضاع باب في حق الزوج على المرأة رقم ١٠٧٩ عن أبي هريرة وهو في صحيح الترمذي للألباني رقم ٩٢٦.

(٣) رواه الترمذي كتاب الصلاة باب ما جاء فيمن أم قوماً وهم له كارهون وهو في صحيح الترمذي للألباني رقم ٥٩٥ عن أبي أمامة.

(٤) الكبائر للذهبي/١٨٩.

(٥) رواه أحمد، مسند العشرة المبشر ين بالجنة رقم ١٥٧٣ وهو في صحيح الجامع للألباني رقم ٦٦٠.

(٦) فتح الباري لإبن حجر ١٠/٢٨٠.

(٧) رواه البخاري، فتح الباري رقم ٥٢٠٥، ١٠/٢٨٠. كتاب النكاح باب لا تطيع المرأة زوجها في معصية.

عذاب فيتحمل ذلك كله في سبيل توفير لقمة العيش لأهله والرسول ﷺ يدعو إلى أن يخدم الرجل زوجته ولا يحتقر من الخدمة شيئاً ولو في أقل الأمور ففيها مع الخدمة اللطافة والتحبب فعن العرباض رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سقى الرجل إمرأته الماء أجر»[1]، وحتى في بيته يكون في خدمة أهله فعن الأسود بن يزيد قال: سألت عائشة رضي الله عنها ما كان النبي ﷺ يصنع في البيت، قالت: «يكون في مهنة أهله فإذا سمع الأذان خرج»[2]، وعن عائشة أنها سئلت ما كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته قالت: «كان يخيط ثوبه وينظف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم»[3]، وعن عائشة قالت: «سئلت ما كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته، قالت: كان بشراً من البشر، يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه»[4]، وأمهات المؤمنين كن يخدمن الرسول ﷺ فيجهزن ثيابه. عن أنس رضي الله عنه أن الرسول ﷺ «كان له ملحفة مصبوغة بالورس والزعفران يدور بها على نسائه، فإذا كانت ليلة هذه رشتها بالماء واذا كانت ليلة هذه رشتها بالماء واذا كانت ليلة هذه رشتها بالماء»[5]، وتقوم المرأة على أمر طعام زوجها عن معاذ رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «لو تعلم المرأة حق الزوج لم تقعد ما حضر غداؤه وعشاؤه حتى يفرغ منه»[6] وتكون في خدمة زوجها، فعن عليٍّ «أن فاطمة عليها السلام أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى[7]» فهذا دليل على خدمتها عليها السلام زوجها رضي الله عنه، وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: «تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضحٍ وغير فرسه فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء وأخرز غربه وأعجن ولم أكن أحسن أخبز وكان يخبز جارات لي من الأنصار وكنّ نسوة صدق وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي وهي منّي على ثلثي فرسخ».[8] ومن الخدمة تمريض الزوج. عن عمر بن سعيد، أخبرني ابن أبي

---

(١) صحيح الجامع للألباني رقم ٦٠٢/١.

(٢) البخاري، فتح الباري رقم ٥٣٦٣، ٦٢٥/١٠. كتاب النفقات باب خدمة الرجل أهله.

(٣) رواه أحمد، في مسند الأنصار رقم ٢٢٧٥٦ وهو في صحيح الجامع للألباني رقم ٤٩٢٧.

(٤) رواه أحمد، مسند الأنصار رقم ٢٤٩٩٨.

(٥) صحيح الجامع للألباني رقم ٤٨٢٥.

(٦) رواه الطبراني وهو في صحيح الجامع للألباني رقم ٥٢٥٩.

(٧) البخاري، فتح الباري، رقم ٥٣٦١، كتاب النفقات، باب عمل المرأة في بيت زوجها.

(٨) رواه البخاري، فتح الباري، ٥٢٢٤، كتاب النكاح، باب الغيرة.

مليكة أن أبا عمرو ذكوان مولى عائشة أخبره أن عائشة كانت تقول: «إن من نعم الله علي أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وأن الله جمع بين ريقه وريقي عند موته، دخل علي عبد الرحمن وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك، فقلت له: آخذه لك فأشار برأسه أن نعم، فلينته، فأمره وبين يديه ركوة أو علبة -يشك عمر فيها- فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بها وجهه يقول: لا إله إلا الله إن للموت سكرات، ثم نصب يده فجعل يقول: في الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده ﷺ»[١].

إن حق الزوج عند الله عظيم، فعلى المرأة أن تسعى لخدمة زوجها ما أمكنها ذلك، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح أن يسجد بشر لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها، والذي نفسي بيده لو أن من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصديد ثم أقبلت تلحسه ما أدت حقه».[٢]

ج: التحبب والتودد والتلطف

إن إشاعة اللطافة والود والحب في الحياة الزوجية من شأنها أن تجعل الجميع في إشتياق وأن تقوي الإرتباط وأن تجعل الزوجية مستراحاً للزوج والزوجة وفي ذلك وقاية لكثير من المشكلات، بل في طغيان هذه الروح غض الطرف من الجميع عن قليل الكدر ولنا في الرسول ﷺ والصحابة قدوة وأسوة ومن أمثلة التودد والتلطف:

- مسابقته ﷺ عائشة رضي الله عنها: عن عائشة رضي الله عنها «أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر، وهي جارية، قالت: لم أحمل اللحم ولم أبدن فقال: لأصحابه تقدموا فتقدموا ثم قال: تعالي أسابقك، فسابقته، فسبقته على رجلي، فلما كان بعد خرجت معه في سفر فقال: لأصحابه تقدموا ثم قال تعالي أسابقك ونسيت الذي كان وقد حملت اللحم وبدنت، فقلت كيف أسابقك يا رسول الله وأنا على هذه الحال قال لتفعلن فسابقته فسبقني فجعل يضحك وقال هذه بتلك السبقة»[٣].

---

(١) البخاري كتاب المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته رقم ٤٤٤٩.

(٢) رواه أحمد، باقي مسند المكثرين، رقم ١٢١٥٣، وهو في صحيح الجامع للألباني، ٧٧٢٥.

(٣) انظر: آداب الزفاف للألباني ١٧١، هامش (١).

- رقية المرأة زوجها: «فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن وأمسح بيد نفسه لبركتها»[١].

- تطييب المرأة زوجها: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أنا طيبت رسول الله ﷺ ثم طاف في نسائه ثم أصبح محرماً».[٢]

- ترجيل المرأة زوجها: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت أرجل رأس رسول الله ﷺ وأنا حائض»[٣].

- الشرب من إناء واحد: «عن عائشة رضي الله عنها قالت:كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع في».[٤]

- تكنية الزوجة: عن عائشة أنها قالت للنبي ﷺ: «كل أزواجك كنيته غيري، قال: فأنت أم عبد الله»[٥].

- متابعة هواها: «عن جابر بن عبد الله أن عائشة رضي الله عنها في حجة النبي ﷺ أهلت بعمرة وساق الحديث بمعنى حديث الليث وزاد في الحديث قال: وكان رسول الله ﷺ رجلاً سهلاً إذا هويت الشيء تابعها عليه فأرسلها مع عبد الرحمن بن أبي بكر فأهلت بعمرة من التنعيم»[٦].

- تغيير الأسماء: غير الرسول ﷺ اسم أم المؤمنين برة إلى زينب رضي الله عنها وبرة إلى جويرة رضي الله عنها.

(١) رواه البخاري كتاب الطب باب المرأة ترقي الرجل رقم ٢٩٤د

(٢) رواه البخاري كتاب الغسل باب من تطيب ثم اغتسل وبقي أثر الطيب رقم ٢٦٢.

(٣) رواه البخاري كتاب الحيض باب غسل الحائض رأس زوجها وترجيله، رقم ٢٨٦.

(٤) رواه مسلم كتاب الحيض باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله رقم ٤٥٢.

(٥) رواه ابن ماجة كتاب الادب باب الرجل يكنى قبل أن يولد له رقم ٢٧٢٩ وهو في صحيح ابن ماجة للالباني رقم ٣٠١٢.

(٦) رواه مسلم كتاب الحج باب رقم ٧١٢٧.

- مسح دموع الزوجة بيد الزوج: «عن صفية بنت حيي: أن النبي ﷺ حج بنسائه فبرك بصفية جملها، فبكت، وجاء رسول الله ﷺ لما أخبروه فجعل يمسح دموعها بيده وهي تبكي»[1].

- التدليل: عن ابن عمر قال: لما أجتلى رسول الله ﷺ صفية رأى عائشة متنقبة في وسط النساء فعرفها فأدركها فأخذ بثوبها فقال «يا شقيراء»[2]، وقال لها مرة «يا عائش»[3].

- وضع الخد على الخد: - عن عائشة قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل ابو بكر فانتهرني وقال مزمارة الشيطان عند النبي ﷺ فأقبل عليه رسول الله عليه فقال دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجتا وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب فإما سألت النبي ﷺ وإما قال تشتهين تنظرين فقلت «نعم فأقامني وراءه خدي على خده»[4]، وفي رواية «فوضعت رأسي على منكبه»[5] وفي أخرى «أنظر بين أذنيه وعاتقه»[6] وفي رواية «فطأطأ لي رسول الله ﷺ منكبيه»[7] وفي رواية «وضع رسول الله ﷺ ذقني على منكبيه»[8].

- حسن المناداة: قالت إمرأة سعيد بن المسيب: «ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلمون امراءكم، أصلحك الله، عافاك الله»[9].

- مراعاة الأحوال: إن مراعاة الأحوال والظروف تبعث على الود والمحبة وان تراكم اللامبالاة وعدم المراعاة يؤدي إلى الخصام والمشكلات ومن المراعاة مراعاة حال النائم

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/٢٣٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢/٢٣٦ والحديث أخرجه ابن سعد ٨/١٢٥/١٢٦ ورجاله ثقات لكنه منقطع بين عبد الرحمن، وابن عمر.

(٣) رواه البخاري، فتح الباري، ٢٧٦٨، كتاب المناقب، فضائل أصحاب النبي ﷺ باب فضل عائشة رضي الله عنها.

(٤) رواه البخاري كتاب الجمعة باب الحراب والدرق يوم العيد رقم ٨٩٧.

(٥) رواه مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب، رقم ١٤٧٩.

(٦) رواه مسلم كتاب صلاة العيدين باب الرخصة في اللعب. رقم ١٤٨٤.

(٧) رواه أحمد باقي سند الانصار. رقم٢٢١٦١.

(٨) رواه أحمد باقي مسند الانصار. رقم ٢٢٧٠٩.

(٩) أحكام النساء لابن الجوزي/٣١١.

والحامل والحزين والفرح والمهموم، ولنا في رسول الله ﷺ قدوة حسنة في باب المراعاة كما في الحديث التالي: "قالت عائشة ألا أحدثكم عني وعن رسول الله ﷺ قلنا بلى قال قالت لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه ويسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت فأخذ رداءه رويداً وانتعل رويداً[1].

- الدعاء: عن أنس رضي الله عنه قال: أولم رسول الله ﷺ إذ بنى بزينب فأشبع المسلمين خبزاً ولحما ثم خرج إلى أمهات المؤمنين فسلّم عليهن ودعا لهن وسلمن عليه ودعون له فكان يفعل ذلك صبيحة بنائه»[2]. وعن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا غضب على عائشة وضع يده على منكبها فقال: «اللهم اغفر لها ذنبها وأذهب غيظ قلبها وأعذها من مضلات الفتن»[3]. ودعا أبو سلمة لأم سلمة قائلاً: «اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلاً خيراً مني لا يحزنها ولا يؤذيها»[4].

- وضع الرأس على الفخذ: «عن عائشة قالت: عاتبني أبو بكر وجعل يطعنني بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ ورأسه على فخذي».[5]

- الثناء: إن من الأساليب التربوية المفضية إلى تقوية العلاقة ورفع المعنويات عدم بخس الناس أشياءهم والثناء عليهم وفق الضوابط الشرعية من صدق وعدم مبالغة وإن أولى الناس بتقوية العلاقة ورفع المعنويات الزوج والزوجة وهذا ما نراه في خلق الرسول ﷺ مع أزواجه:

  - ثناؤه علي خديجة رضي الله عنها: عن علي رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول «خير نسائها مريم ابنة عمران وخير نسائها خديجة».[6]

---

(١) رواه مسلم كتاب الجنائز رقم ١٦١٩.

(٢) آداب الزفاف للألباني ١٣٨ وانظر هامش ١/١٢٩.

(٣) كتاب الأربعين في مناقب امهات المؤمنين لابن عساكر/٨٥.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/٢٠٢ ورجاله ثقات واخرجه ابن سعد ٨٨/٨.

(٥) رواه البخاري فتح الباري، ٥٢٥٠، ٣/٤٣٢، كتاب النكاح، باب قول الرجل لصاحبه هل أعرستم الليلة.

(٦) رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب "وإذا قالت الملائكة..." الآية رقم ٢١٧٨.

- ثناؤه على عائشة رضي الله عنها: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»(١).
- ثناؤه على زينب رضي الله عنها: عن عائشة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله ﷺ: «أسرعكن لحاقا بي أطولكن يداً قالت، فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً قالت فكانت أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق»(٢).
- ثناؤه على صفية رضي الله عنها: قال لها ﷺ «إنك لابنة نبي وإن عمك لنبي وإنك لتحت نبي»(٣).
- ثناؤه على أم سلمة: قال لها ﷺ: «أنت على خير»(٤) وهكذا مع زوجاته ﷺ.

- التزين: إن تزين المرأة أمر مشروع بل مندوب وهذا أحوج ما يحتاج إليه المسلم المعاصر من زوجته لما يرى من أمواج الفتن والإغراء خارج منزله فلا بد أن تمنع كل ما يلفت نظره خارج بيته ومن ذلك حسن التزين فلعل الزوجة أن تكون أجمل ولكن لقلة تزينها يرى الزوج في المتزينة الأجنبية ما لا يراه في زوجته وهي الأجمل وعلى الرجل أن يتزين لزوجته بم يليق فإنها تجد من الفتن ما يجد. وفي التزين وقاية حث عليها الإسلام على النحو التالي:

١- بأن جعلها من خصال الفطرة: عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «عشر من الفطرة: قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك والإستنشاق وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وإنتقاص الماء». قال مصعب بن شيبة أحد الرواة: ونسيت العاشرة «إلا أن تكون المضمضة»(٥).

٢- حرم على المرأة الخروج من بيتها مستعطرة فدل ذلك على إنحصار تعطرها لزوجها ولحظ نفسها بعيداً عن الرجال الأجانب قال ﷺ: «كل عين زانية والمرأة اذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية»(٦).

---

(١) رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب "واذا قالت الملائكة..." الآية رقم ٣١٧٩.

(٢) رواه مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل زينب أم المؤمنين رضي الله عنها ٤٤٩٠.

(٣) رواه الترمذي كتاب المناقب باب في فضل أزواج النبي ﷺ رقم ٣٨٢٩.

(٤) رواه الترمذي كتاب تفسير القرآن سورة الأحزاب رقم ٣١٢٩.

(٥) رواه مسلم كتاب الطهارة باب خصال الفطرة رقم ٣٨٤.

(٦) رواه الترمذي كتاب الادب باب ما جاء في كراهية خروج المرأة متعطرة رقم ٢٧١٠ عن أبي موسى وهو في صحيح الترمذي ٢٢٣٧.

٣- قال عطاء في تفسير النشوز في قوله تعالى: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾[١]. قال: «هو ألا تتعطر له وأن تترفع عليه»[٢]. وليه المراد هنا أن تُعد كل صغيرة من المرأة نشوزاً، ولكن ما كان ترفعاً وتعاليا.

٤- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وإذا دخلت ليلاً فلا تدخل على أهلك حتى تستحد المغيبة وتمتشط الشعث»[٣].

٥- تزيين العروس: لما تزوج النبي ﷺ بصفية بنت حيي زينتها له أم سليم «حتى إذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم فأهدتها له من الليل فأصبح النبي ﷺ عروساً»[٤]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن خزرج فوعكت فتمزق شعري فوفى جميمة فأتتني أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي فصرخت بي فأتيتها لا أدري ما تريد فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ورأسي ثم أدخلتني الدار فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضحى فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين»[٥].

٦- زهد المرأة في التزين لزهد الزوج فيها: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك، قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا.

٧- وعلى الرجل أن يتزين لزوجته كما كان يفعل ﷺ. عن أنس رضي الله عنه قال: «كان له ملحفة مصبوغة بالورس، والزعفران يدور بها على نسائه.[٦]» وقال يحيى

---

(١) سورة النساء آية ٣٤.

(٢) الكبائر للذهبي/١٨٦.

(٣) رواه البخاري، فتح الباري، ٥٢٤٦، ٤٢٧/١٠كتاب النكاح باب طلب الولد.

(٤) رواه البخاري كتاب الصلاة باب ما يذكر في الفخذ رقم ٣٥٨.

(٥) رواه البخاري كتاب المناقب باب مناقب الأنصار رقم ٣٦٠٥.

(٦) صحيح الجامع، رقم ٤٨٣٥.

بن عبد الرحمن الحنظلي: «أتيت محمد بن الحنفية فخرج إلي في ملحفة حمراء ولحيته تقطر من الغالية[١]، فقلت: ما هذا، قال: إن هذه الملحفة ألقتها عليّ امرأتي ودهنتني بالطيب، وإنهن يشتهين منّا ما نشتهيه منهن». وقال ابن عباس رضي الله عنه: «إني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين المرأة لي»[٢]. وقال العلماء: «أما زينة الرجال فعلى تفاوت أحوالهم فإنهم يعملون ذلك على اللبق والوفاق، فربما كانت زينة تليق في وقت ولا تليق في وقت وزينة تليق بالشباب وزينة تليق بالشيوخ، ولا تليق بالشباب، وكذلك في شأن الكسوة ليكون عند امرأته في زينة تسرها، ويعفها عن غيره من الرجال»[٣].

- الإصطحاب للدعوة: «عن أنس أن رجلاً فارسياً كان جار النبي ﷺ وكانت مرقته أطيب شيء ريحاً فصنع طعاماً ثم جاء الى النبي ﷺ فدعاه وعائشة الى جنبه، فأومأ إليه: أن تعال، قال: وهذه معي، قال: وأشار إلى عائشة، فقال: لا، ثم أشار إليه الثانية، فقال: وهذه معي. قال لا. ثم أشار إليه فقال نعم، فذهبت عائشة»[٤].

- المعاونة على ركوب الدابة: تحكي صفية أم المؤمنين رضي الله عنها قصتها مع الرسول ﷺ: «ثم قدم إلي البعير، وقدم فخذه لأضع رجلي عليها فأعظمت ذلك ووضعت فخذي على فخذه ثم ركبت».[٥]

- إغتسال الزوجين معاً: وذلك جائز لقول عائشة رضي الله عنها: «كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء بيني وبينه واحد فيبادرني حتى أقول: دع لي ، دع لي، قالت: وهما جنبان»[٦].

---

(١) الغالية: نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودهن.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/٩٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/١٢٤.

(٤) رواه مسلم كتاب الأشربة باب ما يفعل الضيف إذا تبعه غير من دعاه رقم ٢٧٩٨.

(٥)

(٦) رواه مسلم كتاب الحيض باب القدر المستحب من الماء رقم ٤٨٥.

- الملاعبة والمداعبة: عن جابر بن عبد الله وجابر بن عمير رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «كل شيء ليس من ذكر الله لهو ولعب إلا أن يكون أربعة ملاعبة الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشي الرجل بين الغرضين وتعليم الرجل السباحة»(١).

- المعاهدة للإجتماع في الجنة أزواجاً: قالت أم سلمة لأبي سلمة: بلغني أنه ليس إمرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة ثم لم تتزوج إلا جمع الله بينهما في الجنة، فتعال أعاهدك ألا تزوج بعدي ولا أتزوج بعدك"(٢)، والذي بلغها هو من كلام سيد المرسلين ﷺ كما تروي عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «المرأة لآخر أزواجها»(٣)، إلا أن أبا سلمة لم يعاهدها، فتزوجت من هو خير منه الرسول ﷺ وهذا الحب الذي يدعو الأزواج والزوجات إلى الرغبة في الاجتماع في الجنة كما اجتمعوا في الدنيا، حب يبعث على تجاوز الهنات والمشكلات، ولقد قالت أم الدرداء قولاً قريباً من قول أم سلمة إلا أن أم الدرداء خاطبت ربها. «اللهم إن أبا الدرداء خطبني فتزوجني في الدنيا، اللهم فأنا أخطبه إليك فأسألك أن تزوجينه في الجنة، فقال لها أبو الدرداء: فإن أردت ذلك وكنت الأول فلا تتزوجي بعدي، فقالت: لا والله لا أتزوج زوجاً في الدنيا حتى أزوج أبا الدرداء إن شاء الله عز وجل في الجنة»(٤).

- تمني السلامة والإشعار بالتضحية: عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم أن صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت في وجع الرسول ﷺ الذي توفي فيه: «والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي»(٥).

- الملاطفة عند البناء بالزوجة: عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: «إني قينت(٦) عائشة لرسول الله ﷺ ثم جئته فدعوته لجلوتها(٧)، فجاء فجلس إلى جنبها فأتي بعس(٨) لبن

---

(١) صحيح الجامع للألباني ٤٥٣٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢/٢٠٣.

(٣) صحيح الجامع للألباني ٦٦٩١.

(٤) أحكام النساء لابن الجوزي/٤١٠

(٥) سير أعلام النبلاء ٢/٢٣٥ وابن سعد ٨/١٢٨.

(٦) أي زيّنت.

(٧) أي للنظر اليها مكشوفة.

فشرب، ثم ناولها النبي ﷺ فخفضت رأسها واستحيت قالت أسماء: فانتهرتها وقلت لها: خذي من يد النبي ﷺ، قالت: فأخذت فشربت شيئاً ثم قال لها النبي ﷺ: أعطي تربك[1] قالت أسماء: فقلت: يا رسول الله بل خذه فاشرب منه ثم ناولنيه من يدك، فأخذه فشرب منه ثم ناولنيه، قالت: فجلست ثم وضعته على ركبتي ثم طفقت أديره وأتبعه بشفتي لأصيب منه شرب النبي ﷺ ثم قال لنسوة عندي، ناوليهن، فقلن لا نشتهيه، فقال ﷺ: لا تجمعن جوعاً وكذباً»[2].

- إلى آخر لحظة: «قال حكيم بن حزام: توفيت خديجة فخرجنا بها من منزلها حتى دفناها بالحجون ونزل رسول الله ﷺ في حفرتها»[3].

- حسن الإستماع:إن الإنسان بطبعه يحب أن يستمع إليه الناس ويضيق صدره بمن لا يستمع إليه ويضيق أكثر بمن يقطع حديثه أو يستمع مع إنشغال وإستخفاف، وهذا في الحياة الزوجية أظهر منه في غيرها لطول الصحبة وللأمال والآلام المشتركة التي تستدعي إستماع كل طرف للآخر، غير ساعات الأنس التي لا يتحقق أنس كل طرف بالآخر إلا عند الاستماع الحسن وإظهار الإهتمام والإستيعاب، والمشكلة قد تنجم لإسكات الزوج زوجته مثلا بحجة أن طرحها ليس بالمهم على الأقل بالنسبة له وهذا مخالف لهدي الرسول ﷺ. عن عائشة قالت: جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً، قالت الأولى: زوجي لحم جمل غث على رأس جبل وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل قالت الثانية: زوجي لا أبث خبره إني أخاف أن لا أذره إن أذكره أذكر عجره وبجره قالت الثالثة: زوجي العشنق إن أنطق أطلق وإن أسكت أعلق قالت الرابعة: زوجي كليل تهامة لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سآمة قالت الخامسة: زوجي إن دخل فهد وإن خرج أسد ولا يسأل عما عهد قالت السادسة:

---

(٨) هو القدح الكبير.

(١) صديقتك.

(٢) رواه أحمد، مسند القبائل رقم ٢٦٣٠٩ وهو في اداب الزفاف في السنة المطهرة للالباني، ٩١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/١٦٤.

زوجي إن أكل لف وإن شرب اشتف وإن اضطجع التف ولا يولج الكف ليعلم البث قالت السابعة: زوجي غياياء أو عياياء طباقاء كل داء له داء شجك أو فلك أو جمع كلاً لك قالت الثامنة: زوجي الريح ريح زرنب والمس مس أرنب قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد طويل النجاد عظيم الرماد قريب البيت من النادي قالت العاشرة زوجي مالك وما مالك خير من ذلك له إبل كثيرات المبارك قليلات المسارح إذ سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك قالت الحادية عشر: زوجي أبو زرع فما أبو زرع أناس من حلي أذني وملأ من شحم عضدي وبجحني فبجحت إليّ نفسي وجدني في أهل غنيمة بشق فجعلني في أهل صهيل وأطيط ودائس ومنق فعنده أقول فلا أقبح وأرقد فأتصبح وأشرب فأتقنح أم أبي زرع، فما أم أبي زرع عكومها رداح وبيتها فساح إبن أبي زرع فما ابن أبي زرع مضطجعه كمسل شطبة ويشبعه ذراع الجفرة بنت أبي زرع فما بنت أبي زرع طوع أبيها وطوع أمها وملء كسائها وغيظ جارتها جارية أبي زرع فما جارية أبي زرع لا تبث حديثنا تبثيثاً ولا تنفث ميرتنا تنفيثاً ولا تملأ بيتنا تعشيشاً قالت خرج أبو زرع والأوطاب تمخض فلقي إمرأة معها ولدان لها كالفهدين يلعبان من تحت خصرها برمانتين» فطلقني ونكحها فنكحت بعده رجلاً سرياً، ركب شرياً، وأخذ خطياً، وأراح عليّ نعماً ثرياً، وأعطاني من كل رائحة زوجا. قال: كلي أم زرع وميري أهلك، فلو جمعت له كل شيء أعطاني ما بلغ أصغر آنية أبي زرع. قالت عائشة: قال لي رسول الله ﷺ كنت لك كأبي زرع لأم زرع.[1]

- الترفيه: إن بقاء الزوجية على وتيرة واحدة من شأنه أن يثير بعض المشكلات، ذلك أن الرجل والمرأة أكثر ميالة إلى الأنس واللعب والتفريج والترفيه وهذا مباح بضوابطه، والرسول ﷺ أباح الترفيه في غير ما موضع، فحث على حضور النساء الأعياد وإن كنّ حُيّض وعلى الغناء في الأعراس وضرب الدفوف وحضور النساء الأعراس، وبيّن أهمية الملاعبة والمضاحكة، والمداعبة، وكل ذلك ترفيه وتسلية، ومن أوضح الأدلة على حثه

---

(١) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم ٤٤٨١.

ﷺ على الترفيه ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كان الحبش يلعبون بحرابهم فسترني رسول الله ﷺ وأنا أنظر حتى كنت أنا أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن تسمع اللهو»(١)، وفي مسابقته لها ترفيه وتسلية، ومن الترفيه توفير بعض التسلية ما أمكن، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «قدم رسول الله ﷺ من غزة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب فقال: ما هذا يا عائشة، قالت بناتي، ورأى بينهن فرساً له جناحان من رقاع، فقال: ما هذا الذي أرى وسطهن، قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة، قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه»(٢).

- التوازن: إن التوازن في الأمور كلها من أخلاق المسلم وبه سعادته وفلاحه في الدارين ومتى ما طغى أمرٌ على أمر كان الإفراط والتفريط، وكلاهما شر، وإن كان المؤمن يجد في تغليب أمرٍ لذة وسعادة ولكنها مؤقتة ثم هي على حساب أساسيات أخر، ثم أجر المجاهدة لتحقيق التوازن أعظم عند الله من أجر تغليب لذة، هذا إذا لم ينحرف بإفراطه أو تفريطه فينال بذلك عقاباً. فعن عبد الله بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل، قلت: بلى يا رسول الله، قال، فلا تفعل، صم وأفطر وقم ونم فإن لجسدك عليك حقاً وإن لعينك عليك حقاً وأن لزوجك عليك حقا»(٣)، وعن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال لها: ما شأنك، قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال له: كل، قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل، حتى تأكل. قال فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم. قال، نم، فنام ثم ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان، قم الآن فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً. فأعط ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «صدق سلمان»(٤)، قال

---

(١) رواه البخاري كتاب النكاح باب حسن المعاشرة مع الأهل رقم ٥١٩٠ فتح الباري ٢١٩/١٠.

(٢) أبوداود كتاب الأدب باب في اللعب بالبنات رقم ٤٢٨٤ وهو في صحيح ابي داود للألباني رقم ٤١٢٣.

(٣) رواه البخاري، فتح الباري، ٥١٩٩، كتاب النكاح، باب لزوجك عليك حق.

(٤) رواه البخاري، فتح الباري ١٩٦٨، ٧٢٦٤، كتاب الصوم باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع.

ابن حجر: «فيه جواز النهي عن المستحبات إذا خشي أن ذلك يفضي الى السآمة والملل وتفويت الحقوق المطلوبة الواجبة أو المندوبة الراجح فعلها على فعل المستحب المذكور»[1].

- الإشادة بالمعروف وعدم إنكاره: إن من المعاني التربوية في مجال المعاملة شكر أهل الإحسان وبهذا بوب غير واحد من أهل الحديث منهم الترمذي في سننه فقال: باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، وذكر قوله ﷺ: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»[2]، وفي الحياة الزوجية للشكر والإشادة بالمعروف وعدم إنكاره أثر في استمرار العطاء ورفع المعنويات وفي غيابه جفاء لا يليق، حتى أن الله عز وجل جعل كفران العشير من أسباب العذاب قال ﷺ: «رأيت النار فلم أر كاليوم منظراً قط، ورأيت أكثر أهلها النساء. قالوا: لم يا رسول الله، قال بكفرهن، قيل يكفرن بالله، قال: يكفرن العشير ويكفرن الإحسان، لو أحسنت الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت: «ما رأيت منك خيراً قط»[3]، ويضرب الرسول ﷺ لنا أروع الأمثلة في الإشادة بالمعروف وعدم إنكاره، فعن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوماً فقلت ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق قد أبدلك الله عز وجل بها خيراً منها، قال: ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها، قد آمنت بي إذا كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد الناس»[4]، بل كان من حبه لها أنه كان يصل بر صديقاتها، عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة، هلكت قبل أن يتزوجني، لما كنت أسمعه يذكرها، وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب وأن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن»[5].

- إظهار الإهتمام: إن الإستخفاف بالطرف الآخر وعدم الإلتفات إليه وعدم الإهتمام به مما يزيد المسافة ويباعد بين القلوب ويسبب نوعاً من الأشكال، لذا حرص الرسول ﷺ

---

(١) فتح الباري لإبن حجر، ٤/ ٧٢٠.

(٢) رواه الترمذي، كتاب البر والصلة باب ما جاء في الشكر لمن أحسن اليك رقم ١٨٧٧ وهو في صحيح الترمذي للالباني رقم ١٥٩٢ عن أبي هريرة.

(٣) رواه البخاري، فتح الباري ١٠/ ٢٧٢، كتاب النكاح باب كفران العشير رقم ٥١٩٧ عن ابن عباس .

(٤) رواه أحمد، مسند باقي الأنصار رقم ٢٢٧١٩.

(٥) رواه البخاري كتاب المناقب باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها ٣٥٣٢.

على إظهار الإهتمام بأهله حال حياته، وبعد مماته، «قالت عائشة إن رسول الله ﷺ أحنى علي فقال: إنكن لأهم ما أترك إليّ وراء ظهري والله لا يعطف عليكن إلا الصابرون أو الصادقون»(١).

- الحرص على المشاعر والأحاسيس والإرضاء. إن إنتباه كل في الزوجية إلى مشاعر الطرف الآخر وأحاسيسه والسعي ما أمكن لإرضائه من حسن العشرة وإن إهمال المشاعر والأحاسيس واللامبالاة عن رضا الآخر أو سخطه لتجعل الزوجية جسداً بلا روح ومع تراكم الإهمال واللامبالاة تتبلد المشاعر وينعدم السكن والمودة، والناظر إلى حياة الرسول ﷺ الزوجية ليرى الحرص على المشاعر والإرضاء واضحاً منه ﷺ ومن أزواجه. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت علي غضبى، قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك، فقال أما إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين لا ورب محمد وإذا كنت عليّ غضبى قلت لا ورب ابراهيم، قالت: قلت أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا إسمك»(٢). ففي الحديث أن الرسول ﷺ درس نفسية أم المؤمنين عائشة فهو يعلم أيام رضاها ودلائل ذلك وأيام غضبها ودلائل ذلك، ثم هي رضي الله عنها بينت أن ذلك لا يتجاوز اللسان. ومن حرص زوجاته ﷺ على مشاعره ما كان من صفية بنت حيي لما وجد الرسول ﷺ عليها، فقالت لعائشة: هل لك إلى أن ترضين رسول الله ﷺ عني وأجعل لك يومي، قلت: نعم، فأخذت خماراً لها مصبوغاً بزعفران فرشته بالماء ثم إختمرت به، قال عفان، ليفوح ريحه، ثم دخلت عليه في يومها، فجلست إلى جنبه فقال: إليك يا عائشة فليس هذا يومك، فقلت: فضل الله يؤتيه من يشاء ثم أخبرته خبري، قال: عفان، فرضي عنها"(٣).

وعن أنس قال: «بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي: فقال: ما يبكيك: قالت: قالت لي حفصة إني ابنة يهودي فقال النبي ﷺ «وإنك لابنة نبي وأن عمك لنبي وإنك لتحت نبي ففيم تفخر عليك، ثم قال: اتقي الله يا حفصة»(٤).

---

(١) رواه أحمد باقي مسند الانصار رقم ٢٢٧٤٦.

(٢) رواه البخاري كتاب النكاح باب غيرة النساء ووجدهن رقم ٤٨٢٧.

(٣) رواه أحمد باقي مسند الانصار ٢٣٩٦٩.

(٤) رواه الترمذي كتاب المناقب في فضل أزواج النبي ﷺ رقم ٣٨٢٩ وهو في صحيح الترمذي رقم ٣٠٥٥.

الخامس: المحافظة على كرامة بيت الزوجية

إن أغلب المشكلات الزوجية منشأها أسباب تافهة وصغيرة ولكنها إذا تركت تراكمت فصارت مستعصية، ومن هذه الأسباب الصغيرة في منشأها الإذن بدخول البيت بدون إذن الزوج، لأن ذلك من أسباب إثارة غيرة الزوج وسوء ظنه، فوقاية من مثل هذه النتائج نهيت المرأة عن ذلك: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن في بيته إلا بإذنه»[1]، ولا يقتصر الأمر على الأجانب، بل قد لا يرغب الزوج في دخول أهل زوجه كوالدها ووالدتها بغير علمه خشية أن يطلعوا على خصوصياته وقد لا يرغب في وجود صديقات زوجته في بيته لما يعهد عليهن من سوء خلق وعشرة أو حذراً من تعبئة زوجه بأمور لا تناسبه ولا زوجه.

السادس: الإلتزام بالأذكار الواردة والأدعية الشرعية:

ثبت أن من أفضل إنجازات الشياطين عند إبليس إفساد الزوجية فعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول له ما صنعت شيئاً، قال ويجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله، قال: فيدنيه منه، أو قال: فيلتزمه ويقول، نعم أنت»[2]، لذلك كان سد أبواب الشياطين على الزوجية سبباً في منع المشكلات عنها، وفي تهيئة الجو الشيطاني ذريعة لتقويته على هدفه في إفساد ما بين الرجل وزوجه، ولا خلاف في أن أفضل ما نغلق به أبواب الشياطين ذكر الله عز وجل ودعاؤه والإستعانة به، والسنة زاخرة بما نسد به على إبليس مداخله إلى الزوجية وبما يرتجى منه البركة والفلاح ومجموع ما ورد يندرج تحت بابين:

أولهما: الأذكار والأدعية.

ثانيهما: الأثاث الإسلامي.

---

(١) رواه البخاري، فتح الباري ٥١٩٥، ٢٦٩/١٠. كتاب النكاح باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه.

(٢) رواه أحمد باقي مسند المكثرين رقم ١٢٨٥٨.

أولاً: الأذكار والأدعية:

١- أذكار التهنئة بالنكاح: عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا رفأ الإنسان إذا تزوج قال: «بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير»[1]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت : تزوجني النبي ﷺ فأتتني أمي فأدخلتني الدار فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر.[2]

٢- أذكار دخول المنزل: عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم، ولا عشاء، وإذا دخل، فلم يذكر الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء»[3].

٣- أذكار الدخول بالزوجة: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «إذا تزوج أحدكم إمرأة أو اشترى خادماً، فليقل: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جلبتها عليه، وإذا إشترى بعيراً، فليأخذ بذورة سنامه، وليقل مثل ذلك. قال أبو داود ثم ليأخذ بناصيتها وليدع بالبركة في المرأة والخادم»[4].

٤- صلاة الزوجين معاً: قال الألباني: ويستحب لهما أن يصليا ركعتين معاً لأنه منقول عن السلف، وفيه أثر: عن أبي سعيد مولى أبي أسيد قال: تزوجت وأنا مملوك. فدعوت نفراً من أصحاب النبي ﷺ فيهم ابن مسعود وأبو ذر وحذيفة، قال: وأقيمت الصلاة، قال: فذهب أبو ذر ليتقدم، فقالوا: إليك قال: أو كذلك، قالوا: نعم، قال: فتقدمت بهم وأنا عبد مملوك وعلموني فقالوا: «إذا دخل عليك أهلك فصل ركعتين، ثم سل الله من خير ما دخل عليك وتعوذ به من شره ثم شأنك وأهلك».[5]

---

(١) رواه الترمذي كتاب النكاح باب ما يقال للمتزوج رقم ١٠١١ وهو في صحيح الترمذي ٨٧١.

(٢) رواه البخاري كتاب النكاح باب الدعاء للنسوة اللاتي يهدين العروس وللعروس رقم ٤٧٥٩.

(٣) رواه مسلم كتاب الأشربة باب اداب الطعام والشراب رقم ٢٧٦٢.

(٤) رواه أبو داود كتاب النكاح باب في جامع النكاح رقم ١٨٤٥ وهو في صحيح أبي داود ١٨٩٢.

(٥) آداب الزفاف للألباني، ٩٤ هامش ٢.

٥- أذكار الجماع: عن إبن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضي بينهما ولد لم يضره».[١].

٦- أذكار النوم: «عن أبي هريرة رضي الله عنه قال وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني أت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فذكر الحديث فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبي ﷺ صدقك وهو كذوب ذاك شيطاناً»[٢].

٧- أذكار من رأى رؤيا يكرهها: عن أبي قتادة عن النبي ﷺ: قال: «الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فاذا حلم فليتعوذ منه وليبصق عن شماله فانها لا تضره»[٣].

٨- أذكار الفزع في النوم: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفزع كلمات: «أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون فإنها لن تضره».[٤]

٩- التعامل مع الجن والشياطين: - عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة أنه دخل على أبي سعيد الخدري في بيته قال: فوجدته يصلي، فجلست أنتظره حتى يقضي صلاته، فسمعت تحريكاً في ناحية البيت، فالتفت فاذا جبة فوثبت لأقتلها فأشار إلي أن أجلس فجلست، فلما إنصرف أشار إلى بيت في الدار، قال: أترى هذا البيت، فقلت نعم، قال: كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس، قال فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله، فاستأذنه يوماً، فقال له رسول الله ﷺ: «خذ عليك سلاحك فإني أخشى عليك قريضة، فأخذ الرجل سلاحه، ثم رجع فإذا إمرأته بين البابين قائمة فأهوى إليها الرمح ليطعنها به وأصابته

---

(١) رواه البخاري كتاب الوضوء باب التسمية على كل حال وعند الوقاع رقم ١٣٨.

(٢) رواه البخاري كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده رقم ٣٠٢٣.

(٣) رواه البخاري باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة رقم ٦٤٧١.

(٤) رواه الترمذي أبواب الدعوات رقم ٢٤٥١ وهو في صحيح الترمذي ٢٧٩٢.

غيرة، فقالت له: اكفف عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني، فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش فأهوى اليها بالرمح فانتظمها به، ثم خرج فركزه في الدار فاضطربت عليه، فما يدرى أيهما كان أسرع موتاً، الحية أم الفتى، قال فجئنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له وقلنا ادعوا الله يحيه لنا، فقال: استغفروا لصاحبكم، ثم قال: إن بالمدينة جِناً، قد أسلموا فإذا رأيتم منهم شيئاً فاذنوهم ثلاثة أيام فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان»[1].

١٠- أذكار تغني عن الخادم: عن علي بن أبي طالب أن فاطمة عليها السلام أتت النبي ﷺ، تسأله خادماً فقال: «ألا أخبرك ما هو خير لك منه، تسبحين الله عند منامك ثلاثاً وثلاثين وتحمدين الله ثلاثاً وثلاثين وتكبرين الله أربعاً وثلاثين ثم قال سفيان احداهن أربع وثلاثون، فما تركتها بعد، قيل ولا ليلة صفين قال ولا ليلة صفين»[2].

١١- التعاون على العبادة: «عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جمعاً كُتبا ليلتئذ من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات»[3].

١٢- الصلاة في البيوت: عن زيد بن ثابت قال:قال رسول الله ﷺ: «فصلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة»[4].

١٣- القرآن في البيوت: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرؤوا سورة البقرة في بيوتكم، فإن الشيطان لا يدخل بيتاً يقرأ فيه سورة البقرة"[5]. وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام وهو عند العرش وأنه أنزل منه أيتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها الشيطان».[6]

(١) رواه مسلم كتاب السلام باب قتل الحيات وغيرها رقم ٤١٥٠.

(٢) رواه البخاري كتاب النفقات باب خادم المرأة رقم ٥٣٦٢.

(٣) رواه أبو داود كتاب الصلاة رقم ١٢٣٩.

(٤) البخاري كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة ٦٧٤٦.

(٥) صحيح الجامع للألباني رقم ١١٧٠، ٢٥٨/١.

(٦) صحيح الجامع للألباني، ١٧٩٩.

١٤- أذكار الولادة: قال أبو رافع رأيت رسول الله ﷺ «أذّن في أذن الحسين بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة»[1].

١٥- دعاء السفر: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر، كبر ثلاثاً ثم قال: «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون...اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا سفرنا هذا واطوِ عنا بعده اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل والولد»[2].

١٦- أذكار الخروج من المنزل: عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال يعني إذا خرج من بيته: بسم الله، توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت ووقيت وهديت وتنحى عنه الشيطان».[3]

ثانياً:الأثاث الإسلامي

يطيب للناس أن يؤثثوا بيوتهم بالجميل شكلاً ولوناً وبالغالي قيمة وندرة، وبالملفت تنظيماً وترتيباً وهذا حسن لا بأس به ما أخطأتهم أمور مخالفة لهدي الكتاب والسنة في وجودها يرتع الشيطان وفي رتعه فرصة لإفساد الزوجية ومن هذه الأمور:

١- الإسراف: نهى الله عن الإسراف في الأمور كلها، وجعل المسرف أخاً للشيطان زيادة في الترهيب من الإسراف ومن الإسراف المنبوذ، الإسراف في الأثاث، قال تعالى: **﴿ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً﴾**[4].

---

(١) صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب، لإبن القيم، سليم بن عيد الهلالي/١ ٢٤١.

(٢) مسلم كتاب الحج رقم ٢٣٩٢.

(٣) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقال ص٩١، هامش ٢.

(٤) سوره الإسراء آية ٢٦.

٢- التماثيل والصور والكلاب: إن وجود هذه الثلاث في البيت المسلم يمنع وجود الملائكة، ويسهل وجود الشياطين وهذا من شأنه أن يسبب الخلاف والشقاق، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت بقرام لي على سهوة لي فيها تماثيل، فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه وقال: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله، قالت: فجعلناه وسادة أو وسادتين».

وعن أبي طلحة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة»[١] وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: «وعد جبريل النبي ﷺ فراث عليه حتى اشتد على النبي ﷺ فخرج النبي ﷺ فلقيه فشكا إليه ما وجد، فقال له «إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة»[٢].

٣- أجراس: إن الأجراس المشابهة لناقوس الكنيسة مما نهينا عنها، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا تدخل الملائكة بيتاً فيه جرس»[٣].

٤- التصاليب: «فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته شيئاً فيه تصاليب إلا نقضه»[٤].

٥- الأواني الذهبية والفضية: قال ﷺ: «لا تشربوا في آنية الذهب والفضة»[٥].

٦- النهي عن الحرير للرجال: «عن حذيفة رضي الله عنه قال: نهانا النبي ﷺ أن نشرب في آنية الذهب وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه»[٦].

---

(١) رواه البخاري، فتح الباري، ٣٣٢٢، ٦/٥١٧، كتاب بدء الخلق باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه.

(٢) رواه البخاري كتاب اللباس باب لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة رقم ٥٩٦٠ فتح الباري ١١/٥٩٢.

(٣) ابو داود كتاب الخاتم باب في الجلاجل رقم ٢٦٩٥ وهو في صحيح ابي داود رقم ٣٥٦٠.

(٤) البخاري، فتح الباري، ٥٩٥٢، ١١/٥٨٣، كتاب اللباس باب نقض الصور.

(٥) البخاري كتاب الأشربة باب آنية الفضة رقم ٥٦٣٣ فتح الباري ١١/ ٢٣٠ عن حذيفة.

(٦) البخاري، فتح الباري، ٥٨٣٧، ١١/٤٧٢، كتاب اللباس باب افتراش الحرير.

٧- الذكر الدائم: عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا استجنح الليل أو كان جنح الليل فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم، وأغلق بابك واذكر إسم الله، واطفيء مصباحك واذكر اسم الله، وأوك سقاءك واذكر إسم الله، وخمر إنائك واذكر اسم الله ولو تعرض عليه شيء»[١].

٨- وحتى يكتمل الكلام عن الأثاث الإسلامي، ألفت النظر إلى أهمية عدم ترك النار في البيت عند النوم ونحوه سواء كان في سراج أو غيره[٢]، ايطيب البعض أن يؤثث بيته بشموع كنوع من الزينة والتجديد أو يشعل ناراً للتدفئة، عن إبن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون»[٣].

السابع: مراعاة الطبائع.

جُبل الناس على طبائع شتى، فهذا غضوب وذاك هين لين وترى رجلاً شديداً بطبعه وآخر بطيء وأخر حساس حتى يصيب نفسه بالشكية والوسوسة، وكثيرة هي طبائع النفوس، فعلى الزوج والزوجة أن يراعيا طبائع بعضهما وإن أمكن حتى قبل الإقتران وإن لم يكن فمن باب وقاية الزوجية لا بد أن نقر بداية أن هناك طبائع في الآدميين والدليل على ذلك نصيحته ﷺ لمن بنى بزوجته أن يقول: «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها ومن شر ما جبلتها عليه»[٤]، وجبلت : أي طبعت، إذاً هناك طبائع خيرة وطبائع غير خيرة، فلا بد من مراعاتها وإلا حدثت المشكلات، ولهذا إمتنعت ليلى بنت الحطيم رضي الله عنها عن الزواج بالرسول ﷺ وقاية له من سوء طبيعتها، «عن عاصم بن عمر بن قتادة: قال: كانت ليلى بنت الحطيم وهبت نفسها للنبي ﷺ، فقبلها وكانت تركب بغولتها ركوباً منكراً وكانت سيئة الخلق، فقالت: لا والله لأجعلن محمداً لا يتزوج في هذا الحي من الأنصار والله لآتينه ولأهبن نفسي له، فأتت النبي ﷺ وهو قائم مع رجل من أصحابه، فما راعه إلا بها واضعة يدها عليه، فقال من هذا آكله الأسد، فقالت: انا ليلى بنت سيد قومها قد وهبت نفسي

---

(١) البخاري، فتح الباري، ٣٢٨٠، ٦/٤٨٨، كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده.

(٢) باب في رياض الصالحين/٦٠٢.

(٣) صحيح الجامع للألباني ٧٢٢٠.

(٤) رواه أبو داود كتاب النكاح باب في جامع النكاح رقم ١٨٤٥ وهو في صحيح أبي داود للألباني رقم ١٨٩٢.

لك، قال: قد قبلت، إرجعي حتى يأتيك أمري، فأتت قومها فقالوا: «أنت إمرأة ليس لك صبر على الضرائر، وقد أحل الله لرسوله ﷺ أن ينكح ما شاء فرجعت فقالت: إن الله قد أحل لك النساء وأنا إمرأة طويلة اللسان ولا صبر لي على الضرائر، واستقالته، فقال رسول الله ﷺ قد أقلتك»[1]. وحدث أن صحابية إشتكت إلى الرسول ﷺ تأخر زوجها المتكرر عن صلاة الفجر فقالت: «ولا يصلي صلاة الفجر حتى تطلع الشمس، ثم إستمع الرسول ﷺ إلى رد الزوج فقال: أما قولها إني لا أصلي حتى تطلع الشمس ، فإنا أهل بيت قد عرف لنا ذاك، لا نكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس، فعذره الرسول ﷺ لأنها من طبائع الرجل لا دليل ضعف إيمان، فقال: «فإذا استيقظتَ فصل»[2]، ولقد بوب البخاري في صحيحه فقال: «باب المداراة مع النساء»[3]، وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «واستوصوا بالنساء خيراً، فانهن خلقن من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرا»[4]، ففي الحديث الندب إلى المداراة لاستمالة النفوس وتألف القلوب وفيه سياسة النساء بأخذ العفو منهن والصبر على عوجهن وإن من رام تقويمهن فاته الإنتفاع بهن مع أنه لا غنى للإنسان عن إمرأة يسكن إليها ويستعين بها على معاشه، فكأنه قال: الإستمتاع بها لا يتم إلا بالصبر عليها»[5].

الثامن: الرضا والقناعة.

فضل الله عباده بعضهم على بعض لحكمة إقتضاها وقد فضل في الرزق والألوان والجمال وغيرها وحثنا على القناعة فقال ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس»[6]، ووصانا ﷺ بالرضا فقال: «وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس»[7]، وأمرنا ﷺ أن لا نرسل النظر إلى من فضلوا بالرزق فقال: «أنظروا إلى من أسفل منكم ولا تنظروا

---

(١) الطبقات الكبرى لإبن سعد ١٥١/٨.

(٢) رواه أبو داود كتاب الصوم باب المرأة تصوم بغير إذن زوجها رقم ٢١٠٢، وهو في صحيح أبي داود للألباني رقم ٢١٤٧ عن أبي سعيد.

(٣) البخاري، فتح الباري ٣١٤/١٠.

(٤) رواه البخاري، فتح الباري، ٥١٨٦، ٢١٥/١٠، كتاب النكاح باب الوصاة بالنساء.

(٥) فتح الباري لابن حجر ٢١٧/١٠.

(٦) رواه البخاري كتاب الرقاق رقم ٥٩٦٥ عن أبي هريرة.

(٧) رواه الترمذي أبواب الزهد رقم ٢٢٢٧ وهو في صحيح الترمذي للألباني ١٨٧٦ عن أبي هريرة.

إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله»[1]، وحث على نكاح البكر لأنها قنوعة فقال: «عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهاً وأنتق أرحاماً وأرضى باليسير»[2]، وأن المرأة الساخطة غير القنوعة لا تستقيم معها الحياة لذلك نصح نبي الله إبراهيم ﷺ إبنه إسماعيل ﷺ أن يفارق التي لا ترضى، ذلك أنه لما أدرك إسماعيل زوجوه امرأة منهم وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل إمرأته فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بشر في ضيق وشدة وشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك إقرئي عليه السلام وقولي له يغيّر عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل كأنه أنس شيئاً، فقال هل جاءكم من أحد فقالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهد وشدة، قال فهل أوصاك بشيء قالت نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول لك غيّر عتبة بابك، قال: ذاك أبي وأمرني أن أفارقك فالحقي بأهلك فطلقها، وتزوج منهم أخرى ولبث عنهم إبراهيم ما شاء، ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف أنتم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بخير وسعة وأثنت على الله فقال ما طعامكم قالت: اللحم قال: فما شرابكم قالت: الماء، قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء»[3].

التاسع: التعامل على أساس حسن الظن

إن التمادي في تفسير تصرفات الطرف الآخر على أساس سوء الظن يزرع الشقاق والخصومة والريبة، لذلك وقاية للزوجية من الإنهيار والإشكالات دعت السنة النبوية إلى إقامة العلاقة على حسن الظن وأغلقت التربية الإسلامية كل الأبواب المؤدية إلى إثارة الظنون وما يصاحبها عادة من سوء الظن ومن فورة وغياب للتفكير السديد لذلك بوب البخاري في صحيحه فقال: «باب لا يطرق أهله ليلا إذا أطال الغيبة مخافة أن يخونهم أو يلتمس عثراتهم» وساق في الباب حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ يكره أن يأتي الرجل أهله

(١) رواه مسلم كتاب الزهد والرقاق ٥٢٦٤ عن أبي هريرة.

(٢) رواه إبن ماجة كتاب النكاح رقم ١٨٥١.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١٤٦/١.

طروقاً»[1]، خوف أن يجد أهله على حالة غير مرضية والشرع محرض على الستر، ووقع في حديث محارب عن جابر «أن عبد الله بن رواحة أتى امرأته ليلاً وعندها امرأة تمشطها فظنها رجلاً فأشار إليها بالسيف فلما ذكر للنبي ﷺ نهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً، وفي الحديث التحريض على ترك التعرض لما يوجب سوء الظن بالمسلم»[2].

العاشر: النهي عن الدخول على المغيبة

نهى الرسول ﷺ الرجال عن الدخول على المرأة التي يكون زوجها غائباً، ونهى أن يدخلن رجالاً إلى بيوتهن والأزواج غائبون كما في قوله ﷺ: «إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحمو، قال: الحمو الموت»[3]، وعن جابر عن النبي ﷺ قال: «لا تلجوا على المغيبات، فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلت ومنك قال ومني ولكن الله أعانني عليه فأسلم»[4] والنهي عن الدخول على المغيبة شرع سداً للذرائع ودرءاً للمفاسد التالية:

١- الخلوة بقريب الزوج أكثر من الخلوة بغيره والشر يتوقع منه أكثر من غيره والفتنة به أمكن لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة بها من غير نكير عليه بخلاف الأجنبي، فكان لا بد من سد الباب على الحمو.

٢- الدخول على المرأة قد يفضي إلى موت الدين أو إلى موتها بطلاقها عند غيرة الزوج أو الى الرجم إن وقعت الفاحشة فكان وقاية من هذه المشكلات كلها النهي.

٣- الدخول على المغيبة: قد يفسد المغيبة إذا ربما حسن لها أشياء أو شوه لها صورة زوجها أو أحيا في ذهنها مقارنات مفسدة أو حملها على أمور تثقل الزوج من التماس ما ليس في وسعه فتسوء العشرة بين الزوجين.

---

(١) رواه البخاري، فتح الباري، ٥٢٤٣، ٤٢٥/١٠كتاب النكاح باب لا يطرق أهله ليلاً.

(٢) فتح الباري لإبن حجر ٤٢٦/١٠.

(٣) رواه الترمذي كتاب الرضاع باب في كراهية الدخول على المغيبات ١٠٩ عن عقبة بن عامر وهو في صحيح الترمذي رقم ٩٢٤.

(٤) رواه الترمذي كتاب الرضاع باب في كراهية الدخول على المغيبات رقم ١٠٩٢ وهو في صحيح الترمذي رقم ٩٢٥.

٤- في الدخول على المغيبة خرق لخصوصية الزوجية، فالزوج لعله لا يؤثر أن يطلع أحد على خصوصيات بيته وإن كان والد زوجته أو أخوها، فكيف بالغريب.

الحادي عشر: العدل

إن من أسباب السعادة العدل ومن أسباب الشقاء والمشكلات الظلم، وأولى المحاضن بالسعادة ويدفع الظلم عنها الزوجية ذلك أن أثرهما على الفورية على الزوجات والأولاد إن خيراً أو شراً وبغير العدل ينتفي في الغالب مقصود الشارع في الزوجية من سكن ومودة ومحبة، هذا وقد نبّه الشارع الحكيم في مسألة العدل لمن كان له نسوة إلى التالي:

١- التحذير من الظلم: عن أبي هريرة عن لنبي ﷺ قال: «من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل»(١).

٢- القسم بينهن بالتساوي: عن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ تسع فكان يقسم لثمان ولا يقسم لواحدة»(٢)، وعن أم سلمة أن رسول الله ﷺ لما تزوج أم سلمة أقام عندها ثلاثاً وقال انه ليس على أهلك هوان إن شئت سبعت لك وإن سبعت لك سبعت لنسائي»(٣).

٣- القرعة: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبي ﷺ تبتغي بذلك رضا رسول الله ﷺ»(٤).

٤- الإستئذان: «عن عائشة قالت: لما ثقل النبي ﷺ واشتد وجهه استأذن أزواجه في أن يمرض في بيتي فأذن له»(٥).

---

(١) رواه أبو داود كتاب النكاح باب في القسم بين النساء ١٨٢١. وهو في صحيح أبي داود للألباني، رقم ١٨٢١.

(٢) رواه مسلم كتاب الرضاع رقم ٢٦٦٠.

(٣) رواه مسلم كتاب الرضا رقم ٢٦٥٠.

(٤) رواه البخاري كتاب الهبة رقم ٢٤٠٤.

(٥) رواه البخاري كتاب الوضوء رقم ١٩١.

٥- المقصود بالعدل، في العطاء والمبيت إلا أن تهب ليلتها، واما في الحب والوقاع والميل العاطفي فذلك لا يدخل تحت الإختيار قال تعالى ﴿**ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم**﴾ أي في شهوة القلب وميل النفس، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل ويقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما لا أملك، قال أبو داود يعني القلب»[١].

الثاني عشر: إباحة الكذب

عن عائشة بنت يزيد قالت: قال رسول الله ﷺ لا يحل الكذب إلا في ثلاث، يحدث الرجل إمرأته ليرضيها والكذب في الحرب والكذب ليصلح بين الناس[٢] قال الطبري: «لا يجوز الكذب في شيء أصلاً، وما جاء من الإباحة في هذا المراد به التورية واستعمال المعاريض لا صريح الكذب، مثل أن يعد زوجته أن يحسن إليها ويكسوها كذا وينوي إن قدر الله ذلك وحاصله أن يأتي بكلمات محتملة يفهم المخاطب منها ما يطيب قلبه».[٣]

---

(١) رواه أبو داود كتاب النكاح رقم ١٨٢٢.

(٢) رواه الترمذي كتاب البر والصلة باب ما جاء في إصلاح ذات البين رقم ١٨٦٢ وهو في صحيح الترمذي للألباني رقم ١٥٨٢.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٨/٤٠٤.

الفصل الرابع

أساليب علاج المشكلات الزوجية

تمهيد

رأينا في الفصول السابقة مدى إهتمام المنهج الإسلامي بتنظيم الحياة الزوجية وضبط الأمور فيها وتوزيع الإختصاصات وتحديد الحقوق والواجبات وبيان الإجراءات الضابطة للزوجية والمحافظة عليها من زعازع الأهواء والإشكالات ووقايتها من عناصر التهديم والتدمير جهد المستطاع، فكان مما شرع لذلك وقائيات تقي الزوجية مصارع السوء عملاً بمبدأ حسن الإبتداء يقي مصارع الإنتهاء، فكانت التوجيهات بحسن الإختيار وإستحباب النظر وعدم الإكراه على الزواج والإستخارة والإستشارة وحل الشروط والستر عما سلف والتوعية الشرعية والفحص الطبي والتقليل من التكاليف وعدم إثارة الشهوات وحسن العشرة والمحافظة على كرامة الزوجية والإلتزام بالأذكار الواردة ومراعاة الطبائع والرضا والقناعة والعدل الى غير ما هنالك من ضمانات أولية تندرج في الأساليب الواقية من المشكلات الزوجية، إلا أن المنهج التربوي الإسلامي في التعامل مع المشكلات الزوجية لا يقف عند حد الوقائيات بل يشملها مع الشطر الآخر منه وهي الأساليب العلاجية، وبهما يتكامل المنهج، ذلك لما قد تقرر أن كل تجربة بشرية معرضة للخطأ لا محالة، والله خالق الإنسان عالم بحتمية وقوعه في الخطأ في كل جوانب حياته ومنها حياته الزوجية فشرع له الشفاء والدواء، فقد يصير أن تهمل الوقايات أو يجهلها أو يتجاهلها آخرون أو يؤخذ ببعضها دون بعض مما يسبب حدوث الإضطرابات الزوجية، فكانت الأساليب العلاجية كدواء رباني للأمراض الزوجية... **﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾**.(١)

إن المنهج التربوي الإسلامي تعرض لإساءة بالغة مما شوهت صورته وزهدت الناس في جدواه، وهذه الإساءة كانت من عدة جهات منها:

---

(١) سورة الشعراء، آية ٨٠.

أولاً: وسائل الإعلام: المقروءة والمسموعة من خلال ما تبثه من أفكار تطعن في المنهج التربوي كالتحامل على أسلوب الهجر والضرب وسوء عرض لهما والتصريح بإعتبارهما إهداراً لكرامة المرأة.

ثانياً: الممارسات الخاطئة لكثير من المسلمين في علاج مشكلاتهم وإن كانت بطرق منصوص عليها إلا أنهم خالفوا الصورة التي يجب أن تؤدى بها.

ثالثاً: إعتماد العادات والتقاليد الموروثة التي لا تمت إلى الإسلام بصلة في علاج المشكلات الزوجية وتصويرها على أنها من المنهج التربوي الإسلامي والأمر ليس كذلك.

رابعاً: قصور المناهج التعليمية والمحاضن التربوية الرسمية منها والأهلية في أداء دورها تربية وتعليماً فيما يخص إحياء الزوجية على المنهج التربوي وقاية وعلاجاً مما أدى إلى التخبط والإساءة.

خامساً: سوء التعامل مع فقه الأحوال لشخصية الذي أدى إلى تصدير قوانين بدون مراعاة لمقاصد الشريعة من الزوجية ولطبيعتها ولفقه المنهج التربوي المعالج للمشكلات.

سادساً: إهمال أعلام الفكر التربوي الإسلامي المعاصرين للزوجية وذلك بعدم صياغة المنهج التربوي صياغة تتسم بإعتماد النصوص أولاً ثم بالواقعية ثانياً ومراعاة المقاصد ثالثاً، وإنصراف كثير من أهل العلم إلى طروحات وفعاليات أخرى متذرعين بفقه الأولويات مع أنه يلزمهم الإعتناء بحسن التعامل مع المشكلات ومن أخطرها الزوجية.

إن الحديث عن سمات العلاج من شأنه أن يوضح الصورة عن المنهج التربوي الإسلامي، ويزيل اللبس والإساءة التي تعرضت لها الأساليب العلاجية، ومن أهم سمات الأساليب العلاجية أنها إجراء وقائي وأنها إصلاحية الهدف ومتدرجة ومنصفة.

المبحث الأول

سمات الأساليب العلاجية

الأولى: إجراء وقائي

إن المعايشة الزوجية تتيح لعناصرها التعرف على أدق حقائق الآخر وعلى التطورات الطارئة الصالحة أو الناشزة، مما يوجب عند البوادر الخيرة المشاركة والتشجيع وعند البوادر الناشزة إتخاذ إجراء وقائي، أما التذرع ببعض الحيل النفسية في عدم التفاعل مع المستجدات من شأنه أن يعمق المشكلة وأن تعلن راية العناد والعصيان «وتنقسم المؤسسة إلى معسكرين، فالعلاج حين ينتهي الأمر إلى هذا الوضع قلما يجدي ولا بد من المبادرة في علاج مبادىء النشوز قبل إستفحاله لأن مآله إلى فساد في هذه المنظمة الخطيرة لا يستقر معه سكن ولا طمأنينة ولا تصلح معه تربية ولا إعداد للناشئين في المحضن الخطير ومآله بعد ذلك إلى تصدع وإنهيار ودمار للمؤسسة كلها وتشرد للناشئين فيها أو تربيتهم بين عوامل هدامة مفضية إلى الأمراض النفسية والعصبية والبدنية والشذوذ».[1] لهذا كان التعبير القرآني في قوله تعالى: ﴿**واللاتي تخافون نشوزهن**﴾،[2] وفي قوله سبحانه: ﴿**وإن إمرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضاً**﴾،[3]. واصفاً بذلك العلاج بأنه إجراء وقائي منذ اللحظة الأولى التي تظهر فيها بوادر النشوز، فكم من مشكلة تبدأ تافهة أو غير معقدة أو فردية أو سهلة العلاج ولكنها تهمل أو يسوف علاجها أو ينشغل عنها الجميع فتستفحل ويصعب العلاج فيكون الإنهيار.

السمة الثانية: انه علاج إصلاحي

إن التعامل مع النصوص بنفس ظاهري من المخالفات التي أودت بالزوجية وشوهت

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢/٦٥٢.

(٢) سورة النساء آية ٣٤.

(٣) سورة النساء آية ١٢٨.

صورة العلاج الشرعي، ذلك أن بعض القوم يأخذ من آية العلاج فقراته من دون نظر إلى مقصد الشارع من أنواع العلاج ولا الصورة التي يجب أن تؤدى بها، فيأخذ الفقرات الثلاث بنفس مشحون بفهم خاطيء للقوامة فيدفعه ذلك إلى الإنتقام والإهانة والتعذيب والتسلط وتحطيم رأس المرأة وردها إلى القطيع إذا شذت عن القافلة واذا أضفنا إلى ذلك ما تراكم في الأذهان وترسب عبر تربية طويلة من سوء معاملة المرأة وعدها من سقط المتاع فيكون معنى ﴿فعظوهن﴾،[1] الصراخ عليهن وإسماعهن كلاماً لا يليق وتجريحاً وسباباً وشتماً مع التذكير بالسوابق وإتباع الوعظ بالمن والأذى، ويكون معنى ﴿واهجروهن في المضاجع﴾،[2] النظر إلى الأخريات والتهديد بالتعدد والهجر بصورة لا تعالج بل تعمق المشلكة وتثير قنابل موقوتة، أما قوله ﴿واضربوهن﴾،[3] فهو المجال لإظهار القوامة فيكون الضرب بكل قوة وبكل وسيلة متاحة أمامه بالأيدي والأرجل بالعصا أو الحديد وأمام الناس أو الأطفال وفي المناسبات السعيدة وفي مرحلة الحمل، لا اكتراث فقد قال تعالى ﴿واضربوهن﴾، إن التربية الإسلامية تهدف من وراء تشريع العلاج الإصلاح ورأب الصدع لإعادة الزوجية لوضعها الطبيعي لتحقيق غاياتها من إشاعة المودة والرحمة وصيرورتها سكناً للرجل والمرأة والذرية والمجتمع، أما إذا عد العلاج إذلالاً وتحكماً وقهراً أفضى ذلك إلى تعميق المشكلة وزرع الحقد والبغض والعناد مما يضيق فرص العلاج والتوافق ويشعر بأن العلاج هو في الحقيقة إعلان المعركة بين الرجل والمرأة، ثم مجتمع الرجال على مجتمع النساء ومجتمع النساء على مجتمع الرجال، ولذلك نبه الله إلى عدم تجاوز الحدود فقال سبحانه ﴿فإن اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان علياً كبيراً﴾،[4] قال المفسرون «فان تركوا النشوز فلا تجنوا عليهن بقول أو فعل وهذا نهي عن ظلمهن بعد تقرير التمكين من أدبهن وأشار إلى الأزواج بخفض الجناح ولين الجانب، أي إن كنتم تقدرون عليهن فتذكروا قدرة الله فلا يستعلي أحد على امرأته فالله بالمرصاد».[5]

---

(١) سورة النساء آية ٣٤.

(٢) سورة النساء آية ٣٤.

(٣) سورة النساء آية ٣٤.

(٤) سورة النساء آية ٣٤.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/١٧٢.

السمة الثالثة: التدرج

حددت التربية الإسلامية مجموعة إجراءات لعلاج بوادر النشوز إلا أن هذه الإجراءات تتسم بالتدرج كما في الآية، قال تعالى: ﴿**والتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً**﴾.[١] قال ابن عباس: «يعظها، فان قبلت وإلا هجرها فإن إستقامت وإلا ضربها»،[٢] وقال سعيد بن جبير: «الحكم أن يعظها أولاً فإن قبلت وإلا هجرها فإن هي قبلت وإلا ضربها فإن هي قبلت وإلا بعث الحاكم حكماً من أهله وحكماً من أهلها»،[٣] وقال الحسن البصري: «إذا نشزت المرأة على زوجها وعظها وذكرها فإن رجعت إلى ما يجب فذاك وإن لم تفعل هجرها في المضجع وإن رجعت فذاك وإن لم تفعل ضربها فإن رجعت إلى ما يجب فذاك».[٤] وقال إبن الجوزي : «قال جماعة من أهل العلم الآية على الترتيب فالوعظ عند خوف النشوز والهجر عند ظهور النشوز والضرب عند تكرره واللجاج فيه ولا يجوز الضرب عند إبتداء النشوز»،[٥] وقال الغزالي: «ينبغي أن يتدرج في تأديبها وهو أن يقدم أولاً الوعظ والتحذير والتخويف فإن لم ينجح ولاها ظهره في المضجع فإن لم ينجح ذلك فيها ضربها ضرباً غير مبرح»،[٦] وقال الرازي: «وبالجملة فالتخفيف مراعى في هذا الباب على أبلغ الوجوه والذي يدل عليه أنه تعالى إبتدأ بالوعظ ثم ترقى منه إلى الهجران في المضاجع ثم ترقى منه إلى الضرب وذلك تنبيه يجري مجرى التصريح في أنه مهما حصل الغرض بالطريق الأخف وجب الإكتفاء به ولم يجز الإقدام على الطريق الأشق وهذه طريقة من قال: حكم هذه الآية مشروع على الترتيب فإن ظاهر اللفظ وإن دل على الجمع إلا أن فحوى الآية يدل على الترتيب»،[٧] وهكذا نرى أن جل العلماء على وجوب التدرج في علاج المشكلات الزوجية لما في التدرج من فوائد جمة منها:

---

(١) سورة النساء آية ٣٤.

(٢) تفسير الطبري ٤١/٥.

(٣) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ١٧٥/٥.

(٤) سعيد بن منصور ٣٢٩/١/٣.

(٥) زاد المسير لإبن الجوزي ١٢١/٢.

(٦) إحياء علوم الدين للغزالي ٤٩/٢.

(٧) محاسن التأويل للقاسمي ١٣٤/٥.

١- في التدرج مراعاة لتفاوت النفوس، لذا لا يصح التعامل مع الجميع بإجراء واحد، فالبعض يجدي فيه الوعظ والتذكير بأمر الله وإرشادت الرسول ﷺ ويؤثر فيه الخطاب بلغة الترغيب والترهيب، إلا أن نفوساً لا تجدي معها الموعظة وإن أدرك المعالج عدم جدوى الموعظة لطول عشرة تتيح التعرف على الطبائع لا يبرر له ذلك عدم الوعظ آخذاً بالقاعدة القرآنية ﴿**معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون**﴾،[1] وعدم جدوى الموعظة إما «لأن هناك هوى غالباً أو إنفعالاً جامحاً أو إستعلاء بجمال أو بمال أو بمركز عائلي أو بأي قيمة من القيم تنسي الزوجة أنها شريكة في مؤسسة وليست نداً في صراع و مجال إفتخار وهنا يجيء الإجراء الثاني»[2] وهو ﴿**واهجروهن في المضاجع**﴾،[3] ذلك أن أمضى أسلحة المرأة أنوثتها وإستعلاؤها بشدة تعلق الزوج بها وصيرورته عند المباضعة ملتصقاً بها منبسطاً في الدعابة حتى يصل البعض إلى حد إسقاط هيبته بالكلية وهنا تحتاج هذه النفسية الناشزة إلى علاج يناسب تعاليها فكان هجر أنوثتها وهذا يجدي مع الكثيرات، إلا أن نفوساً لا تكترث بالهجر ولا يفلح معها إلا الضرب فكان التشريع ﴿**واضربوهن**﴾، لما في الضرب من لفتة إلى شدة غضب الزوج وكبر جريرة المرأة ثم أن نفوساً تحسن الإستماع إلى الآخرين أكثرمن الأقربين وتستنصح الحكماء والعقلاء وتتقبل فكان لهذه النفوس علاجاً كما في قوله تعالى ﴿**فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من اهلها**﴾،[4] قال الغزالي «فإذن فيهن -يعني الزوجات- شر وفيهن ضعف، فالسياسة والخشونة علاج الشر، والمطايبة والرحمة علاج الضعف، فالطبيب الحاذق هو الذي يقدر العلاج بقدر الداعي فلينظر الرجل أولاً إلى أخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها».[5]

٢- التدرج يعني عدم الإستسلام واليأس أمام المشكلات لأن الإستسلام يعني الإنهيار وهو في الغالب يقضي إلى إنهاء عقدة النكاح وتدمير الزوجية فكان التشريع بالوعظ والإرشاد

(١) سورة لأعراف آية ١٦٤.
(٢) في ظلال القرن، سيد قطب، ٢/٦٥٤.
(٣) سورة النساء آية ٣٤.
(٤) سورة النساء آية ٣٥.
(٥) إحياء علوم الدين، للغزالي، ٢/٤٥.

والترهيب والترغيب فإن لم يجد فلا إستسلام بل إستعمال إسلوب أخر وهو الهجر وفق ضوابطه فالمرأة تحن إلى رجلها وتحتاجه لفوائد نفسية وجنسية فإن لم يجد فلا إستسلام بل الضرب وفق ضوابطه، فإن لم يجد فحكم من أهله وحكم من أهلها، وكل هذه الوسائل تستغرق وقتاً والزمن جز من العلاج ولعل تراكم الوسائل أن يُؤثر في جملتها على الناشز فإن لم تجد الوسائل الماضية جميعها فلا حاجة إلى بقاء الزوجية فشرع الفراق.

٣- بعض الرجال يميلون إلى الوعظ وإن لم يكن ثم نشوز لكل شاردة وواردة وصغيرة وكبيرة واعتماده الأسلوب الأوحد في تربية الزوجة مما يسقط على المدى أثر وعظه، فإن كان ثم نشوز ما كان لوعظه أدنى أثر ولكنه في المقابل يصعب عليه الهجر والضرب وعليها لعدم اعتيادها منه ذلك مما يجعل هذا التدرج المتنوع يؤتي أكله فإن هجر أو ضرب كان لهما أكبر الأثر والبعض ضعيف الشهوة أو حاجته إليها لفترات متباعدة أو مضاجعته لها تحكمه ظروف السفر أو الأعمال فالهجر لا يشعر الناشز بفقد شيء لذا شرع الوعظ والضرب لأمثاله، والبعض ميال بطبعه إلى الضرب وهكذا مع مر الأيام لا ترى للضرب معنى لتعودها ذلك منه فكان الوعظ والهجر والحكم المصلح أقوى تأثيراً، ولا يعني ما أقول تجاوز ما طبع عليه الإنسان ولكن ألفت النظر إلى أن التدرج يتيح العلاج المناسب لخلفية الحياة الزوجية.

السمة الرابعة: الإنصاف

إن التربية الإسلامية لا تنظر إلى المشكلات الزوجية على أن المرأة مسببتها الأوحد، بل قد ترد المشكلات من الرجل كما أنها ترد من المرأة، قال تعالى: **﴿وإن إمراة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضا﴾**،[1] وقال سبحانه: **﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾**،[2] وكما أرشد الرجل إلى الوعظ والهجر والضرب والحكم من أهله لعلاج نشوز المرأة أرشد المرأة إلى الوعظ أيضاً، عملاً بعمومية وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الرجال والنساء، فعلى المرأة إن رأت

---

(١) سورة النساء آية ١٢٨.

(٢) سورة النساء آية ٣٤.

في زوجها إنحرافاً أو بوادر تدمير للزوجية أن تعظ زوجها وتأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، بل حث الرسول ﷺ المرأة أن تكون مبادرة لإرشاد زوجها من ذلك قوله ﷺ «رحم الله إمرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فإن أبى رشت في وجهه الماء».(١) وأباح الإسلام للمرأة أن تهجر فراش زوجها إن خافت على نفسها وجنينها من الأمراض نتيجة إنحراف زوجها لأن من أسمى مقاصد الزواج حفظ النسل فإذا كان سبباً لتدمير النسل لإنحراف الزوج وكان الهجر سبباً لحفظ النسل جاز ذلك للمرأة بإتفاق أهل العلم.

إن التربية الإسلامية تقر إحتمالية الخطأ والنشوز في الرجل والمرأة فتنصف، فلا تستمع إلى طرف واحد وتصدر حكمها ولكن من الإنصاف الإستماع إلى الطرفين لأن الإنسان في الغالب يذكر محاسنه ولا يذكر مساوءه ثم يذكر في غيره المساوىء ولا يذكر المحاسن، خاصة في موقف القضاء والإنتصار للنفس، ثم هو يهون نشوزه ويضخم نشوز غيره وعند الإستماع إلى الطرفين تنجلي الصورة، قال تعالى **﴿وهل اتاك نبا الخصم إذ تسوروا المحراب، إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط، إن هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه﴾**.(٢) وهكذا أحس سيدنا داود ﷺ بأثر عدم الإستماع إلى الخصمين فاستغفر ربه، وهكذا نرى في السيرة في غير ما موقف يستمع ﷺ إلى الزوج والزوجة حال خلافهما ثم يصدر قراره، ومن الإنصاف أن فتح الإسلام المجال للمرأة أن تدافع عن نفسها إذا اتهمها زوجها بتهمة الزنا قال تعالى **﴿الذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ويدرؤا عنها العذاب ان تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾**.(٣)

---

(١) رواه ابن ماجة، كتاب إقامة الصلاة، رقم ١٢٢٦ وهو في صحيح ابن ماجة للالباني رقم ١٠٩٩.

(٢) سورة ص الآيات: ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤.

(٣) سورة النور آية ٦.

وقبل الشروع في بيان الأساليب أوضح معنى النشوز «المرأة النشوز: هي المرتفعة عن موافقة زوجها»،[1] و«النشوز: العصيان وتعاليهن عما أوجب الله عليهن من طاعة الأزواج»[2] وقال أبو منصور اللغوي: «النشوز: كراهية كل واحد من الزوجين صاحبه»،[3] وقال الواحدي: «النشوز ههنا معصية الزوج وهو الترفع عليه بالخلاف».[4] وقال عطاء: «النشوز هو ألا تعطر له وتمنعه نفسها وتتغير عما كانت تفعله من الطواعية».[5] وقال إبن قتيبة: «النشوز بغض المرأة للزوج».[6] وقال إبن كثير: «المرأة الناشز هي المرتفعة على زوجها التاركة لأمره المعرضة عه المبغضه له».[7] وقال إبن قدامة: «النشوز: معصية الزوج فيما فرض الله عليها من طاعته فمتى أظهرت من أمارات النشوز مثل أن تتثاقل وتدافع إذا دعاها ولا تصير إليه إلا بتكره ودمدمة فإنه يعظها».[8]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/٢٩٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/١٧٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/١٧١.

(٤) الكبائر للذهبي، ١٨٦.

(٥) الكبائر للذهبي، ١٨٦.

(٦) زاد المسير لإبن الجوزي ٢/١٢٠.

(٧) تفسير القرآن العظيم، لإبن كثير، ٤٩٢/١.

(٨) المغني لإبن قدامة.

المبحث الثاني
الأساليب العلاجية

أولاً: الأساليب العلاجية المباشرة الواردة في القرآن:

الأسلوب الأول: الوعظ: إن نصوص القرآن تشير إلى أهمية الموعظة كواجب أولي على رب الأسرة للتهذيب في كل الأحوال قال تعالى مادحاً نبيه إسماعيل ﷺ في وعظه أهله: ﴿**وكان يامر اهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا**﴾.[1] وأمر نبيه محمداً ﷺ أن يعظ أهله فقال ﴿**وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها**﴾،[2] وبالعموم فإن الواجب على رب الأسرة العمل على وقاية الأهل من نتائج السوء ومن الوقايات الوعظ، قال تعالى ﴿**يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾،[3] وتتأكد ضرورة الوعظ في الأزمات والمشكلات الزوجية قال تعالى: ﴿**واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن**﴾،[4] وأكد على ذلك الرسول ﷺ فعن أبي حرة الرقاشي عن عمه قال: قال رسول الله ﷺ: «فإن خفتم نشوزهن فعظوهن»،[5] وعن لقيط بن صبرة أنه قال للنبي ﷺ: «إن لي إمرأة وإن في لسانها شيئاً يعني البذاء، قال فطلقها إذاً، قال: قلت يا رسول الله إن لها صحبة ولي منها ولد، قال فمرها، يقول عظها فإن يك فيها خير فستفعل»[6] ومعنى قوله ﴿فعظوهن﴾ أي بكتاب الله أي ما أوجب الله عليهن، من حسن الصحبة وجميل العشرة للزوج والإعتراف بالدرجة التي له عليها.[7] وقال الخليل: الوعظ: التذكير بالخير فيما يرق له القلب.[8]

(١) سورة مريم آية ٥٥.

(٢) سورة طه آية ١٣٢.

(٣) سورة التحريم، آية ٦.

(٤) سورة النساء آية ٣٤.

(٥) رواه أحمد، مسند البصريين رقم ١٩٧٧٤.

(٦) رواه أبو داود، كتاب الطهارة، باب في الإستنثار، رقم ١٢٢، وهو في صحيح أبي داود للألباني، رقم ١٢٩.

(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/١٧١.

(٨) زاد المسير لابن الجوزي، ٢/١٢٠.

ومن الوعظ التذكير بقوامة الرجل لقوله تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض﴾،(1) والتذكير بعظم حق الرجل على المرأة فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ولو أن رجلاً أمر إمرأة أن تنقل من جبل أحمر إلى جبل أسود ومن جبل أسود إلى جبل أحمر لكان نولها أن تفعل».(2) ومن الوعظ التحذير من شدة العذاب يوم القيامة، عن عمر بن الحارث بن المصطلق قال: «كان يقال أشد الناس عذاباً يوم القيامة إثنان إمرأة عصت زوجها وإمام قوم وهو له كارهون».(3) وأن الصلاة وهي عمود الدين وأول ما يسأل عنه الإنسان يوم القيامة لا ترتفع لمن أسخطت زوجها: عن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم، العبد الآبق حتى يرجع وإمرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وإمام قوم وهم له كارهون:(4) ومن وعظ المرأة لفت نظرها إلى إستحقاقها اللعنة إذا غضب عليها زوجها، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتهاالملائكة حتى تصبح.(5) ومن الموعظة التذكير بما رواه معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ: «لا تؤذي امرأة زوجها إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل أوشك أن يفارقك إلينا».(6) ومن الوعظ التحذير من النشوز لأنه من كبائر الذنوب، قال إبن القيم: «ومن الكبائر نشوز المرأة على زوجها»،(7) وعد الإمام الذهبي «الكبيرة السابعة والأربعين: نشوز المرأة على زوجها».(8)

---

(1) سورة النساء آية ٣٤.

(2) رواه إبن ماجة، كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة، رقم ١٨٤٢ وهو في صحيح ابن ماجة للألباني رقم ١٥٠٢.

(3) رواه الترمذي، كتاب الصلاة باب ما جاء فيمن أم قوماً وهم له كارهون رقم ٣٢٧، وهو في صحيح الترمذي للألباني رقم ٢٩٤.

(4) رواه الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء فيمن أم قوماً وهم له كارهون، رقم ٣٢٨ وفي صحيح الترمذي للألباني، رقم ٢٩٥.

(5) رواه أبو داود، كتاب النكاح، باب في حق الزوج على المرأة رقم ١٨٢٩ وهو في صحيح أبي داود للألباني رقم ١٨٧٤ وقال الشطر الأول منه صحيح.

(6) رواه إبن ماجة كتاب النكاح باب في المرأة تؤذي زوجها، رقم ٢٠٠٤ وهو في صحيح إبن ماجة للألباني ١٦٢٧.

(7) إعلام الموقعين لإبن القيم الجوزية، ٤٠٢/٤.

(8) الكبائر للذهبي، ١٨٦.

إن للموعظة أثر بالغ في النفوس خصوصاً إذا وافقت صدقاً من واعظ أهله، قال عمر بن ذر لأبيه: «يا أبت مالك إذا تكلمت أبكيت الناس وإذا تكلم غيرك لم يبكهم، فقال يا بني: ليست النائحة الثكلى، كالنائحة المستأجرة»، وإذا إنضاف إلى الصدق إجادة تنويع أساليب الوعظ من ترغيب وترهيب وتذكير وثناء وإحياء للضمير وإيقاظ من غفلة، فلعل إسلوباً منها أن يوافق ساعة يقظة أو أن يطابق هوى ومزاجاً، فيأتي أكله، وفي حسن التوقيت فاعلية في الوعظ والإرشاد فلكل مقام مقال، ومما يوضح أثر الموعظة ما قاله العرباض بن سارية: «وعظنا رسول الله ﷺ يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب»[1] ومن الضرورة بمكان الإلتفات إلى أمور مهمة حال وعظ الرجل أهله:

الأول: عدم الإكثار من الوعظ خشية سقوط أثره وذهاب روعته لكثرة التعود عليه فالغالب أن الإنسان لا يلتفت إلى المألوف خصوصاً إذا كان واعظ أهله يغلب عليه إصدار الأوامر في وعظه والتخول في الموعظة كان من خُلقه ﷺ فعن إبن مسعود قال: «كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا»[2] التخول: إختيار الوقت المناسب للموعظة.

الثاني: الأمر بوعظ الناشز لا يعني إباحة الإرغاء والأزباد والصراخ والسب والتجريح والمن ونبش السوابق.

الثالث: قد لا يتحقق هدف الوعظ إذا جاء من الزوج لسوء العلاقة مثلاً، فلا بأس أن يكون من أهل العلم وبتنسيق الزوج ولو مهاتفة أو بدعوتها إلى محاضرة يكون فيها الوعظ للناشزات، فالبعض وبالأخص النساء من فرط إحترامهن وتقديرهن لأهل العلم يتقبلن منهم مالاً يتقبلنه من غيرهم ولا بأس من الإستماع إلى الأشرطة التسجيلية لما لها من أثر مشاهد معلوم.

الرابع: لا أخال الوعظ في الآية يقتصر على تناول مظاهر نشوز المرأة بل قد يكون التذكير بالله وبرسوله ﷺ وبالنعيم والجحيم أثر في تغيير السلوك وتراجع المرأة عن نشوزها.

---

(١) رواه الترمذي أبواب العلم، باب الأخذ بالسنة وإجتناب البدعة رقم ٢٦٠٠ وهو في صحيح الترمذي للألباني رقم ٢١٥٧.

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم رقم ٦٦.

ومن أمثلة وعظ الآباء بناتهم ما أدرجه البخاري في صحيحه في باب «موعظة الرجل لابنته لحال زوجها».[1] ما كان من عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وعظه إبنته حفصة أم المؤمنين زوج النبي ﷺ: فدخلت على حفصة فقلت لها: أي حفصة أتغاضب إحداكن النبي ﷺ اليوم حتى الليل، قالت: نعم، قلت: قد خبت وخسرت، أفتأمني أن يغضب الله لغضب رسول الله ﷺ فتهلكي، لا تستكثري النبي ﷺ ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه، وسليني ما بدا لك ولا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي ﷺ يريد عائشة.[2]

وعن أنس قال «كان للنبي ﷺ تسع نسوة فكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلا في تسع فكن يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها فكان في بيت عائشة فجاءت زينب فمد يده إليها، فقالت هذه زينب فكف النبي ﷺ يده فتقاولتا إستخبا وأقيمت الصلاة فمر أبو بكر على ذلك فسمع أصواتهما فقال أخرج يا رسول الله إلى الصلاة واحث في أفواههن التراب فخرج النبي ﷺ فقالت عائشة يقضي النبي ﷺ صلاته فيجيء أبو بكر فيفعل بي ويفعل فلما قضى النبي ﷺ صلاته أتاها أبو بكر فقال لها قولاً شديداً وقال: أتصنعين هذا».[3] وعن عمر بن الخطاب قال لما اعتزل نبي الله نساءه قال: دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون: طلّق رسول الله ﷺ نساءه وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب، فقال عمر، فقلت: لأعلمن ذلك اليوم قال فدخلت على عائشة فقلت يا بنت أبي بكر أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله ﷺ فقالت: ما لي ومالك يا ابن الخطاب عليك بعيبتك، قال: فدخلت على حفصة بنت عمر فقلت لها: يا حفصة أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله ﷺ والله لقد علمت أن رسول الله ﷺ لا يحبك ولولا أنا لطلقك رسول الله ﷺ، فبكت أشد البكاء».[4]

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ٨٤، فتح الباري لإبن حجر ٢٤٧/١٠.

(٢) رواه البخاري كتاب النكاح، باب موعظة الرجل إبنته لحال زوجها ٥١٩١ فتح الباري ٢٤٧/١٠.

(٣) رواه مسلم، كتاب الرضاع، باب القسم بين الزوجات رقم ٢٦٥٦.

(٤) رواه مسلم، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء وإعتزال النساء وتخييرهن، رقم ٢٧٠٤.

الأسلوب الثاني: الهجر

شرع الله الهجر كعلاج للمرأة الناشز بعد إستفراغ الجهد في محاولة العلاج بالموعظة فإن لم تجد لغلبة طبع أو طغيان هوى أو لشدة جموح أو لإعتداد بحسب ونسب أو إستكبار وإستعلاء بجمال تجعل معها العظة غير مجدية فكان الإسلوب الثاني للعلاج الهجر قال تعالى: ﴿واهجروهن في المضاجع﴾،[1] للإشعار بدنوها فهو لا يعيرها إهتماماً إذ يهجر قمة اللذة معها ويستدبر أنوثتها ويشعرها بالتعالي على كل مقاييسها غير الشرعية والتي صدتها عن سماع العظة والتأثر بها، «والمضجع موقع الإغراء والجاذبية التي تبلغ فيها المرأة الناشز المتألية قمة سلطانها، فإذا إستطاع الرجل أن يقهر دوافعه تجاه هذا الإغراء فقد أسقط من يد المرأة الناشز أمضى أسلحتها التي تعتز بها وكانت في الغالب أميل إلى التراجع والملاينة أمام هذا الصمود من رجلها وأمام بروز خاصية قوة الإرادة والشخصية فيه في أحرج مواضعها»[2] وذهب العلماء في المراد بالهجر مذاهب متعددة منها:

ما قاله إبن الجوزي: «إختلفوا في المراد بالهجر في المضجع على أربعة أقوال:

أحدها: أنه ترك الجماع، قاله ابن عباس وإبن جبير ومقاتل.

والثاني: أنه ترك الكلام لا ترك الجماع قاله ابن عباس وعكرمة والسدي والثوري.

والثالث: أنه قول الهُجر من الكلام في المضاجع.

والرابع: أنه هجر فراشها ومضاجعها».[3]

وقال القرطبي: «والهجر في المضاجع هو أن يضاجعها ويوليها ظهره ولا يجامعها، وقيل من الهُجر وهو القبيح من الكلام أي غلظوا عليهن في القول وضاجعوهن للجماع وغيره»،[4] و «قيل: أي شدوهن وثاقاً في بيوتهن من قولهم هجر البعير أي ربطه بالهجار وهو حبل يشد به

---

(١) سورة النساء آية ٣٤.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢/٦٥٤.

(٣) زاد المسير لإبن الجوزي ٢/١٢١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/١٧١.

البعير»،[1] قلت: إن القصد من الهجر علاج الناشز لا الإنتقام منها ولا تعميق المشكلة فيصح من باب التأديب والعلاج والإحساس بعدم الارتياح من الزوج أن يهجر بمعنى عدم المجامعة وترك الكلام وذلك بضوابطهما وغير ذلك لا يصح أن يكون معنى الهجر، كقول البعض «شدوهن وثاقاً في البيت» وكقول آخرين «قول الهجر والقبيح من الكلام» فإن المرأة الناشز إذا قيدت في البيت كالناقة زادها ذلك عناداً ونشوزاً وحقداً وبغضاً لا علاجاً ودواءاً وارجاعاً للزوجية إلى صفائها، وأوجب الرسول ﷺ ابتداءاً رضا المرأة لصحة الزواج فكيف يصح بعد ربط المرأة وتوثيقها لتتابع الزوجية، ثم الله نهى المؤمن عن التلفظ بقبيح الكلام حتى مع أعدائه فكيف يباح ذلك لأقرب الناس إليه زوجه وأم أولاده بل حرم الإسلام سب الحيوان فكيف يباح ذلك في الزوجة.

إن التربية الإسلامية حددت ضوابط للهجر ليؤتي أكله وحتى لا ينعكس على ضده منها:

١- ألا يكون هجران في الكلام لأكثر من ثلاثة أيام لورود النهي عن ذلك، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام»[2]، وغير هذا النهي فإن في المبالغة في هجران الكلام سقوط معناه وعناد الزوجة والاتصاف بصفة نفاق لقوله ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر»[3] قوله فجر: تجاوز الحد في الخصومة، إلا أن بعض أهل العلم ذهب إلى أن «الهجر غايته عند العلماء شهر كما فعل النبي ﷺ»[4] لحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «فاعتزل النبي ﷺ نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعاً وعشرين ليلة، وكان قال: ما أنا بداخل عليها شهراً من شدة موجدته عليها حين عاتبه الله عز وجل فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة فبدأ بها فقالت

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧٢/٥.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب، رقم ٥٦٠٥.

(٣) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب رقم ٣٣، من حديث عبد الله بن عمرو.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧٢/٥.

له عائشة: يا رسول الله إنك كنت أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدها عداً فقال: الشهر تسع وعشرين ليلة، فكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين ليلة»[1]، قلت: الرسول ﷺ هجر نساءه ثلاثة أيام ذلك أن له تسع أزواج فهجر كل واحدة ثلاثة أيام يعني سبعة وعشرين يوماً وكانت عنده مارية وهي أمة وهجرها يومان فتم بذلك تسعة وعشرين يوماً، قال ابن حجر: «ومن اللطائف أن الحكمة في الشهر مع أن مشروعية الهجر ثلاثة أيام أن عدتهن كانت تسعة فإذا ضربت في ثلاثة كانت سبعة وعشرين واليومان لمارية لكونها كانت أمة فنقصت عن الحرائر والله أعلم».[2]

٢- ألا يكون الهجر خارج بيت الزوجية وإنما كما قال الرسول ﷺ: «ولا تهجر إلا في البيت»[3]، قال ابن عباس: «الهجر هو ألا يجامعها ويضاجعها على فراشها يوليها ظهره ولا يكلمها وذلك عليها شديد»[4]، قال الغزالي: «فإن لم ينجح -يعني الوعظ- ولاها ظهره في المضجع أو انفرد عنها بالفراش وهجرها وهو في البيت معها من ليلة إلى ثلاث ليال»[5]، إن المبالغة في الهجر أمر لا يندب إليه الشرع ذلك أن الزوج والزوجة سكن لبعضهما لغتهما المودة والمحبة والحنين فإن لم تجد نظرة عتاب إلى الناشز ولغة الترغيب والترهيب والهجر في الفراش عن الزوجة فلا جدوى من المبالغة في الخصام بهجر البيت كله وإشعار الأطفال بذلك واطلاع كل الناس بالهجران فقد تصطلح الأمور وترجع الزوجة أفضل مما كانت عليه ولكن المبالغة تسيء إليها وذلك لما أحدثتها لسمعتها عند الناس من تشهير بالنشوز وعند الأطفال من ضيق وأثر نفسي، ثم في الإلتزام بالهجر في البيت بالإعراض عن فراشها كفاية فإن كانت محبة للزوج شق عليها ذلك مما يدعوها للمصالحة وإن كانت غير ذلك ظهر منها النشوز فانتقل إلى الأسلوب الثالث وهو الضرب.

---

(١) رواه البخاري، (فتح الباري، ٥١٩١، ١٠/٢٤٧)، كتاب النكاح، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها .

(٢) فتح الباري لابن حجر ١٠/٣٦٢.

(٣) رواه أبو داود، كتاب النكاح، باب في حق المرأة على زوجها، رقم ١٨٣٠ وهو في صحيح أبي داود للألباني، رقم ١٨٧٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ١/٤٩٢.

(٥) إحياء علوم الدين للغزالي ٢/٤٩.

الأسلوب الثالث: الضرب

أباحت التربية الإسلامية بعد عدم جدوى الوعظ والهجر في معالجة الناشز بالضرب فقد تعتد بشيء من القوة في حسبها مثلاً أو في استقلالية ماليتها فالأجدى حينها مع هذا النوع الضرب إلا أنه مع إباحة هذا الإجراء أحيط بجملة تحذيرات وضوابط أهمها:

أولاً: يكون الضرب بعد الوعظ والهجر فإن لم يجد شيئاً يكون الضرب لقوله تعالى: **﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن﴾**[1].

ثانياً: عند النشوز لا في كل صغيرة وكبيرة لقوله تعالى: **﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾**[2]، فالرسول ﷺ لم يشجع فاطمة بنت قيس في الزواج من أبي جهم لأنه ضراب النساء فقال: «أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه»[3]، بل دعا إلى الطلاق كما في قصة ثابت بن قيس: أنه ضرب امرأته فكسر يدها وهي جميلة بنت عبد الله بن أبي فأتى أخوها يشتكيه إلى رسول الله ﷺ فأرسل رسول الله ﷺ إلى ثابت فقال له: «خذ الذي لها عليك وخل سبيلها» قال: نعم، فأمر رسول الله ﷺ أن تتربص حيضة واحدة فتلحق بأهلها»[4]، فالأصل النهي عن ضرب النساء مطلقاً، فعن إياس بن عبد الله بن أبي ذباب قال: قال النبي ﷺ: «لا تضربن إماء الله» فجاء عمر إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، قد ذئرن النساء على أزواجهن فأمر بضربهن، فطاف بآل محمد ﷺ طائف نساء كثير، فلما أصبح قال: «لقد طاف الليلة بآل محمد سبعون امرأة كل امرأة تشتكي زوجها فلا تجدون أولئك خياركم»[5] قوله ذئرن النساء: أي نشزن قال ابن حجر: «مهما أمكن الوصول إلى الغرض بالإيهام لا يعدل إلى الفعل لما في وقوع ذلك من النفرة المضادة لحسن المعاشرة المطلوبة في الزوجية إلا في أمر يتعلق بمعصية الله».[6]

---

(١) سورة النساء، آية ٣٤.

(٢) سورة النساء، آية ٣٤.

(٣) رواه مسلم، كتاب الطلاق، باب ، رقم ٢٧٠٩.

(٤) رواه النسائي، كتاب الطلاق، باب عدة المختلعة، رقم ٢٤٤٠، وهو في صحيح النسائي للألباني، ٣٢٧٢.

(٥) رواه ابن ماجة، كتاب النكاح، باب ضرب النساء، رقم ١٩٧٥، وهو في صحيح ابن ماجة للألباني، رقم ١٦١٥.

(٦) فتح الباري، لابن حجر ١٠/٢٨٠.

ثالثاً: عدم ضرب الوجه، ذلك أن الوجه أعز أعضاء الإنسان ففي ضربه إهدار لكرامته وليس القصد الإذلال ولكن العلاج، ثم الوجه ينكشف للمحارم والنساء ففي ضربها في الوجه إظهار وإفشاء للمشكلات الزوجية والأولى فيها الستر، ثم الوجه سريع التأثر كثير الأعضاء فيه العين واللسان والشفاه والشم والسمع والأسنان، لذا نهى الزوج عن ضرب الوجه، عن معاوية القشيري قال: قلت: يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه، قال: أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت أو اكتسبت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت».[1]

رابعاً: عدم المبالغة في الضرب ذلك أن الحياة الزوجية تستحسن مع ميل النفس والرغبة في العشرة والمضروب غالباً ينفر من ضاربه فكيف بمن يبالغ في الضرب لذلك حفاظاً على الزوجية نهى الرسول ﷺ عن الضرب المبرح فقال: «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم»[2] وعند الترمذي عن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال، حدثني أبي: أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فذكر في الحديث قصة فقال: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح»[3] والضرب غير المبرح الذي «يؤلمها ولا يكسر لها عظماً ولا يدمي لها جسماً»[4]، «كاللكزة ونحوها فإن المقصود منه الصلاح فلا جرم إذا أدى إلى الهلاك وجب الضمان، وقال عطاء: قلت لابن عباس ما الضرب غير المبرح، قال بالسواك ونحوه».[5]

الأسلوب الرابع: الحكمان

فإن لم يُجد الوعظ والهجر والضرب كان الخوف من الشقاق بين عناصر الزوجية فكان الأجدى لتحقيق العلاج أن يكون من خارج الزوجية قال تعالى: ﴿وإن خفتم شقاق بينهما

---

(١) رواه أبو داود، كتاب النكاح، باب في حق المرأة على زوجها، ١٨٣٠، وهو في صحيح أبي داود للألباني، رقم ١٨٧٥.

(٢) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب ما يكره من ضرب النساء، رقم ٥٢٠٤ فتح الباري، ٢٧٨/١٠.

(٣) رواه الترمذي، أبواب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، رقم ١٠٨٣ وهو في صحيح الترمذي للألباني، رقم ٩٢٨.

(٤) إحياء علوم الدين للغزالي ٤٩/٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ١٧٢/٥ و ١٧٣ بتصرف.

فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من اهلها، إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً﴾.[1] أخرج الشارع مناقشة أمر الخلاف من يد الزوجين إلى الحكمين من أهليهما، لما في الإخراج من هدوء في المناقشة وابتعاد عن الانفعالات النفسية والمضاعفات الشعورية وسوء الاستماع واعتقاد الصواب المطلق للذات والخطأ المطلق في الطرف الآخر وفي هذا الهدوء فرصة للعلاج أكثر من الجو المشحون.

إن الحرص على كون الحكمين من أهل الرجل ومن أهل المرأة فيه مصلحة الزوجية لحرصهما أكثر من غيرهما على الستر وعدم إشاعة الأسرار والعمل على تحقيق ما فيه خير الأطفال والمجتمع، فحكم يتكلم بحقوق ورغبات وملاحظات الزوج وحكم يتحكم بحقوق ورغبات وملاحظات الزوجة، ثم في الغالب لا يتم اختيار حكم في أمر خطير كأمر الزوجية إلا أن يكون متصفاً بما يليق لأن يكون حكماً، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: «أمر الله عز وجل أن يبعثوا رجلاً صالحاً من أهل الرجل ورجلاً مثله من أهل المرأة».[2] وحدد الشارع للحكمان اجراءاً من ذلك ما قاله الفقهاء: «إذا وقع الشقاق بين الزوجين، أسكنها الحاكم إلى جنب ثقة ينظر في أمرهما ويمنع الظالم منهما من الظلم فإن تفاقم أمرهما وطالت خصومتهما بعث الحاكم ثقة من أهل المرأة وثقة من قوم الرجل ليجتمعا فينظرا في أمرهما ويفعلا ما فيه المصلحة مما يريانه من التفريق أو التوفيق وتشوف الشارع إلى التوفيق ولهذا قال تعالى: **﴿إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما﴾**.[3]

ثانياً: الأساليب العلاجية غير المباشرة

١- **الدعاء**: إن الاستعانة بالله واللجوء إليه في السراء والضراء وسؤاله عن كل صغيرة وكبيرة من أسباب السلامة والوقاية من المشكلات حتى الزوجية منها، والعلاج من الاضطرابات الأسرية، ولقد أمر سبحانه عباده أن يسألوه قال تعالى: **﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾**[4] وقال سبحانه: **﴿وإذا سالك عبادي عني فإني قريب اجيب**

(١) سورة النساء، آية ٣٥.
(٢) تفسير القرآن لابن كثير، ٤٩٣/١.
(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٤٩٣/١، والآية من سورة النساء، آية ٣٥.
(٤) سورة غافر، آية ٦٠.

لإبراهيم ﷺ بأن يترك أهله في أرض غير ذي زرع دعا ربه أن يخلصهم من المشكلات قال سبحانه: ﴿ربنا إني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾[1]، ويضرب الله المثل في امرأة تريد الفكاك من زوجها الفاجر فدعت ربها قال سبحانه: ﴿وضرب الله مثلاً للذين امنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين﴾.[2]

٢- **التوبة:** إن للذنوب آثاراً وخمية على صاحبها في شتى جوانب حياته ومنها الحياة الزوجية، فلا يرى الزوج العاصي امرأته إلا وقد تغيرت عليه من غير ما سابق مبرر معقول مما يدهش الزوج فيظل يراجع نفسه ماذا عملت بها وفي أي جانب قصرت في حقها وبأي سلوك صدر منه سبب التغير فيها ولكنه لا يجد إجابة وكذا الزوجة ترى نشوزاً وإعراضاً واختلافاً في زوجها وتظل تبحث عن الأسباب ولكنها لا تجد إجابة ، وما ذلك إلا لمعصية اقترفها أحدهم، ذلك أن الله يعاقب العصاة بما يشاء فهذا يعاقبه بمرض وأخر بإعاقة وثالث بشلل مثلاً وغيره بالعوز وأخر بالمعيشة الضنك وطائفة رجالاً ونساءاً يعاقبهم بالمعيشة الضنك والاضطراب في حياته الزوجية بما كسبت إيديهم ويعف عن كثير، قال ابن القيم: «وللمعاصي من الآثار مالا يعلمه إلا الله ومنها: الوحشة التي تحصل بينه وبين امرأته وولده وأقاربه».[3] وقال بعض السلف: «إني لأعصي الله فأرى ذلك في خلق دابتي وامرأتي»[4] وقال ابن الجوزي: «بلغني أن امرأة من أهل بغداد كانت على قدم التقوى والمحاسبة لنفسها فلقيها رجل فقرص كتفها، فجاءت إلى زوجها، فقالت له: بالله عليك، أصدقني ما الذي فعلت اليوم من الذنوب، فقال: قرصت

---

(١) سورة إبراهيم، آية ٣٧.

(٢) سورة التحريم، آية ١١.

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم الجوزية /٨٢ بتصرف.

(٤) الجواب الكافي، لابن القيم /٨٣.

كتف امرأة فقالت: فقد قرص كتفي، فقيل لها، من أين علمت، قالت: أنا على قدم المراقبة والاحتراس من نفسي فعلمت أني أوتيت من قبله».[1]

٣- **الإصلاح:** إن التربية الإسلامية تدعو إلى جمع الكلمة والسعي للم الشمل ومنع الفرقة والشقاق، وبينت عظيم أجر من يجمع ويصلح ويوفق ما بين القلوب، فعن أبي هريرة عن محمد رسول الله ﷺ: فذكر أحاديث منها وقال رسول الله ﷺ: «كل سلامي من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع في الشمس قال: تعدل بين اثنين صدقة»[2]، بل بين ﷺ أن الإصلاح بين القلوب أفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة، عن أبي الدرداء قال، قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة»[3]، ومن شدة حرص الإسلام على الإصلاح أن أباح الكذب، عن أم كلثوم بنت عقبة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً»[4]، وإن أولي القلوب إصلاحاً قلوب الأزواج والزوجات لما يترتب من إصلاح ما بينهم من سعادتهم والذرية والمجتمع، لذلك سجلت لنا السيرة أمثلة رائعة من حرصه ﷺ على إصلاح ما بين الزوج والزوجة فعن أبي هريرة أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ولد لي غلام أسود، فقال: هل لك من إبل، قال: نعم، قال: ما ألوانها، قال: حمر، قال: هل فيها من أورق، قال: نعم، قال: فأنى ذلك قال: لعله نزعه عرق، قال: فلعل ابنك هذا نزعه»[5]، وعن ابن عباس أن زوج بريرة كان عبداً يقال له مغيث كأني انظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال النبي ﷺ لعباس، يا عباس، ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثاً، فقال النبي ﷺ لو راجعته قالت: يا رسول الله أتأمرني، قال: إنما أنا أشفع، قالت: لا حاجة لي فيه».[6]

---

(١) أحكام النساء، لابن الجوزي ٤٥٤.

(٢) رواه مسلم، مسلم كتاب الزكاة، باب ١٦٧٧.

(٣) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين ٤٢٧٣، وهو في صحيح أبي داود/ ٤١١١.

(٤) رواه البخاري، كتاب المصلح، رقم ٢٤٩٥.

(٥) رواه البخاري، كتاب الطلاق، رقم ٤٨٩٣.

(٦)

وعن أبي سعيد قال جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ونحن عنده فقالت: يا رسول الله إن زوجي صفوان بن المعطل يضربني إذا صليت ويفطرني إذا صمت ولا يصلي صلاة الفجر تحت تطلع الشمس قال وصفوان عنده، قال: فسأله عما قالت: فقال: يا رسول الله أما قولها يضربني إذا صليت فإنها تقرأ بسورتين وقد نهيتها قال: فقال لو كانت سورة واحدة لكفت الناس، وأما قولها: يفطرني فإنها تنطلق فتصوم وأنا رجل شاب فلا أصبر، فقال رسول الله ﷺ يومئذ لا تصوم امرأة إلا بإذن زوجها وأما قولها إني لا أصلي حتى تطلع الشمس فإنا أهل بيت قد عرف لنا ذاك لا نكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس، قال: فإذا استيقظت فصل».[1]

٤- **التخيير:** بمقدور الزوج أن ينهي الحياة الزوجية بالطلاق ولكن الطلاق لا يعد علاجاً وإنما انهاءاً للزوجية، ولكن تخيير الزوج الزوجة في بقائها عنده أو إنهاء الزوجية أسلوب علاجي رائع أقره الرسول ﷺ فبوب له البخاري في صحيحه فقال: «باب من خير أزواجه وقول الله تعالى: ﴿**قل لازواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحاً جميلاً**﴾[2]، ذلك أن الرسول ﷺ هجر نساءه شهراً كنوع من التأديب ثم عالج الموقف بتخييرهن بينه أو الطلاق، عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: «إني ذاكر لك أمراً، فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: «إن الله جل ثناؤه قال: ﴿**يا ايها النبي قل لازواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها إلى اجراً عظيماً**﴾ قالت: فقلت: ففي أي هذا استأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت»[3]، وفي هذا الأسلوب علاج رائع ذلك:

١- لأن فيه إحساس الزوجة بالرغبة فيها يوم أن خيرها ولم يطلقها وفي استشعار الزوجة بهذه الرغبة في الزوج رفع لمعنوياتها وتحسين للعلاقة.

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الصوم، باب المرأة تصوم بغير اذن زوجها، رقم ٢١٠٢، وهو في صحيح أبي داود، رقم ٢١٤٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الطلاق ٤٦١/١٠، فتح الباري، والآية في سورة

(٣) رواه البخاري، (فتح الباري ، رقم ٤٧٨٦، ٤٧٤/٩)، كتاب التفسير، باب قوله «وإن كنت تردن الله ورسوله».

٢- في التخيير المشاركة في اتخاذ القرار لمستقبل الزوجية والمسؤولية تكون مشتركة في القرار المشترك.

٣- في التخيير إحساس الزوجة بمغبة قرار الفراق إن طلبته مما يدعوها ذلك إلى التفكير الهادئ واستشارة العقلاء.

٤- في تخيير الرجل زوجته حسن معاملة ولطافة متى ما أحست بها الزوجة أدت مفعولاً رائعاً في تقريب المسافة والقضاء على الخلاف والإشكال.

٥- **التنازل:** من الأساليب الناجعة في حل المشكلات عموماً التنازل عن بعض الحقوق إن كان في التنازل تحصيل أكبر المنفعتين ودفع أكبر المضرتين وهو الذي عبر عنه الرسول ﷺ بالمبادءة والمبادرة عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[١]، فقد يكون التنازل عما تفلسبفه النفس البشرية في الغالب أنها عزة النفس كما في الحديث أعلاه، وقد يكون التنازل عن بعض الحقوق كما كان من سودة أم المؤمنين رضي الله عنها، عن عائشة أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة وكان النبي ﷺ يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة».[٢] وعن عائشة قالت: كانت سودة بنت زمعة قد أسنت وكان رسول الله ﷺ لا يستكثر منها وقد علمت مكاني من رسول الله ﷺ وأنه يستكثر مني، فخافت أن يفارقها وضنت بمكانها عنده، فقالت: يا رسول الله يومي الذي يصيبني لعائشة وأنت منه في حل، فقبله النبي ﷺ وفي ذلك نزلت: «وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً».[٣] وفي رواية: «قال رسول الله ﷺ لسودة بنت زمعة اعتدي فقعدت له على طريقه ليلة فقالت: يا رسول الله ما بي حب الرجال ولكني أحب أن أبعث في أزواجك فارجعني، قال فرجعها رسول الله ﷺ».[٤]

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، رقم ٥٦١٢.

(٢) رواه البخاري، (فتح الباري ، ٥٢١٢، ١٠/٢٩١)، كتاب النكاح، باب المرأة تهب يومها من زوجها لضرتها .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد/ ٨/٥٣.

(٤) الطبقات الكبرى، لابن سعد ٨/٥٤.

الخاتمـــــة

اولاً: النتائج.

ثانياً: التوصيات.

أولاً: النتائج

١- ان المنهج التربوي الاسلامي يتعامل مع المشكلات الزوجية وقاية وعلاجاً، أما الوقاية فبسد كل الابواب المؤدية إلى الإشكال، فان وقعت الزوجية في الاشكال إما لإهمالها الوقايات أو لقدر سبق لحكمة أرادها الله فان الأساليب العلاجية كفيلة بإنهاء الاشكالات.

٢- إنهاء الزوجية بالطلاق والفراق لا يعني بالضرورة الخراب والضياع والدمار بل قد يكون في بعض المواقف العلاج الناجع بل الواجب.

٣- الممارسات الخاطئة في التعامل مع المشكلات تساهم مساهمة بالغة في تعميق المشكلة ومضاعفتها وخلق مشاكل جديدة.

٤- ضعف دور المؤسسات الرسمية والأهلية في تنشئة المجتمعات ساهم في إيجاد المشكلات الزوجية.

٥- ان وقوع المشكلات في الزوجية لا يعني بالضرورة الفسق والفجور والعصيان، فقد يكون من باب الابتلاء وتكفير الذنوب ورفع الدرجات.

٦- إن الزوجية شرعت لتبقى، فان طرأ ما يفسد الجو فليس الحل الأول ولا الوحيد الانهاء.

٧- لا بد من الالتزام حين الأخذ بالاساليب العلاجية بالصورة التي ضبط الشارع تأديتها فيه.

ثانياً: التوصيات

١- تضمين المناهج المدرسية للمرحلة الثانوية مقرر مستقل عن كل ما يتعلق بالحياة الزوجية وعلى ثلاث سنين.

٢- تكوين لجان عملها السعي للمصالحة بين الأزواج، وفي كل لجنة عضو شرعي ليتكلم بما قال الله وقال الرسول ﷺ، وعين من أعيان القبائل وكبراء المناطق العقلاء.

٣- توجيه المساجد للحديث مرة كل شهر عن كل ما يتعلق بالحياة الزوجية بلغة تربوية علمية وعظيه.

٤- الاستعانة بوسائل الاعلام كالتلفاز والمجلة والجريدة والفيديو والانترنت والاذاعة في التوعية العامة فيما يتعلق بالحياة الزوجية ومن قبل التربويين المختصين في الباب.

٥- القضاء وبحزم وصرامة على الشعوذة والمشعوذين كالكهان وقراء الفنجان وأهل التنجيم والسحرة والمستخدمين للجان.

٦- مخاطبة الاعلام للكف عن المساهمة في تعميق المشكلات الزوجية وذلك:

  ١- بالامتناع عن نشر زوايا الابراج والتنجيم وقراء الفنجان وأخبار السحرة والكهان.

  ٢- بالامتناع عن عرض المغريات والمثيرات المفسدة للزوج والزوجة والباعثة في الغالب على الخيانة باختلاف درجاتها.

  ٣- بالكف عن عرض حتمية الغرام قبل الزواج لتحقيق السعادة الزوجية، وضرورة الطلاق عند أول خصام والمعاملة بالمثل عند الخيانة وما شابه.

٧- إنشاء صناديق للزواج تتبرع لها الجهات الرسمية والأهلية تعين الشباب على الزواج والعفه.

٨- ضرورة الاعلان والتعريف بالأمثلة الرائعة فيما يتعلق بالحياة الزوجية في باب المهور القليلة والاحترام المتبادل والاخلاص والتفاني والصبر والعفو وحسن علاج المشكلات للاقتداء.

٩- إتمام هذه الدراسة بعمل إستبانات توزع على مجاميع كبيرة من المتزوجين والمتزوجات والعُزَّاب والعَزَبات في القرى والبادية والمدينة وعلى المتعلمين وغير المتعلمين والشباب والشيوخ والمطلقين والمطلقات للوصول إلى أسباب الزواج وأسباب الطلاق والمقاييس وأسباب المشكلات والمقترحات لعلاجها.

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

مرتب حسب الحروف الهجائية

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

مرتب حسب الحروف الهجائية

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أحكام النساء، عبد الرحمن علي بن الجوزي المتوفى ٥٩٧هـ، تحقيق علي محمد يوسف المحمدي، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨١.

إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى ٥٠٥هـ، دار المعرفة، بيروت.

أداب الزفاف في السنة المطهرة، محمد ناصر الدين الألباني الطبعة الثامنة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧.

الأدب المفرد، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، راجعه محمد هشام البرهاني، الطبعة الأولى، وزارة العدل بالإمارات، ١٩٨١.

الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي المتوفى ٦٧٦هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣.

الإستيعاب في معرفة الأصحاب لإبن عبد البر النمري القرطبي المتوفى ٤٦٣هـ الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٢٨هـ.

الإصابة في تمييز الصحابة، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢هـ، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٢٨هـ.

إعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين أبي عبد الله المعروف بإبن القيم الجوزية ٧٥١هـ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها، د. محمد علي البار، الطبعة الأولى دار المنارة السعودية، ١٩٩٨٥.

بانوراما الخليج، مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع عدد ١٦٠ البحرين، ١٩٩٥.

بدائع الفوائد، شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بإبن القيم الجوزية المتوفى ٧٥١هـ مكتبة إبن تيمية، القاهرة.

البداية والنهاية، أبو الفداء إبن كثير الدمشقي المتوفى ٧٧٤هـ، الطبعة الرابعة، دار الكتب العلمية،بيروت، ١٩٨٨.

تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للإمام الحافظ أبي العلا محمد عبد الرحمن الماركفوري ١٣٥٣هـ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.

تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي المتوفى ١٣٣٢هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت ١٩٧٨.

تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي المتوفى ٧٧٤هـ، دار المعرفة، بيروت ١٩٨٤.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي المتوفى ١٣٧٦هـ، تحقيق محمد زهري النجار، الرئاسة العامة للإفتاء، السعودية ١٤١٠هـ.

الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى ٦٧١هـ، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥.

جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، الطبعة الأولى، دار المطبوعات العربية، ١٩٣٧.

الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، حققه سعيد اللحام، المتوفى ٧٥١هـ، الطبعة الأولى، دار إحياء العلوم بيروت، ١٩٨٧.

روائع البيان، تفسير آيات أحكام من القرآن، محمد علي الصابوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

روضة المحبين ونزهة المشتاقين، شمس الدين محمد إبن القيم الجوزية دار الكتب العلمية، بيروت.

رياض الصالحين للإمام النووي المتوفى ٢٦١هـ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي بيروت ١٩٨٤.

الرياضة والشباب، مؤسسة البيان للصحافة والطباعة والنشر، عدد ٧٧٧، الإمارات، ١٩٩٦.

زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي، المتوفى ٥٩٧، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧.

زهرة الخليج، مؤسسة الإتحاد للصحافة والنشر والتوزيع عدد ٨٨١، الإمارات، ١٩٩٦.

سد الذرائع في الشريعة الإسلامية، محمد هشام البرهاني، الطبعة الأولى مطبعة الريحاني، بيروت، ١٩٨٥.

سنن إبن ماجة، للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ)، دار إحياء التراث العربي. (د. ت).

سنن أبي داود، سلمان بن أشعث السجستاني، (ت ٢٧٥هـ)، المكتبة الإسلامية للطباعة، تركيا، (د. ت).

سنن الترمذي، للإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، (ت ٢٧٩هـ)، المكتبة الإسلامية، ١٩٨٣م.

سنن الدرامي. أبو محمد الدارمي، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا، دار الكتاب العربي، ١٩٨٧م.

السنن الكبرى، أبو بكر الحسين علي البيهقي ٤٥٨هـ، دار الفكر، بيروت.

سنن النسائي، الإمام النسائي، (ت ٣٠٣هـ)، دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٦م.

سير أعلام النبلاء الذهبي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٢.

السيرة النبوية لإبن هشام المتوفى ٢١٣ و ٢١٨هـ، الطبعة الأولى، دار الإتحاد بيروت، ١٩٨٧.

صحيح الأدب المقرر للإمام البخاري، محمد ناصر الدين الألباني الطبعةالأولى دار الصديق، السعودية، ١٩٩٤.

صحيح البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، ١٩٨٧م.

صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨.

صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب شمس الدين أبي عبد الله بن القيم الجوزية المتوفى ٧٥١هـ، تحقيق سليم الهلالي، دار إبن الجوزي، السعودية، ١٩٩٥.

صحيح سنن إبن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦.

صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٩.

صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨.

صحيح سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨.

صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت ٢٦١هـ)، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٤م.

صحيح مسلم بشرح النووي، المتوفى ٢٦١هـ، تحقيق عصام الصبابطي وحازم محمد وعماد عامر، الطبعة الأولى، دار أبي حيان، ١٩٩٥.

صندوق الزواج أهداف وطموحات، صندوق الزواج، مطبعة بن وسمال الإمارات، ١٩٩٥.

الطب النبوي، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي إبن القيم الجوزية المتوفى ٧٥١هـ، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

الطبقات الكبرى، إبن سعد المتوفى ٢٣٠هـ، دار صادر، بيروت.

عمل المرأة في الميزان د. محمد علي البار، الطبعة الثالثة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، السعودية، ١٩٨٧.

عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢هـ، الطبعة الأولى دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠.

الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي، الطبعة الثالثة، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٩.

في ظلال القرآن، سيد قطب، الطبعة السادسة، دار الشروق بيروت، ١٩٧٨.

كتاب الإربعين في مناقب أمهات المؤمنين، أبو منصور عبد الرحمن بن عساكر ١٩٨٦ المتوفى ٦٢٠هـ، تحقيق محمد مطيع الحافظ وغزوة بدر، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق.

كتاب الكبائر، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفى ٧٤٨هـ. دار الكتب العلمية، بيروت.

مؤسسة إبن مسعود، د. حمد رواس قلعجي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٤.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، أبو عبد الله محمد أبن القيم الجوزية المتوفى ٧٥١هـ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣.

المرأة بين الفقه والقانون، د. مصطفى السباعي، الطبعة السادسة، المكتب الإسلامي، دمشق ١٩٨٤.

المصنف لأبي بكر عبد الرازق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظي، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣.

المغني، موفق الدين إبن قداسى المتوفى ٦٣٠هـ، طبعة جديدة دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣.

مقياس جوانب الحياة الزوجية بين الكائن والمأمول، د. سعيد بن علي بن مانع جامعة أم القرى، السعودية، ١٤١٣هـ.

موسوعة فقه الحسن البصري، د. محمد رواس قلعجي، الطبعة الأولى، دار النفائس بيروت، ١٩٨٩.

موسوعة عمر بن الخطاب، د. محمد رواس قلعجي، الطبعة الثانية، مكتبة الفلاح، الكويت ١٩٨٤.

موسوعة فقه علي بن أبي طالب، د. محمد رواس قلعجي الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق ١٩٨٣.

ندوة الفحص الطبي من منظور طبي وشرعي، جمعية العفاف الخيرية-الأردن، ١٩٩٤.

ISLAMIC EDUCATIONAL APPROACH IN DEALING WITH MARITAL PROBLEMS

By

Abdullah Homoud Hamad Al-Busaeedi

Supervised by

Dr. Husain Bani Khalid

Dr. Farouq Al-Samera'i

Abstract

This study aims at show the Islamic educational approach with regard to marital problems. It contains an introduction and four major chapters as well as summary and conclusion. The study's introduction deals with the research problem as well as literature survey.

Chapter One sets out the marital state in Islamic education, which emphasize its important position and manifests its characteristics. It concludes that Islam is concerned with marital education and seeks to provide marital security.

Chapter Two deals with the reasons that cause marital problems and the abuse of solving them. In this study, the researcher concludes that the contradiction of study, the researcher concludes that the contradiction of making the man in modern communities is the main cause of making marital problems, and wrong practices increase the problems and may cause new ones.

Chapter Three investigates the precautionary measures of causing problems, providing that "preventive is better than care". It concludes that most marital problems are happened because of the ignorance of preventive side.

Chapter Four deals with the curative approaches to marital problems, showing its variations and the commitment to its rules.

Finally, in summary and conclusion, the researcher presents the most important finding, and hope that it will contribute to the field, especially Islamic family.

تنضيد وإخراج

محمد غانم – مؤسسة مروة للطباعة

إربد – مجمع ارشيدات – مقابل البوابة الشمالية لجامعة اليرموك – الدور الأرضي.